

كورفا سود

أشرف أبو الخير

رواية

كتابي للنشر والتوزيع

CURVA SUD

كورفا سود

Curva Sud

أشرف أبو الخير



2015

أشرف أبو الخير
كورفا سود - Curva Sud - تجربة بيضاء
الطبعة الأولى: 2015
الإخراج الداخلى: سامح عبده

رقم الإيداع : 2015/14214
الترقيم الدولى: 4-65-5038-977-978

الناشر
كتابى للطباعة والنشر والتوزيع
تليفاكس: 27879791 02 002
E.mail: Kitaby@yahoo.com
11 شارع ابن الغنام - الظاهر - القاهرة
المدير العام : محمود فاروق



كورفا سود

Curva Sud

أشرف أبو الخير

الإهداء

إلى أبنائي (جاسمن وشام).....
عطر الياسمين و رمز المحبة.
الحب مهما كان مكلف يا عيال
هو اللي فاضل.. هو اللي باقي

بابا

[يقول كبار مشجعي الزمالك في البلد]

* لو ابني طلع أهلاوى .. هقتله.

(المنتج والممثل سامي العدل)

* لو الزملكوية خلصوا من البلد ومفضلش غير واحد
هيكون.. أنا.

(الإعلامي القدير / عمرو أديب)

* الأهلي هو (نجم الشباك) ولكن هل تستطيع أن تنكر
محبتك لمحمود المليجي واستيفان روستي وعبدالفتاح
القصري..

(الكاتب الصحفي / عمر طاهر)

* حمرا.

(الكاتب الصحفي الكبير / إبراهيم عيسى)

* إحنا الزمالك إحنا... واللا نسيتموا !!؟؟

(جماهير الزمالك الغفيرة)

قبل صافرة البداية

«لحظات الإحماء»

آه يا تيشرت العمر يا أبيض

قد تكون قرأت هذه الجملة سابقاً، قد تكون تهكمت عليها وعلى من علقوها بمدرجات استاد الجونة في نوفمبر 2013، يوم مباراة نهائي كأس مصر بين الزمالك ووادي دجلة التي فاز فيها الزمالك بأول بطولة له (كأس مصر) منذ سنوات طويلة، قد تكون قرأت هذه الجملة العابرة ولم تتوقف عندها كثيراً، وقد تكون ممن انقبضت قلوبهم حال قراءتها، أو تكون ممن ذرفوا الدموع بمجرد قراءتها.

قد تكون في أي صورة أو هيئة، لكنك وأياً كانت خلفيتك لن تستطيع إنكار أن لافتة ”آه يا تيشرت العمر الأبيض“ قد تم تعليقها على ذلك المدرج لسبب هام.. وهام للغاية بالنسبة لمن يقف وراء تلك الجملة.

آه يا تيشرت العمر يا أبيض

نداء بليغ على ذلك الرداء الذي يقف وراءه الملايين عمراً كاملاً، نداء على القميص الذي يرتديه فريقك الذي تشجعه منذ أن كنت طفلاً، ذلك الرداء الذي تسعى لاقتنائه، مقتطعاً جزءاً من مصروفك، ملحاً على والديك،

باحثاً عن المكان الأرخص في كل المحال التي تعرفها،
لتحصل على هذا الكنز الصغير.. قميص رياضي، ملون،
ترتيبه في المدرجات أو أثناء لعبك مع أقرانك بالشارع
أو مشاهدتك للمباريات في أي مكان.. انه قميص يرتبط
معك بذكريات كثيرة، هو قميص يمتص حبات عرقك
وتمتصه مع الفرحة والغضب والحماس، فلا يمكن إلا أن
يكون قميص العمر.. وهو نداء يرمز إلى لون، كما يرمز
إلى ملخص حياتك، فأنت هنا تضع خلاصة الأمل والألم
والمعاناة... الفرحة والحماس والاستمتاع... تضعهم في
القميص الأبيض... قميص الزمالك.

عمرو حسين، كان هذا هو اسمه، شاب في مقتبل
العمر، ذهب مع عدد كبير من الأصدقاء واخوة الدم،
ليعرض على سياسات إدارة ناديه المحبب، حيث كان يؤمن
بأن "الكورة للجماهير".. كان يرى أن مجلس الإدارة يقفز
بقارب النادي في الهاوية، كان يرى كذلك أن من حقه أن
يرفع صوته اعتراضاً على ما يجري بين جنابات النادي...
وفي اليوم الموعود، الثالث والعشرين من سبتمبر عام
2013، ذهب عمرو ليقف أمام البوابة رقم (7) في ناديه
المحبيب، ليهدف ضد هؤلاء البشر الذين يراهم منتفعين
من مناصبهم، فنالته رصاصة قضت على حياته، وأغرقت
"تشرت العمر الأبيض" بدمائه الحمراء .

مات عمرو، كما مات من قبله أكثر من سبعين شاباً في مدرجات استاد بورسعيد، كما مات من قبلهم - على أسفلت الشوارع والميادين - عدد ليس بالقليل من الشباب الطموح، الحالم بتحسين الأوضاع والخروج من واقعهم البائس إلى عالم أكثر رحابة... مات عمرو لأن أحداً لم يفهمه، فعلق رفاق رحلته تلك الالفة تخليداً لذكراه، مات عمرو لأنهم يهتمونه بالبلطجة والتخريب ومعاداة الوطن، مات لأن لديه قانونه الخاص الذي لا يتوافق مع قانون الآخر - أي آخر - يعيش على هذه الأرض.. فقانون عمرو هو الحلم والرغبة في التغيير والقدرة على كليهما، وهو ما لا يتوافق مع معتقداتهم وطلباتهم بل وأوامرهم.

ما بين يديك الآن من صفحات، رواية، تدور أحداثها قبل اندلاع ثورة يناير 2011، وهي ليست عملاً تاريخياً ولا ملحماً، وقد اتخذت فيها من بعض الأماكن والأحداث الرئيسية والأسماء والتواريخ ما يمكن الاعتماد عليه في بنائها الدرامي الخيالي، وأؤكد أن أي تشابه قد تجده بين واقع أي شخص قابلته أو تعرفه في حياتك وبين ما ستقرأه من أحداث هو محض صدفة غير مقصودة على الإطلاق.

ما بين يديك الآن من صفحات، تحتفي بجماهير كرة القدم العريضة حول العالم، تحتفي بإيمانهم وحبهم - الذي قد تراه مبالغاً فيه - للفرق التي يشجعونها، وهي صفحات

لا تحكي عن عمرو حسين، بل تحكي عما يمكن أن يكون
ألف عمرو حسين، أزعـم أنك من خلالها ستعرف لماذا
مات عمرو وغيره من الشباب!! ولماذا هم مصرون على
المضي قدما في طريقهم الشائك المكروه من الجميع،
وحتى إن كنت كارهاً لعمرو حسين وممارساته، فأعتقد أن
الصفحات التالية ستجعلك- على أقل تقدير- تعي معنى
”آه يا تشرت العمر يا أبيض“.



فقيـد مشجعي الزمالـك/ عمرو حسين

الشروط الأول

أول رُبع ساعة

«جس النبض»

مقهى "المعلم بيومي":

- رُصَّ قَصَّ يا "مهدي".

أقولها هاتفاً وأنا أستعد للجلوس على ذلك الكرسي الخشبي المتراخي، المتهالك، الذي قد ينذر بكارثة إذا ما جلست عليه للحظة، لكنني أجلس بثقة عمياء، اكتسبتها بحكم التعود والمودة القائمة بيني وبين كل كراسي هذا المقهى الرحب، جلست على كل تلك الكراسي ولم أقع يوماً، فألفت وأحببت هذا المقهى الذي يرقد شامخاً منذ سنوات في قلب هذا الحى الفقير النابض بالحياة (ميت عقبة)، بالقرب من (الراجل المشهور بتاع السمك).

برودة غير معتادة تلف المكان بسبب الطقس البارد، رغم أن الساعة لم تصل إلى الساعة مساءً بعد، كنت أنفخ في كفيّ بلا انقطاع، وأنتظر شيشتي بشغفٍ معتاد، سمعت "مهدي" القهوجي ينادي على حلبة بالحليب فعرفت أن "ناصر" قد دخل المقهى، فقد تركني قبل دقائق وذهب ليقضي حاجته في مقهى أحدث من مقهانا ورائحة (مبولته) قابلة للاحتمال إذا قارنتها برائحة (مبولتنا).
- هو انت مش هتبطل الحلبة بالحليب دي بقى؟؟

ريحة البي بي بتبقى زي الزفت!!

- خليك في حالك يالا انت.. ده أكثر مشروب بيدفي في العالم.

جلس "ناصر" بجواري ماداً قدميه على كرسي خشبي أمامه، ضاغطاً بقوة على (آيس كاب) رخيص يرتديه دوماً في أيام الشتاء الباردة، يجعل شكله كوميدياً للغاية، وتحدثنا كثيراً عما رأيناه في التمرين قبل دقائق وعن المستوى المتذبذب للفريق، ثم باغتني بسؤاله إن كنت أستطيع مساعدته في البحث عن عمل قريب من (المعادي) براتب ثابت محترم!! فقد ملّ هو تماماً من وظيفته الحالية ويرغب في الحصول على وظيفة مستقرة حتى وإن كانت فرد أمن.. فكرت في "هشام" صديقنا المشترك أول ما فكرت، فوالده يمتلك مصنعاً كبيراً بـ(السادس من أكتوبر) وقد يكون في حاجة إلى شخص في أمانة ورجولة "ناصر"، وبحث بأفكاري لـ رفيقي ووعدته أن أتكلم مع "هشام" فور عودتنا إلى المعادي، وكعادة "ناصر" كان أكثر كسلاً من أن يجادل ويُناقش، فأنهي حوارنا بأنه يرغب في عمل بالمعادي، أو في منطقة قريبة من المعادي.. هو لن يذهب إلى السادس من أكتوبر بشكل يومي تحت أي مسمى، وكعادتي معه سببته بالفاظ نابية مؤكداً أن المستقبل في (السادس من أكتوبر)، وأن سوق العمل في المعادي ضيق للغاية، ولم أنس أن أؤكد وجهة نظري من خلال اختيار مجلس إدارة الزمالك للسادس من أكتوبر لبناء فرع وملعب جديدين للنادي هناك.

غالباً ما يحتل الكرسي الذي أجلس عليه في مقهى المعلم بيومي ركناً بعينه، يسمح لي بأن أكشف المكان من كافة جوانبه، ظهري للحائط لأشعر بالمزيد من الأمان والثقة، وجهي للشارع، لأتابع ما يجري داخل المقهى وخارجه، وفي الغالب أطلب ”رص القص“ يومياً.. بنفس الإيقاع.. بنفس الحسم.. في نفس الوقت.. لذات الرجل.. مع اختلاف درجة الحماس طبقاً لليوم، تلك الدرجة التي تتحدد بالقطع طبقاً لحالتي النفسية بعد خروجي من النادي، والتي تتحدد بدورها طبقاً لما أشاهده من خطط تنفذ على أرضية الملعب الشامخ العريق الموجود في نفس مكانه منذ زمن- ملعب حلمي زامورا- الذي يقع جغرافياً في قلب نادي الزمالك.. نادي الأمراء.. النادي الملكي كما يُطلق عليه محبوه ومريدوه في كافة أرجاء الأرض.. النادي الذي بدأ (مختلطاً) نسبة إلى أول أسمائه، وصار بمرور الأعوام يجمع بين جذرانه خليطاً متميزاً من المواهب اللامعة.. نادي القرن الحقيقي (بالأرقام والإحصائيات لا بأبواق الإعلام المخدرة).. النادي الذي أنشأه الخواجات، ثم أضفى المصريون عليه صفاتهم وطباعهم وأخلاقهم، فأصبح نادي المبادئ الراسخة.. النادي الذي اقترب في تلك الفترة- وقت جلست لنادي ”مهدي“- من عامه المائة وهو شاب، فتي، كما كان دوماً.. النادي الذي أتهم رجاله دوماً بالعصبية، ولم يتم بعد اتهام أحدهم بالسرقة.. النادي الذي أتهم لاعبوه دوماً بالتراخي ولم يتم بعد اتهام أحدهم بانعدام الموهبة.

كنت مستمراً في تجاذب أطراف الحديث الكروي مع "ناصر" حتى فوجئنا بكل من بالمقهى يهرعون نحو مصدر ضجيج خارج المقهى مباشرة، لنكتشف أن أحد الأشخاص يتعارك مع "أحمد" العامل في محل الكشري القريب، بعد ان استفزه الأخير بسبه للزمالك.. وهو مشهد يتكرر كثيراً في (ميت عقبة)، أهلاوي غبي يحاول استفزاز زملاكاوي من أبناء المنطقة بالسخرية من الزمالك، فتنشب معركة متوقعة، ونتيجتها محسومة بسبب كثرة عدد الزملاكاوية في المنطقة.. استمتعت لما رأيت الشاب الزملاكاوي يصفع "أحمد" على وجهه ويركله بغلٍ وقسوة وسط وابل من السباب.. غبي ويستحق!!

- أيوه يا شيماء.

أرد بعصبية وحزم كالمعتاد على "شيماء".. تلك الفتاة التي تقبع في حياتي كجدارية عملاقة يصعب زحزحتها، الفتاة التي أسعى جاهداً للتخلص منها لكنني لم أستطع إطلاقاً، الفتاة التي تهاتفني دوماً في مثل ذلك الوقت... لتسألني ذات السؤال والذي يبدو محفورا على لسانها:
- انت فين يا بيبي؟

لأرد عليها ذات الرد المعتاد والذي حُفر فعلا على لساني:
- في القهوة.

عصيتي تجاه "شيماء" مبررة تماماً، فهي تعلم تمام العلم أنني أجلس على هذا المقهى تحديداً بشكل

شبه يومي منذ أكثر منذ سنوات لا أذكر عددها في ذات الوقت... في نفس الركن... أدخن نفس نوع المعسل الردىء (قص البرج) والذي يقول الناس إنه مصنوع من عجينة الحشرات والفئران وبعض الأخشاب، وإن كنت أراه دليل الإنسانية في هذا العالم، فالكوكب بلا (قص البرج) سيكون أكثر بؤساً وبشاعة، أنا شخص أفعل ما أحبه ويحلو لي وقتما أريد، أحب جلستي في المقهى التي أتحدث فيها مع رفاق المقهى، وهم مجموعة من الأصدقاء الذين استطعت بناء أواصر علاقة كروية الطابع بهم، وذلك بحكم كثرة تلاقى وجوهنا أثناء ترددنا جميعاً على المقهى، ولذا فأنا لا أجد أي مبرر لاتصالها المستمر بي في مثل هذا التوقيت لتحصل على معلومات تعلم بها مسبقاً!!.

غالباً ما أخرج من النادي خائر القوى من جراء الحماس وتشجيعى للاعبين أثناء الممران، لكنني لم أجرو يوماً على تفويت جلسة المقهى، هي كالفاصل بين شوطين في حياتي، ألتقط فيها الأنفاس، أخرج من النادي وأسير وحيداً عشرات الأمتار في طريق حفظته كظهر يدي، أعبر نفقاً، أجاور حائطاً، وأظل أمشي وأمشي.. ثم أرى (الراجل المشهور بتاع السمك) فيطمئن قلبي وأعترف أنني اقتربت من هدفي.

وفى المقهى أجلس وحيداً أحياناً، ومع آخرين فى معظم الأحيان وأتحدث دوماً فى ذلك الموضوع المتجدد والمحبيب إلى النفس، الموضوع الذي لا يملّه أحد منا على الإطلاق، "نادي الزمالك" وأحواله... مجالس إدارته ولاعبيه، صفقاته وأخباره التي تتناثر حولنا فى كل مكان، نتبادل وجهات النظر ونتقاسم ساعات الحزن ولحظات الفرح، نتحاور، نتجادل، ننفعل على بعضنا البعض أحياناً بسبب الحالة المتردية التي يصل إليها الفريق الأول لكرة القدم أحياناً، لكننا نظل دوماً معارف وأصدقاء.. رغم أن أعمارنا متفاوتة إلى حد بعيد، فأنا كبعضهم اجتاز العشرة الثانية من سني عمره بقليل، وبعضهم أقل من العشرين بشهور معدودة، ومنهم من تخطى الخمسين، واقترب آخرون منهم من القبر اقترابه من باب المقهى.

الأوضاع فى البلاد كانت أكثر من راكدة، لا جديد فى أي مجال، لذا فنحن نلتقي فى (ميت عقبة) لا لتحدث فى السياسة، لا لتحدث فى غلاء الأسعار، لا لتحدث عن ثورة جرائد المعارضة ضد النظام، لا نتحدث عن أى موضوع لا علاقة له بالزمالك، فنحن هنا فى هذا المكان لا نهتم بسواه، الزمالك فقط هو ما نسعى إليه، هو ما ننشده.

وتأتينى مكالمة "شيماء" لتقطع تسلسل أفكاري وتدفعها، دوماً ما تأتينى وتقف كلقمة متحجرة فى

حلقى، لكم أكره في تلك الفتاة ذلك الإلحاح والإصرار على ملاحقتي، تهاتفني لتطلب لا شيء، وأرد عليها مقدماً هذا اللاشيء، دعوتها مراراً لأن تكف عن ذلك الإلحاح.. دعوات ومحاولات باءت بالفشل، محاولات تزيدها إصراراً على إصرار، وتزيد من عمق المسافات بيننا أكثر فأكثر.

أتى "مهدي" القهوجي متعجل الخطا كعادته فى مثل هذا الوقت من اليوم، هو يتعجل خطواته مرغماً، فدائماً ما يتواجد فى المقهى فى مثل هذا الوقت من المساء عدداً لا بأس به من الزبائن، انتهى معظمهم من العمل، وبعضهم مثلي أتى لتوه من النادي بعد متابعة التدريب، ليرتمي الجميع فى أحضان المقهى، الكل له طلب، الكل له حاجة، وعلى "مهدي" التنفيذ بسرعة وبدقة، لذا فعليه الإسراع... وصحيح أن هناك من يعاونه فى خدمة الزبائن، لكنه كان دوماً الشخص الأهم والأعرق والأقدم، يأتي "مهدي" مبتسماً حاملاً بيمناه مجموعة من قطع الفحم المشتعلة ترقد على دائرة معدنية صغيرة بجوار حجرين فخاريين، ويده اليسرى يحمل شيشتي، ليلقيها أمامي ويبدأ فى "رَص" الحجر الأول ممارساً القليل من النفخ والشفط والذى منه، حتى يتأكد من أن الشيشة غير مكتومة وأنه لا مشاكل بها، سعل سعلة خفيفة، ثم بصق على الأرض بعيداً عنى كعادته دوماً وبوجه صبور ألقى التحية المعتادة:

فعلى الرغم من معرفة "ناصر" للكثير من التفاصيل عن "شيماء"، ورغم قُربه الشديد مني، إلا أنه لا يفهم حقاً ماهية علاقتي بها، فمشاعري تجاهها مرتبكة يكسوها الإشفاق عليها، وعجزي عن تركها، وأنا أبداً لن أستطيع شرح أبعاد علاقتي بها لـ "ناصر" أو لغيره، حتى وإن رغبت في ذلك.

ورغم كراهية "شيماء" الواضحة لحالة العشق التي أعيشها مع الزمالك إلا أنها تحاول جاهدة التغاضي عن هذا الجانب وتحب ما تبقى منى.. تحب نفس نوع الموسيقى المفضلة لى "الترانسات"... ذلك اللون الموسيقى الذى يجمع بين الصخب والهدوء، وتتدخل فيه التكنولوجيا بقوة لتحوّله إلى كتل صخرية وعرة على صفحة الموسيقى الهادئة، أرى الترانسات كمرآة لحياتي، صاخبة رغم ما بها من توازن، متدفقة بلا نظام، قليلة التفاصيل لكنها ذات طعم مميز، الترانسات هي "موسيقى الروح" بالنسبة إلّى ولن يغير من رأيي هذا أى شخص، كذلك تتمنى "شيماء" أيضاً إنجاب ذات البنت بذات الاسم "نيرمين" وأنا فى الحقيقة لا أعطيها أى مبرر لحب الاسم، أنا أعلم أن "نيرمين" كان الإسم الذى تحمله أول فتاة أحببتها وقت كنت مراهقاً، أما هي فلا تملك أى مبرر فى الواقع، كانت "شيماء" تحاول طوال الوقت أن تثبت لي أنها تغرقني بدعمها لأرائي فى الأوجه الحياتية المختلفة...

فقط هي تكره في حبي للزمالك (رغم إذعانها لتشجيعه بسببي).. أى أنها تكره أكثر من نصف روعي وتكتفي بحب ما تبقى منها.

لطالما تأملت وجه "مهدي" القهوجي بعمق، كنت أحب ملامحه الصعيدية المنحوتة، لا أحب شيئاً فيه أكثر من ابتسامته، ولا يضايقني في ابتسامته أكثر من اصفرار أسنانه وانعدام تناسقها كنتيجة متوقعة للإهمال والتدخين والكثير من الحشيش الرديء الذي طالما أتيت له بالبعض منه رغم عدم تدخيني له على الإطلاق.

في (ميت عقبة)، ينتشر تجار المخدرات كما ينتشر المهندسين في مواقع التشييد، معروفون بالاسم، يختفي بعضهم لأسابيع وشهور، وربما لسنوات، فنعلم جميعاً أنهم كانوا في زيارة معتادة للقسم/ للمديرية/ للسجن.. والجميل في هذه البقعة العامرة من أرض مصر، أنه لا اختلاف في طريقة المعاملة بين الناس وبعضها، فالطباخ يتم معاملته كالبائع السريع، كرسام الكاريكاتير، كالطبيب وكتاجر المخدرات... يعيها فقط أن الفقر يلف كافة تفاصيلها، حتى في الحشيش، فلن تقابل أبداً أحد سكان (ميت عقبة) وهو يدخن سيجارة حشيش حقيقية، فالحشيش هنا (شعبي) مخلوط وتالف وليس له أي علاقة بالحشيش الحقيقي، الكل يعرف تلك الحقيقة، ويتعاملون

معها ببساطة، هم كذلك يعرفون بعضهم بعضاً وتتداخل مشاكلهم وظروفهم بصورة مدهشة، وهذا ما أحبه حقاً في (ميت عقبة) وأهلها، فهم يفيدون بعضهم، يستفيدون من بعضهم، يحترمون بعضهم للغاية، وتتداخل ظروفهم وتتشابك بشدة.

دوماً ما يكون المقهى هو المسرح الذي تدور داخله قصص وحكايات الجميع، وبطبيعة الحال، يكون القهوجي هو خزانة الأسرار، متعمداً حين يسترق السمع، أو غير متعمد حين تخترق الأسرار آذانه أثناء تجواله في المقهى.

لهذا فإن "مهدي" يعرفنا ويعرف عنا المعلومات الأساسية، العمر التقريبي، أين نعمل، أين نسكن - فمنا من لا يسكن في (ميت عقبة) - بل يعلم أيضاً كيف نحب مشروباتنا، وقد علمتني الأيام أنه لا يوجد ما يمكن احتساؤه داخل مقهى كهذا في (ميت عقبة) إلا أي شئ مغلق، فقانون المقاهي المصرية معروف وواضح، الزبون يأخذ أحد شيئين: الجودة أو السعر المنخفض، ومقاهي (ميت عقبة) مثلها مثل معظم مقاهي المناطق الشعبية، اختارت أن تقدم لنا أسعاراً منخفضة على حساب الجودة، فإن قررت النزول إلى هناك بإرادتك، فلا تغامر بصحتك طالباً شاي/ قهوة/ سحلب/ ينسون، فقط قم بطلب أي شئ مغلق... أرجوك.

حصل "مهدي" على الإعدادية في نفس العام الذي حصلت أنا فيه على الابتدائية، لكنه ابن (ميت عقبة)، شب ليجد نفسه في أسرة كبيرة فقيرة، الأب عامل باليومية، والأم ربة منزل لا حول لها ولا قوة، وضغوط الحياة أكبر من أن يحتملها الأب منفرداً، فانضم إلى طاقم العاملين بهذا المقهى ليتسلم أول راتب له يوم تسلمه شهادة الإعدادية، التي كانت شهادته الأخيرة تعليمياً، ومن يومها لم ينل أي شهادة إلا شهادات زبائن المقهى التي تشيد بحُسن أخلاقه واجتهاده في العمل، وحين اقترب من عامه العشرين استطاع أن يجد لنفسه شقة صغيرة في "ميت عقبة" يؤجرها لنفسه وعروسه التي تزوجها بعد أن شَهِدَ لها أهالي الحي باستقامة الأخلاق رغم أن والدها، كما حكى لي مهدي بنفسه، كان يقضي عقوبه السجن في قضية مخدرات، فكان لها الزوج والأب والأخ والصديق، إلى أن تكللت جهودهما في الفراش بعد عام ونصف بابنتهما الوحيدة "شهد" والتي أرى لمعة غير عادية حين ينطق أي شخص باسمها أمامه، ولا أعتقد أن هناك من يحب ابنته مثلما يفعل "أبو شهد".. كما أنه يرفض في ذات الوقت أن (يخاويها) نظراً لحالته المادية المؤسفة، فيوميته — وطبقاً لتعبيره — لا تكفي إلا لسيجارة المزاج وبعض الفتات، ولن تتحمل ميزانيته مصاريف طفل جديد إلى أن يقضي الرب الإله بأي تجديد في مسار حياته.

يشارك "مهدي" بالقطع زبائن المقهى حب الزمالك وتشجيعه، يدعو للفريق كثيراً، ويدعو لنا وللزمالك بحماس شديد حين يعلم أننا سنذهب لمباراة هنا أو هناك.. فطبيعة عمله تتطلب بالقطع أن يتواجد فى المقهى دوماً، لاسيما فى أوقات مباريات الزمالك، وقد حكى لي مراراً أنه يتمنى أن يحظى بفرصة الذهاب للاستاد، فهو حلم، رغم بساطته، إلا أنه لم يتمكن من تحقيقه على الإطلاق طوال هذه السنوات، فهو شخص بلا جدول إجازات، وتغيبه عن العمل يعني ببساطة عدم حصوله على اليومية، أو بمعنى آخر عدم حصوله على عشاء الليلة وإفطار الغد، وبالتالي كان يعمل قدر المستطاع على أن يتواجد بالمقهى سبعة أيام أسبوعياً، ولأطول فترة ممكنة.

ومن ناحيتي فقد فكرت أكثر من مرة في أن أصطحبه إلى الاستاد، وأن أدفع له اليومية، لكنني وكلما اقتربت منه أكثر، كلما اختبرت عزة نفسه أكثر، فأتراجع عن تفكيري في ذلك حتى لا يفهمني بصورة خاطئة، ولكي أظل محتفظاً بعلاقتنا المتينة، ولذلك كنت أعوضه بأن أكلمه دائماً في الهاتف أثناء جلوسي في المدرجات لكي أنقل له الأجواء الحماسية للجماهير قبل المباراة، وهي عادة حافظت عليها دوماً، فقربتنا من بعضنا كثيراً.

يحبني هو بحق، أعلم هذا يقيناً، فأنا أعامله
باحترام يستحقه، وبسخاء لا يطلبه- فهو عزيز النفس إلى
حد بعيد- وبالقطع كنت أنا ممن لا يبقون حساباً على
النوتة أبداً، وهو ما يزيد من احترامه لى، ورغم مشاغله
وظروف حياته الصعبة بكل تأكيد والتي يمكنك تخمينها
من شكله الخارجى العام، فإن "مهدي" لا يشغله عن
الزمالك شىء، يبدو دائماً متفائلاً بنتيجة المباراة القادمة،
ويجزم دوماً بيقين أحسده عليه أن الزمالك سينتصر بلا شك
إن قمنا نحن بواجبنا ك جماهير، لذا فلا يفوته على الدوام
أن يوصينا بالهتاف للاعبين أو بتوجيه النصح للمدير الفنى
بأن يلعب برأسى حربة بدلاً من واحد كى نضمن المباراة
(بدرى بدرى)، أو يوصينا أن نصرخ فيه بأهمية تأمين خط
الدفاع بدقة أكبر، حيث أن "مهدي" يرى مثلنا جميعاً أن
خط الدفاع هو المشكلة الأكبر فى الفريق منذ سنوات..
وهذا طبعاً بافتراض أن أصواتنا تصل إلى المدير الفنى..
كثيراً ما كنت أتذكر "مهدي" وعشقه الجارف للزمالك وأنا
أتقافز فى المدرجات، كثيراً ما كنت أتذكر وجهه الأسمر
الصبوح، وشعره الغارق فى مثبت الشعر الرخيص، والذى
يمكنك الجزم بأنه- أى شعره- لن يستطيع الصمود على
فروة رأسه لأكثر من عامين بسبب هذا المثبت اللعين،
ولكن "مهدي" يرى أن المثبت برئ تماماً من تهمة إسقاط
الشعر، وأن (الغم) سيكون هو المسئول بالتأكيد، وأتخيله
سعيداً فى بعض اللحظات بعد إحراز هدف ما، وأكاد أبكى

عند تخيله مصدوماً مذهولاً بعد احتضان مرمانا لكرة من أحد المنافسين، ومما لاشك فيه على الإطلاق أن "مهدي" - الزملاكاوي منذ أن كان عمره خمس سنوات - يؤمن بالزمالك مثلنا جميعاً، يبكي ويصرخ ويتحمس وينفعل ويسب مثلنا جميعاً ولهذا لن نستطيع أن تنكر على "مهدي" زملاكويتيه.. لن تنكر عليه عشقه الجارف للزمالك.. أبداً لن نستطيع.

أتذكر جيداً أنه وبمجرد نداء "مهدي" على البيبسي، وأثناء رص الحجر، استأذن من "ناصر" بأدب، وطلب أن يتحدث معي لدقائق على انفراد، قمت من على مقعدي مستأذناً "ناصر" وخرجنا لنقف على بعد خطوات من المقهى... خطواته كانت قلقة على غير العادة، وكنت متوجساً بشدة.

أزقة ميت عقبة:

نفس القميص الكاروهات الذي بدأ في الاهتراء منذ شهور، نفس البنطلون الجينز الرمادي الذي يئس منه "مجدي" ملك (الرفا) بالمنطقة، نفس الحذاء، نفس النظارة، نفس اصفرار الأسنان... نفس الرائحة العطنة التي تلف حياته... نفس الزوجة، نفس الابنة، نفس الشقة الخائقة التي لم يتغير فيها شيء منذ أعدها لكي تكون عش الزوجية قبل تسعة سنوات وأكثر... يالها من حياة غاية في الملل.

لكن "مهدي" لم يكن ملولاً بطبعه، معاملته اليومية مع الزبائن وأمزجة الزبائن جعلت منه شخصاً أكثر تفهماً وأكسبته سعة صدر كبيرة للغاية، كان راضياً، مرضياً بحق، لم يشتك لأحد إلا في مناسبات نادرة فعلاً، لم يرفع صوته يوماً على أحد والديه أو أخوته، لم يحاول يوماً مد يده على "أم شهد"، فهي تخدمه وتساعدته وتُسعده بحق، ولا يشعر أنه رجل المنزل إلا في جوارهما "شهد وأمها"، ما أسعد اللحظات التي تأتيه فيها "شهد" بمعضلة حسابية ما لم تستطع التعامل معها في المدرسة، فيساعدنها بخبرته الطويلة في مجال التعليم - حيث حصل على الإعدادية في غابر الأزمان-، وما أسعد اللحظات التي يجلس فيها على الأريكة الصلبة الوحيدة بالمنزل بجوار "أم شهد" لمشاهدة سويماً فيلماً عربياً قديماً كان أو حديثاً!!، يأكلان طعامهما الفقير بلا حزن أو غضب، ويلقي كلاهما داخل الآخر، الحب والتقدير والمودة... والشهد.

كان "مهدي" نموذجاً للشخص الدؤوب والمتفاني، هو مؤمن تماماً أن الله اختار له أن يُولد ويعيش حياته كلها بـ(ميت عقبة) لسبب وجيه لا يعلمه إلا هو، ويوقن بأنه وإن كان ولد على بُعد كيلومتر واحد فقط في (المهندسين) لكان الآن شماماً أو نصاباً أو على الأقل (راكب عربية من عرق أمه)... فإله يعلم شخصيته جيداً، وله بكل تأكيد حكمة في أن خَلَقَهُ فقيراً، كان يؤمن أن الله يكتب الأفضل

لعباده على الدوام.. وكان أكثر ما يريحه في المقارنة بين
(ميت عقبة) والمهندسين أنه لو كان وُلد هناك فإن فرصة
إنجابه لـ”شهد“ ستكون ضئيلة... هل هناك ”شهد“ في
المهندسين؟؟

كيف سيكون شكل العالم بلا ”شهد“؟
وهل كان سيتمكن من تحمل الحياة ومقالبها وتقلباتها
بدون ”شهد“؟

”أبو شهد“.. هكذا يناديه معظم الناس، فمنذ أن
كان شاباً يافعاً كان يتمنى من الله أن يرزقه ابنة جميلة،
هادئة، مطيعة، تُمشط له شعره، وتلمع حذاءه، وتطبخ له
ولأمها يوماً... وتساندهما في شيخوختهما، ما أحلى خلفه
البنات!!

وهو يرى أن الله يحبه لأنه رزقه بما طلب، فجاءت
”شهد“ الجميلة الهادئة، التي تُمشط له شعره يوماً قبل
نزوله المقهى، وتُلمع له الحذاء، وقريباً جداً ستبدأ في
مساعدة أمها بالمطبخ... إنه رجل سعيد، ويشكر ربه في
كل لحظة، فبيته كما تمنى على الدوام... هادئ، منظم،
وزوجته تحترمه وتبجله، وهو يعاملها باحترام وبسخاء (على
قدر المتاح) فلا يخفي عنها قرشاً إلا قروش الحشيش التي
تعلم هي بها، وتصبر على ما ابتلى الله زوجها به، لأنها
(واعية) وفاهمة أن الرجال لهم (أمزجة) والراجل من غير

كيف مالوش عازة، كما إنها تحمد ربها ليل نهار على أن مزاجه ليس في النسوان.

المعلم "بيومي" صاحب القهوة يعامل "مهدي" كابن له، ورغم أنه شديد الصرامة والحزم، إلا أن "مهدي" يتفهم ذلك، واعتاد عليه منذ زمن فلم يعد يُزعجه الأمر... ويعلم "مهدي" كذلك أن يوميته ضئيلة بالنسبة للكثير من المقاهي بالقاهرة، لكنه عقد العزم منذ زمن على عدم ترك "المعلم" لأن (ولاد الأصول مايبيعوش العشرة بالساهل)، غير أن الفارق في اليومية سيصرفه "مهدي" بالتأكيد على المواصلات من وإلى (ميت عقبة)، وعلى الأمراض التي ستحتاج جسمه من جراء دعاء "المعلم" عليه إن قرر ترك المقهى.

"لا يُكلف الله نفساً إلا وسعها".. لم يفهم أبداً المعنى الحرفي لتلك الآية الكريمة، وإن فهم منها أن عليه ألا يشتري أية ملابس جديدة، ألا يُفرط في الأكل والشرب، ألا يشتري أكثر من سيجارة حشيش واحدة يومياً، وإن كان هناك زيادة في الحشيش فلتكن كمنحة من أحد زبائنه أو رفاقه... فهم من الآية كذلك أن الأجازات الأسبوعية ترف، وأن المشي على الأقدام من وإلى المقهى شرف، ولا داعي لركوب التوك توك أبو اتنين جنيه.

وفهم أيضاً أن عليه أن يكف عن تدخين علبة (الكليوباترا) اليومية، ويكتفي بثلاثة أحجار معسل يستأذن فيهم "المعلم" كبديل للسجائر، وأن يشحت سيجارة من هنا أو هناك إن شعر برغبة شديدة في تدخين تلك السجائر اللعينة... تلك كانت رؤيته للآية الكريمة، وهو حريص على تنفيذ رؤيته لها بحذافيرها.. فعاش هائئاً ولا ينغص عليه حياته شئ إلا الزمالك وما يعيشه من انكسارات وإحباطات.

"عيان بالزمالك"... هكذا يُعرّف "مهدي" عن نفسه، وقد تمكن منه المرض الأبيض ولن يخرج أبداً، هو يعلم الكثير عن الزمالك وأخباره وتاريخه وبطولاته، هو كائن من (ميت عقبة)، وشخص من هنا إن لم يكن زمكاًوياً.. قد يتهمه الناس بأنه شاذ جنسياً... و"مهدي" راجل أوي.

كانت حياته تسير بهدوء، وليس بها إلا بعض الارتجاجات المادية المعتادة والمفهومة، إلى أن ارتفعت حرارة "شهد" في ليلة كئيبة من ليالي فبراير... نصح الصيدلي بالذهاب للطبيب، الذي نصح بمستشفى معروفة للأطفال، التي قرر أطباؤها حجز (ضناه) تمهيداً لإجراء عملية في الصباح الباكر... حمد الله كثيراً لأن العملية ستنقذ حياة ابنته، وفرح من داخله لما أثنى طبيب المستشفى على إحضاره للبنت بسرعة، لكنه لمس لأول

مرة إحساس العجز، عندما عرف أن العملية ستتكلف ما يقرب من سبعمائة وخمسين جنيهاً، وسيحتاج بعض الأموال كذلك للمستلزمات والإكراميات والذي منه.. ماذا يفعل؟؟ ... كيف يتصرف؟؟.

لن يمكنه الاقتراض من "المعلم"، فهو لم يرد بعد الستمائة جنية التي اقترضها منه قبل شهور بسبب عيد الأضحى، والمعلم صبر عليه كثيراً، لكنه لن يعطه المزيد... فبحث كثيراً عما يمكنه إقراضه هذا المبلغ الضخم؟؟

عصر "مهدي" ذاكرته، فلم تستقر إلا على اسم واحد... كابتن مصطفى بتاع المعادي، واد شهم وجدع وأكيد مش هيتأخر عنه في حاجة.. ربنا يسهل.

(ميت عقبة) - المقهى:

كنت متوجساً، فهي المرة الأولى التي يطلب فيها "مهدي" مثل هذا الطلب، رغم علاقتنا الطيبة المستمرة منذ سنوات... خمنت أنه يريد قطعة حشيش، أو يريد أن يقترض مني بعض المال، وهو ما كان، فقد طلب "مهدي" أن أقرضه ألف جنية!!.

- أصل البت "شهد" بنتي محتاجة عملية كبيرة.
سألته بجدية حقيقية:

- هو انت معندكش تأمين صحي؟!!!

رد بسخرية واندهاش عميقين:

- هو انت خواجه والا إيه يا كابتن "مصطفى" ???!!

نبهتني سخريته إلى أنني خواجه بالفعل، يعيش في حي راقٍ، يعمل في مكان مكيف الهواء، ولا يعرف الكثير عن جمهورية (ميت عقبة)، جمهورية العرق والإرهاق، التي ينبغي عليك إذا كنت من قاطنيها أن تقترض شهريا لتعيش على حد الكفاف مبلغ خرافي بمقاييسك، لكنه يعادل رُبع مرتب شخص ما من قاطني جمهورية أخرى متاخمة لحدود جمهوريتك، وربما أقل.

كنا في فبراير 2009، أتذكر أن الزمالك كان لديه مباراة في اليوم التالي وكنت أخطط لمشاهدتها في الملعب كعادتي، فاتفقت مع "مهدي" على ملاقاته في المقهى قبل المباراة بثلاثة ساعات، وأتني سأدبر له المبلغ كاملا، شريطة أن "يرُص" لي حجرين زيادة على حسابه في حالة فوز الزمالك.. ورغم خسارتنا للمباراة، إلا أن الله أكرمني بإعطاء "مهدي" هذا المبلغ الذي لم أسترده حتى اليوم، ربما لأنني لم أطلبه.

"مصطفى أحمد سعد الدين"

ذلك هو اسمي كما هو وارد بيانات بطاقة الرقم

القومى التى قمت بتحديث بيانها قبل أيام لأضيف عليها المهنة... بعد أن كنت أبى تسجيل تلك المهنة فى أى وثيقة رسمية تحمل اسمى ولا أعتبرها من ضمن بياناتى أساساً، لكننى اضطررت إلى ذلك اضطراراً يفهمه أى شاب مصري فى سنى، فجملة (حاصل على....) إن كانت مكتوبة فى بطاقتك فهي كفيلة بأن يجذبك أى شخص يعمل بسلك الشرطة من قفاك إلى أقرب قسم.. حيث إن هذه الجملة تعنى ببساطة أنك عاطل عن العمل، أى أنك بلغة الشرطة والشارع معاً (صايع)، والمهم هنا فى موضوع البطاقة ومهنتي هو نقطتان مهمتان للغاية:

أولاهما: أننى كنت أرفض رفضاً قاطعاً تسجيل مهنتي بالبطاقة ليس فقط لكونها غير متلائمة مع مؤهلى العلمى الذى تعبت من أجل الحصول عليه لأربع سنوات داخل مدرجات كلية الآداب بـ(جامعة حلوان) لأدرس أقدم النظريات والإثباتات والخرافات الفلسفية المختلفة التى أعشق تشعبها ومنطقها، وعبثها أحياناً، بقسم (الفلسفة) العريق... ولكنها أيضاً- أى مهنتى- تتعارض تماماً مع مبادئ الكروية، حيث إننى أعمل داخل أكثر الشركات احمراراً فى مصر... أعمل فى شركة الاتصالات التى ظلت تفتخر فى تلك السنوات بأنها الراعى الرئيس للنادى الأهلى، هذا النادى الذى يقف عائقاً دائماً ومستمراً أمام تطور نادى الزمالك وتقدمه للأمام خطوات فى جدول الدورى العام.. أعمل فى فودافون.

الأمر الثاني: أنني وقبل شهور قليلة كنت أسير فى
أى شارع مصري مطمئناً ثابت الجنان حيث إن أخى الأكبر
”وليد“ ضابط شرطة وهو ما كان يمثل درعاً واقياً لى فى
كثير جدا من المواقف التي أتعرض لها باستمرار... وهي
مواقف قد يتعرض لها أى شاب مصري فى أى وقت وأى
مكان، تبدأ بالمشاجرات ولا تنتهي عند التوقيف العشوائى
عن طريق أفراد الشرطة المنتشرين فى الشوارع بكفاءة...
إلا أن ”وليد“ أخى يعاملنى بجفاء شديد منذ فترة- لأسباب
وجيهة جدا من وجهة نظره الخاصة - فقررت ألا أعتمد
على وجوده وسارعت بتحديث بيانات البطاقة خوفاً من أن
يتخلى عني فى لحظات حرجة.. وتجنباً لأى موقف مهين.

سؤال قد يتبادر إلى ذهنك الآن.. ما هو الدرس
المستفاد مما سبق؟.. لماذا تصدع رأسى بهذه التفاصيل؟...
لماذا تروى قصتك؟... لماذا تملأ رأسى بدخان قص البرج
الردىء، وصوت صديقتك التي تحب جزءاً منك، وجلوسك
على المقهى المجاور لـ ”الراجل المشهور بتاع السمك“؟..
لماذا تحكي عن ”مهدي“ وصفاته، عن ”ناصر“ وفودافون،
وأخيك الضابط، وقطعاً حبك المبالغ فيه لنادي الزمالك..
ماذا تريد يا ”مصطفى أحمد سعد الدين“!!!

إجابتي عن هذه الأسئلة وما قد يدور فى رأسك
غيرها، هي أنني يا سيدى العزيز... (أولتراس).

المعادي- أكاديمية الشرطة- سوهاج- وغيرها

أنا لم أكره "مصطفى" أبداً.. كيف أكرهه وهو أخي الأصغر؟؟!!
بيد أن المجتمع الذي نعيش فيه، يفرض شكلاً محدداً
للعلاقة بين الأخين، فمهما بلغ "مصطفى" من كفاءة
وعلم وقدرة وخبرة، سأظل أنا الأخ الأكبر، الواثق العليم
ببواطن الأمور، الأكثر حنكة ومهارة، والأهم من ذلك..
أنني صاحب السطوة والنفوذ.. الضابط..

أثرت فترة الكلية عليّ بكل تأكيد، أربع سنوات كاملة
هي زهرة عمري، قضيتها محبوساً داخل أسوار الكلية شتاءً،
وساعياً إلى الساحل الشمالي صيفاً لأتخلص من أعباء
شهور الدراسة، فترة غيرت من ملامحي وملامح شخصيتي
بصورة كبيرة، بنيت جسمي جيداً ليصبح ممشوق القوام،
تميزت في الرماية طالباً في الكلية، ومارستها باحترافية
بعد التخرج، وابتعدت رغماً عني عن الفتيات والبنات..
فقد قررت منذ زمن أن أكون أكثر عمقاً من أن أربط
حياتي ومستقبلي بفتاة ساذجة مسطحة العقل كما يفعل
أخي، كما أنني أكثر فقراً من أن أغامر بالارتباط بفتاة
أعلم أن راتبي من وزارة الداخلية لن يكفينا لساعات كل
شهر.. فملت إلى إفناء نفسي في العمل وتأجيل فكرة
الزواج إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

لم أستطع بسبب طبيعة عملي كذلك بناء أي علاقة متزنة مع أحد من أفراد أسرتي، فحين تخرجت أخيراً التحقت للعمل كضابط من قوة الأمن العام بمحافظة (سوهاج) لمدة عامين، هناك أقضي معظم أيام الشهر، وبالتالي فقد تقطعت بيني وبين أسرتي الكثير من السبل، فصرت أجهل ظروفهم، وأغيب — رغماً عني — عن المناسبات الأسرية والعائلية الهامة، ولا يدور أي حوار بيني وبين أي من ثلاثتهم (الأب والأم والأخ الأصغر) إلا في نادر المناسبات.

وفيما تلا ذلك من سنوات، التحقت للعمل بالنجدة في محافظة القاهرة، أقضي نصف يومه بالضبط في عملي بالشارع، وأقضي النصف الآخر بين النادي وسريري حيث ينام... فزادت الفجوة بيني وبين الجميع، وكان مما يزيد وطأة ظروف في النفسية المرهقة، أن راتبي ضئيل بحق، ستمائة و ثلاثين جنيهاً فقط لا غير، هو مبلغ لم يكن ليكفيني لعشرة أيام ثم أبدأ في الاعتماد على أبي بصورة شبه كاملة.

يوم تخرجت من أكاديمية الشرطة، قرأت في عين أخي الكثير من الفرحة، لكنها كانت فرحة ممزوجة ببعض السخرية، فـ "مصطفى" لم يكن يفهم أبداً لماذا يضطر أي شخص أن يسجن نفسه داخل أسوار عالية، تحرسها

الجنود ليل نهار، لأيام وأيام، على مدار أحلى سنوات عمره، هادفاً الحصول على دبورة نحاسية لامعة، والكثير جداً من المسؤوليات والإرهاق والضغوط، وقليل جداً من البنكنوت؟؟

ولم أنس تلك النظرة أبداً، أعلم أن "مصطفى" يجهل الكثير عن طبيعة العمل الشرطي، أعلم كذلك أن انضمام "مصطفى" للأولتراس جعل منه شاباً أكثر حدة خاصة في نظرتة لنا نحن رجال الأمن، فهو يرانا دوماً كغيلان بريّة تتربص بأفراد الأولتراس الشجعان، ولم أحاول في أية لحظة أن أناقش أخى في وجهة نظره، كنت أراها وجهة نظر أقل من أن تُناقش لشاب أرعن متهور، وأن السنوات قد تفعل فعلتها وتؤكد له أن رجال الشرطة في كل مكان يقومون بواجبهم وبما تقتضيه عليهم وظائفهم.

ورغم أن الفارق بيننا خمس سنوات كاملة، إلا أن ارتباط "مصطفى" بالقراءة منذ زمن، جعل منه شاباً مختلفاً عن الشباب في سنه بشكل عام، فهو لا يشرب المخدرات ولا يتسبب في أية مشاكل من مشاكل المراهقين المعروفة، هو يمارس الرياضة والقراءة والزمالك، والكثير جداً من "شيماء" صديقتة التي لا أتعامل معها كثيراً بحكم ظروف العمل التي تجبرني على التغيب عن المعادي كثيراً، غير أن فارق السن بيني وبين "شيماء" بعيد حقاً.. وبالتالي

فإن "مصطفى" أبدا لم يشكل أي عبء عليّ فهو من البيت للنادي للبيت للاستاد.. فقط.

وبسبب (الأخوة)، فقد قمت بإنقاذ أخي في مرات مختلفة، في مواقف عديدة ظل يحترف التعرض لها، مشاجرة هنا أو هناك، سحب رخصة القيادة مرات ومرات بسبب عدم الالتزام بقانون المرور، بل ساعدته كثيراً في مواقف مشابهة يتعرض لها معارفه - معارف مصطفى... ولهذا كنت أرى دوماً أنني أفعل ما يجب فعله تجاه الأخ الأصغر، لا أكثر ولا أقل.

كنت أميل بطبعي إلى الصمت والتأمل، فيكفيني ما أراه يومياً من مشاكل أثناء العمل، وقلما كان يستفزني أي شيء، أي فعل يصدر من أي شخص، إلى أن رن هاتفي في مساء شتوي، من زميل لي بقسم (البساتين) المتأخم لحي (المعادي)، ليبلغني أن "مصطفى" لديهم بالقسم، بعد ضبطه مع فتاة في وضع مخل بالآداب في دائرة القسم، وطلب مني أن أحضر لأتسلم "مصطفى" و بالطبع "شيماء".

ذهبت وقتها إلى قسم البساتين، وأنا أغلي غضباً، فالإحراج الذي عرّضوني له لا يستهان به على الإطلاق، وطوال ساعات ثلاثة بعد أن أوصلنا "شيماء" إلى منزلها

ظللت أؤنب أخي على ما فعله ليس فقط بجسد الفتاة، وإنما كذلك بسبب تعاليه واعتدائه على افراد القوة الأمنية والذين كان من الطبيعي أن يلقوا القبض عليهما بعد الإهانة والبذاءة التي طالتهم من "مصطفى".

حاول "مصطفى" أن يجادل، ويدافع عن نفسه وعن "شيماء"، وأن يُهاجمني، لكن ذلك كله لم يُجد نفعاً، فكان أن أصدرت فرماناً قاسياً:

- أنا هقول لأبوك، يمكن يلحق يربيك، ولو شفت رقمك على تليفوني تاني، أوعدك إنني أسعى بنفسي إنني أحطك في السجن... كفاية بقى مسخرة وقلّة قيمة.

وكرد فعل طفولي من "مصطفى" دخل إلى غرفتنا المشتركة، وخرج منها بعد دقائق وقد رسم على جدران الغرفة أربعة حروف أعلم معناهم جيداً.

A.C.A.B

كل رجال الشرطة أوغاد!!!

فهو يعلم تماماً أن رجال الشرطة ليسوا بأوغاد، خاصة وأن هناك واحداً منهم يشاطره غرفة نومه، وأن هذا الذي يشاطره الغرفة أخوه الأكبر الذي أنقذه وصديقه لتوه من فضيحة مجلجلة قد تدمر مستقبلهما تماماً... لا فائدة من "مصطفى" في هذه المرحلة، فلتكن القطيعة

إذن، ولهذا قررت أنا الضابط المكتئب المرهق المضغوط أن أقاطع أخيه الأصغر الأرعن المتهور المجنون، واستمرت القطيعة لما يزيد عن السنة إلى أن حدث ما حدث في إبريل 2010.

المعادي، نادي الجزيرة، وغيرهما:

من سكان المعادي أنا، وُلدتُ لأجد نفسي من سكان "دجلة" إحدى أرقى مناطق المعادي على الإطلاق، سيارتان بالمنزل واحدة لأبي وأخرى لأمي- رحمهما الله- كما تمتلك الأسرة أكثر من شقة أخرى، وحسابات ممتلئة بالبنوك، وبجانب عضوية نادي الروتاري التي يمتلكها أبي منفرداً، تمتلك الأسرة عضوية بنادي المعادي الرياضي واليخت (هكذا اسمه)، وهو المكان الذي اشتهر بجمع أرقى عائلات هذا الحي.

مارست الكثير من الرياضة طفلاً ومراهقاً وشاباً.. وعلى مستوى تشجيع الرياضة فأنا لا أهتم إلا بتشجيع كرة القدم، ولا أشجع إلا الزمالك في مصر، والإفريقي التونسي، روما الإيطالي، الوحدات الأردني، أرسنال الإنجليزي، وبرشلونة الإسباني، اقتطعت من حياتي آلاف الساعات لمتابعة كل مباريات تلك الفرق رسميةً كانت أو ودية بقدر المستطاع، وإذا راجعت تاريخ كل تلك الفرق معي ستجد

أنني أميل لتشجيع المقهورين في عالم الرياضة، فكل تلك الفرق تمتلك تاريخاً ناصع البياض مع كرة القدم، وتاريخاً من الصراعات مع الفرق الأكبر حجماً ذات النفوذ، الأهلي المصري والترجي التونسي وثلاثي إيطاليا الإنتر وميلان واليوفنتوس ثم الفيصلي الأردني ومانشستر يونايتد الانجليزي وريال مدريد على الترتيب.

وعلى عكس توقعات كل من يعرفني فأنا لا أجيد لعب كرة القدم على الإطلاق، أجيد مشاهدتها وأزعم أنني الأفضل بين كل من أعرفهم في الشعور باللاعبين وقراءة الملعب ومعرفة التغيير المطلوب قبل حدوثه، لكن يبدو أن مبالغتي في التحليل منذ كنت طفلاً منعنتني من الممارسة، كنت أنزل إلى أرضية الملعب مرتدياً زياً رياضياً مناسباً، وفي عقلي يجلس محلل كروي ببدلته الكاملة، فأهتف في زملائي مملياً عليهم أدوارهم بالملعب أكثر من تفكيري في الدور الذي يجب عليّ تأديته، أيقنت مع الوقت أن ممارسة كرة القدم وكل الألعاب الجماعية لا تناسب تركيبة عقلي وشخصيتي، فأحببت التنس بين المرحلتين الابتدائية والإعدادية، مارسته لسنوات في نادي الجزيرة الذي تمتلك عائلتي عضويته منذ زمن بعيد... كنت أنزل يومياً صيفاً وشتاءً من منزلي إلى النادي لأتدرب بحماس وحب حقيقيين، ساعدني التنس في تلك المرحلة على بناء عضلات جسمي وتشكيلها بصورة رائعة،

وفي تلك المرحلة قابلت حب حياتي الأول "نيرمين" التي فتنتني برشاقتها ومهارتها وإمساكها لمضرب التنس الأنيق، كما بدأت وقتها التعرف على مدى تَوْحُّش هرموناتى لما كنت أتأمل تنورتها البيضاء القصيرة وما تحتها من ملابس داخلية بيضاء (دوماً بيضاء رقيقة)، كنت أتعرف لأول مرة في تاريخي على تلك البروز الصغيرة التي تنمو في أجساد الفتيات وأكتشف أن ذلك يثيرني بشدة، إلى أن انتهت علاقتنا كما تنتهي كل علاقات المراهقين العاطفية بخلاف ساذج وعناد مبالغ فيه، لمت نفسي عليه كثيراً فيما بعد، وكان من نتائج قطعي لعلاقتي بـ"نيرمين" أن قطعت علاقتي بالتنس كذلك.

ثم شغلني الغطس لشهور طويلة، وطالما أحببت لقطات الفيديو التي كانت أسرتي تلتقطها لي أثناء قفزي بالتمرين من أعلى إلى أعماق حوض السباحة، أحببت تَكُونُ عضلات جسمي بسبب الغطس، كنت أقف أمام المرأة طويلاً متأملاً عضلات صدري وبطني، وكنت أشعر أن جسداً كهذا يستحق ما هو أرقى من الغطس، ففكرت في ممارسة رياضة أكثر عنفاً تساعدني في إظهار قوتي البدنية، فاتجهت للعب التايكوندو والكاراتيه لبعض الوقت قبل أن يباغتني حب الملاكمة، كفن راقٍ.

كانت الملاكمة بالنسبة إلي هي فن الإيذاء البدني،
تُفاجئ فيها منافسك بضربة غير متوقعة في نقطة معينة،
فتخور قواه، أدهشني استيعابي السريع لفكرة الملاكمة
وفلسفتها، واعتمادها على خطط محكمة وتدرج مثالي
في القوة من الأقل للأكثر عنفاً.. عشقتها، فحققت فيها
إنجازات محترمة ما زلت فخوراً بها، إلى أن مللتها كعادتي
بعد شعوري بالتميز، وحين انقطعت علاقتي بالملاكمة،
انقطعت علاقتي بممارسة الرياضة.

ولأسباب كثيرة اتجهت بكل قوتي في الاتجاه
المعاكس، فعشقت القراءة، جاء هذا بالأساس لأنني أهوى
التميز والاختلاف منذ الصغر، وفي دائرة معارفي الضيقة
لم يكن هناك أي تميز في أن تمارس الرياضة، ولكن هناك
الكثير من التميز إن مارست القراءة، كما أنني كنت شديد
الارتباط بأمي، ودوماً ما كنت أراها في مشهد ملتصق في
ذهني وهي تقرأ بلا توقف لساعات طويلة، لفتني هذا
المشهد فأحببت تقليده، وأذهلتني القراءة في أسابيبي
الأولى معها، فقد فهمت أول ما فهمت أن القراءة هي
الإنجاز الوحيد الذي لن يحققه الإنسان مهما حاول، وأنتك-
على حسب التعبير الشائع- تزدادُ جهلاً كلما ازدادت علماً،
فصرت أتحدى نفسي في قراءة كل ما يقع تحت يدي من
كتب يمتلئ بها منزلي، حتى إنني وقبل دخولي الجامعة
بسنتين تقريباً وعدت نفسي بقراءة كتاب كل ثلاثة أيام،

ثلاثون كتاباً كاملاً كل ثلاثة أشهر، كنت أكثر ميلاً للتاريخ والفلسفة والسير الذاتية، وأستغرق تماماً في القراءة، متحدياً مللي حتى اعتدته، ولا يفصلني عن القراءة إلا مشاهدة المباريات، وظل نزولي إلى الجيم الراقى القريب من شارع 9 الأشهر بالمعادي، وتشجيعي الحماسي المبالغ فيه لفرق كرة القدم المختلفة وعلى رأسها الزمالك هو كل ما يربطني بالرياضة.. وكانت النتيجة المتوقعة.

شاب مختلف بكل المقاييس، قوام ممشوق ينم عن تاريخ حافل مع ممارسة الرياضة، درجة وعي ونسبة لا بأس بها من الثقافة قلما تجدها في شاب من عمري، مظهر عام أكثر من لائق يفضح بيئتي الراقية، حتى إن الكل كان يندهش من وجودي بجامعة حكومية عادية، دارساً لشئ أكثر من عادي، لكنني كنت سعيداً هائئاً باختياراتي، شاعراً بتميزي الذي أراه في أعين الجميع، وهذا ما كنت أرغب فيه تحديداً، لكنني نسيت أن أحدد لنفسي هدفاً لمرحلة ما بعد التخرج، فماذا سأفعل بليسانس الفلسفة هذا سوى مجاورة أهلى بالمنزل؟؟!

شهادة جامعية، الزمالك، تأجيل الخدمة العسكرية، الزمالك، شيماء، واسطة، فودافون، شيماء، الزمالك، واسطة، الزمالك، شيماء، الزمالك، المركز الرئيسي بالمعادي، واسطة، شيماء، مواعيد عمل مريحة، شيماء، شيماء، شيماء...

والزمالك الزمالك الزمالك.. هذا هو ملخص حياتي
منذ عام 2004 وقت تخرجي وحتى عام 2007.
وتدور الحياة.. وتدور

وحين أراجع عمري بسرعة أجده ينقسم وبلا مبالغة
إلى رُبع وثلاثة أرباع.. رُبع به حياتي وثلاثة أرباع بها
الزمالك... فمن البيت للعمل بدون تركيز فى كليهما،
أخلع نفسي من أية التزامات أسرية أو عائلية، فلم أكن
أحبذ التواجد وسط بشر بلا رأس، تنحصر اهتماماتهم في
النميمة، إن تحدثوا في السياسة سيقولون كلمات جوفاء (لا
هتودي ولا هتجيب)، وإن تحدثوا في كرة القدم سيملاؤن
حياتي ضجيجاً مكرراً حول عظمة النادي الأهلي.. هراء
وراء هراء جعلني أنسحب من حياة الجميع بمن فيهم
أبي وأمي وأخي الوحيد، وأعيش وحيداً مع كتبي وحب
الزمالك.

أما في العمل، فقد كنت أدفع اللحظة تلو الأخرى
لأصل لنهاية العمل وأخلع تلك الحلة الكثيبة ورباط العنق
الأحمر الخانق فى حمام الرجال بالدور العلوى من الفرع...
أخلع معهما الكثير من التزامات العمل الروتينية السخيفة،
بين الاجتماعات التي لا تنتهي وإمضاء الأوراق ومتابعة
الخطوط والكروت.. أخلع كل ذلك وأرتدى ملابس خفيفة
تناسب مع حياتي التي تقبع خلف ذلك الباب الزجاجى..

وأذهب متلهف الخطا بسيارتي البيضاء إلى (ميت عقبة)، حيث تدريب الفريق في النادي... أحضر أحياناً مباراة في كرة السلة أو اليد، فنحن ملوك هذه الرياضات في مصر بالفعل، فمنذ سنوات يمتلك الزمالك زمام الأمور في أكثر من رياضة منها كرة اليد وتنس الطاولة والكرة الطائرة أحياناً.. ولكنني وفي الأساس أقطع تلك الرحلة يومياً من (المعادي) إلى (ميت عقبة) لمشاهدة التدريب المسائي للفريق الأول لكرة القدم، ثم القهوة وقص البرج والحديث عن النادي واللاعبين والجهاز الفني ومجلس الإدارة، وبالقطع مكالمات "شيماء" ذات الطابع الأسطوري.

لم أندم يوماً على ارتباطي بـ (ميت عقبة) بهذا الشكل المبالغ فيه، برغم الفجوة المعرفية والاجتماعية الواسعة بيني وبين معظم أهلها، فصحيح أنها أبعدتني عن (المعادي)، وحرمني هذا الارتباط من تكوين علاقات جديدة ومتينة بسكان (المعادي)، أو حتى الحفاظ على العلاقات القديمة، لكن ارتباطي الشديد بـ (ميت عقبة) ساهم بشدة في تقوية علاقتي بالزمالك، تاريخه وحاضره ومستقبله، وساهم في أن أقابل على الدوام بشراً مثلي لا يشغلهم سوى الكيان/ الوطن/ الزمالك وهو ما كان يهمني ويستهويني في الأساس .

قد تسخر منى الآن وتلاعب بك الظنون... هاهو
زملكاوي مختل آخر يصدع رؤوسنا بقصته مع تشجيع
الأبيض، لكنني أؤكد لك مسبقاً أنك لن تفهم مقصدي
إطلاقاً إلا إذا كنت مؤمناً بشدة بأى شىء، ووجدته يهرب
من بين أصابعك كالرمال الناعمة، الزمالك وبلا أدنى
مبالغة هو الدرب الذى أسير عليه، صحيح أنني أسير
عليه مهزوزاً.. صحيح أنه درب وعر وغير ممهد، ولكن
من قال إنني أهوى السهولة؟!، من قال إنني ممن
ولدوا وتعلموا كلمات بابا وماما و(بيب بيب أهلى) على
الترتيب، كمعظم المصريين.. من قال إنى أصدق حرفاً
من الترهات التي يروجها الإعلام الأحمر.. الأكاذيب التي
صدقوها من كثرة تكرارها... الخرافات التي زعموا وجودها
حتى أصبحت واقعاً ثقیل الظل بحكم كثرة التأكيد عليها..
من قال إنني هذا الشخص اللين الذى يسير مع الجموع
هاتفا باسم الأكذوبة الكبيرة المسماة بحب نادي القيم
الأحمر... من قال إنني هذا الرجل؟!.. أؤكد لك من
جديد يا سيدى أنك لن تفهمنى إلا إذا آمنت، فالإيمان هو
مفتاح كل شىء.

هذا هو بالضبط حالى مع الزمالك.. أراهن عليه
دوماً.. وغالباً ما أخسر الرهان لأسباب تخرج عن إرادة
كلينا - الزمالك وأنا- أنتظره كثيراً وأعلم أنه يجد فى
السير لأجلى، لا من أجل المزيد من أوراق البنكنوت،

الزمالك هو الوطن كما نحلم ونتمنى، الوطن الذي نتمنى أن ينتفض بعد سنوات القهر والجمود، الزمالك فتاة جميلة يجرى وراءها الحالمون من أمثالي.. اختبار صعب يخشاه الجميع... وظيفة محترمة فى شركة متعددة الجنسيات يرغب بها الجميع.. كرسى فخم يعطيك انطبعا مستمراً بالعراقة والثبات، الزمالك يرغب بك ويقبلك ويتعامل معك بكل ما فيك من عيوب وسخافات ونواقص.. الزمالك يقبل التراجع.. يقبل الخسارة.. يقبل القسمة على الجميع.. الزمالك مثال واضح للتحدى، للقيام والتماسك بعد العثرات التي تأتي واحدة تلو الأخرى.. الزمالك يبادل لك الحب إن أحببته.. يصدقك إن صدقته.. يبدو كشيخ عجوز أبيض الجلاب واللحية لا يرهبه شيء، لا يحيط به أحد، يمشى متاثلاً لكنه محدد الهدف مستنداً على عصاه المتينة التي يصنعها أبناؤه ومحبوّه.. الزمالك إن وقع آمن بالوقوف من جديد، وإن اعتدل فى سيره يفعلها بفخرٍ حقيقي.. الزمالك مجلد كبير يحوى آلاف القصص لن يمكنك حصرها.. لغز كبير يكمن حله فى الإيمان به.. يكمن حله فى التصديق.. أنا صدقت.. الملايين فعلوا.. فهل تبعتنا؟!..

المعادي، باليرمو، الكورفا سود.

أشجع كرة القدم منذ هدف اللاعب (مجدي عبد الغني) الشهير والذي سجله فى مسابقة كأس العالم التي

أقيمت فى إيطاليا، جاء الهدف يوم الثلاثاء 12 يونيو 1990 فى مرمى هولندا من ضربة جزاء عادلة بعد أداء متميز من منتخب مصر بدءاً من الحارس العملاق، الإعلامي العملاق حالياً أحمد شوبير.. مرورا بهشام يكن وهانى رمزى فى الدفاع وكل النجوم جمال عبد الحميد وحسام وإبراهيم حسن وطبعا عريس المونديال- هداى مصر فى كأس العالم كما يقول الخبثاء- مجدى عبد الغنى ومن قبلهم جميعا الجنرال محمود الجوهري قائد مصر فى المونديال- وهي معلومات عرفتھا فى مرحلة لاحقة بالطبع- ذلك أننى فى هذا اليوم كنت على مشارف الأعوام الثمانية من عمرى، سمعت آهات والدى و”وليد“ مخلوطة بصرخاتهم المتوالية وأذكر أننى كنت أرسم وقتها فى غرفتى.. دفعتنى أصواتهم المزعجة لاستكشاف ما يحدث فى المنزل.. لأشاهد ”وليد“ واقفاً على الأريكة قافزاً فى لحظات راقداً فى أخرى.. وأرى والدى - الوقور جدا- مرتديا جلباب منزلي جاثياً على ركبتيه أمام التلفاز يكاد يبكى مع هجماتنا المتتالية.. يصول ويجول.. يصرخ.. ينفعل.. جلست لأراقب المباراة مندهشا متسائلا (كيف تفعل كرة القدم بالبشر ما أراه؟).

وبعد دقائق من تواجدى أمام الشاشة وتحديدا فى الدقيقة 83 نزلت عدالة السماء على إستاذ باليرمو... ورغم أننا نعيش فى حي هادئ من أحياء القاهرة إلا أننى

[illegible]

ومن لحظتها وجدتنى مدفوعاً لمتابعة صور وأخبار
المنتخب فى الجرائد اليومية التي يشتريها أبى بانتظام،
ومنها إلى أخبار الزمالك، فانتماأتك الكروية يحددها
شخص ما أو موقف ما يقبع بعيداً فى مؤخرة ذاكرتك
لكنك لو كنت مثلى لتذكرته جيداً.

معجون أنا بكرة القدم، لهذا فأنا أتذكر نزولى فى صباح هذا اليوم عام 1993 لأشتري الأخبار والأهرام والوفد لوالدى.. أرانى بوضوح شديد.. طفلاً فى الحادية عشرة... يمشى متثاقلاً بعد أن استيقظ من نومه مغصوباً، يتجه إلى عم رضا بائع الجرائد الذى يجلس بالقرب من المنزل،

جريت بعيونى على صفحات الجرائد المتراصة بجوار بعضها، إلى أن شدني عنوان رئيسي على صفحات جريدة الجمهورية، ورغم أن ذلك كان منذ سنين طويلة إلا أنني أذكر ما كان يحمله هذا العنوان من معان... فوز (نادر) للزمالك على أشانتي كوتوكو - وهو مانشيت يمجّد في حارس مرمى فريقنا آنذاك (نادر السيد) الذى كان نجم المباراة - ويحتفى المانشيت بالزمالك فيقول.. الزمالك يحتفظ بكأس إفريقيا للأبد.. الزمالك بطل إفريقيا على حساب أشانتي كوتوكو بضربات الترجيح.. وصحيح أنني لم أشتري الجريدة، لكن العنوان البراق وحده كان كافياً لأعود إلى منزلى فخوراً بالإنجاز (المصري) الذى حققه الزمالك، وأتحدث مع أبي وأمي وأخي لأيام وأيام عن الزمالك، ولتبدأ فى تلك الفترة كرات دمي البيضاء فى التحول ببطء وثبات إلى كرات دم بيضاء بخطين حمراء.

تلك كانت بداية رحلتي مع تشجيع الزمالك، سنوات كانت كـ "جس النبض" بالتعبير الكروي، أتلّمس فيها طريقي نحو العالم الأبيض الرحب، وقابلني الزمالك وقتها بترحاب، لأنه كان يكسب البطولات، الزمالك كان يصارع الكبار ويهزمهم، الزمالك كان يلعب كرة القدم مخلصاً متحمساً راغباً فى الفوز، وامتلات حياتي باللحظات الفارقة التي ساهمت في رفع معدل زملكاويتي بشدة، لمسة ساحرة من هذا اللاعب أو ذاك، هدفاً ذكياً إحترافياً، بطولة محلية أو قارية.

”الأيام مفيش أسرع منها“.. هكذا كنت أسمع دوماً من والدي، فأرى الآن بوضوح ارتيادي المتكرر لمدرجات الدرجة الثالثة يمين المقصورة بإستاد القاهرة (الكورفا سود) أجلس أحياناً أعلى المقصورة.. أحياناً في الدرجة الثانية التي تواجه كاميرات التلفزيون.. أحياناً أفشل في دخول الإستاد... أحياناً أذهب مع أصدقاء وشركاء القهوة لإستاد الإسكندرية أو الإسماعيلية أو غيرهما لمشاهدة مباراة للفريق هناك، وتجرى أمامي الأيام.. كم من الدقائق مرت في الملاعب.. آلاف من نقاط العرق سالت مني في المدرجات كما سالت من أبطال الفريق على أرضيات الملاعب.. ومئات من النقاط يكسبها أو يخسرها الزمالك.. عشرات المدربين.. آلاف التقسيمات في ملعب حلمي زامورا.. وتلهث أمامي الأيام، وأتذكر لهفتي لكى أنتظر العدد الأول من مجلة الزمالك... وصراعي المميت للوصول إلى الأسطورة (حازم إمام) بعد شرائى لقميصه لكى أحصل على توقيع عليه أثناء خروجه من تقسيمة صباحية للفريق.. أتذكر فرحتى وتصفيقى وصراخى مع أهداف الزمالك.. وتعود بى الأيام لأتذكر حسرتى عند خسارته للنقاط والبطولات.

وتمر الأعوام، يتبقى فى ذاكرتى ما يستحق البقاء فيما يتعلق بكافة جوانب حياتي ويستقر فى تلك الذاكرة كل ما هو زملكاوي.

معجون أنا بكرة القدم، لهذا فأنا لم أعرف أبداً سر الفوز الدائم للأهلى.. عندى كأي زملاوي ما يشبه اليقين بأن الحكام واتحاد الكرة المصري والحروب الإعلانية الخفية لهم دور فى ذلك بكل تأكيد، فكرة القدم (بيزنس) ضخم ينتفع منه الكثيرون، لكننا فى المقابل كنا نخسر نقاطا كثيرة.. نعم هم يفوزون بالتحكيم.. يحصلون على درع الدورى بالتحكيم.. يلعبون فى كأس العالم للأندية أكثر من مرة بالتحكيم!!.. لكننا أيضاً كنا نخسر ونخسر ونخسر لسر لا أعرفه، ويبدو أنني سأموت قبل أن أعرفه.. وبمنتهى الحياء أعترف أنه وإن كان للتحكيم يد فى خسارتنا أحياناً، إلا أن تذبذب مستوانا فى كثير من الأحيان وعدم استقرارنا الفني والإداري على الدوام، كانا سبباً رئيسياً فى تسيدنا للمركز الثاني لسنوات طويلة!!.. وعلى مدار الأعوام تغير وجه الزمالك مرات ومرات، تغير لاعبوه ومجالس إدارته وأجهزته الفنية.. لكنه ظل يحترف الخسارة.. يتقنها.. حتى إنني شعرت فى بعض الأوقات أن الزمالك أوشك على إدمانها.. للأسف .

أرانى فى مواقف عديدة ترتبط بتشجيع الزمالك وحبى الذى يصل إلى درجة الهوس، لكنني لن أنسى أبداً يوم الاثنين 13 أغسطس 2007.. وهو اليوم الذى بدأ فيه الزمالك مشواره فى الدورى العام لموسم 2007 - 2008.. يوم مباراة الزمالك مع الإسماعيلي.. مباراة

هي ككثير من مباريات الزمالك.. لكنها تحمل معنى
خاصاً عندي، ذلك أنها كانت أولى المباريات التي
أحضرها في الكورفا سود كعضو ناشط وفاعل من أفراد
(ULTRAS WHITE KNIGHTS) والتي تعرف في الجرائد
والمجلات وبين جموع المصريين باسم.. أولتراس زملكاوي.

ثانى رُبْع ساعة « الليبرو »

الطريق من (ميت عقبة) إلى المعادي:

تركت المقهى بعد جلسة طالت كثيراً، وتأبطت ذراع "ناصر" باحثاً عن بعض الدفء، متجهين إلى سيارتي التي وضعتها بالقرب من النادي، وفي طريق عودتنا كنا نتناقش بجدية عن دورنا كأولتراس في المرحلة الحالية من عُمر الفريق، والتي يتذبذب فيها أداؤه بشدة، كنت أرى أن دوري هذا الموسم (2008-2009) ليس لنا بكل تأكيد، فقد خسرنا مباريات سهلة للغاية، ونستعد لمباراة سهلة جداً نظرياً في الغد كنت أثق في خسارتها مثل ثقتي في نفسي (وهو ما حدث بالفعل)، وكان "ناصر" يرى على العكس أن الفرصة مازالت قائمة، فنحن مازلنا في فبراير، والدوري مازال طويلاً.

- هو من إمتى الأولتراس بيبأس كده يا "مووس"؟؟...
هكذا قال.

وإن اتفق كلانا على ضرورة تواجدها المستمر بالملاعب لتشجيع الفريق والشد من أزر اللاعبين مهما كانت الظروف، وذكروني "ناصر" أن أيامنا تلك ليست الأسوأ، حيث تذكرونا سوياً (ديسمبر 2007) حين تشاركنا في لبس الحداد ورفع لافتة سوداء بالملعب أثناء مباراة الترسانة مع الزمالك قالت بوضوح (افتقدتم الرجولة، ففقدتم تعاطفنا).

. الله لا يعيدها أيام.. كنت بموت ساعتها
قالها "ناصر" بصدق حقيقي، وهكذا كان شعوري، كنت
قلقاً للغاية على مستقبل الفريق، وأعلم أنه لابد من "ثورة"
داخل جدران النادي لإعادة الفريق إلى المسار الوحيد الذي
نتمناه له جميعاً.. مسار البطولات، لكن الموسم اقترب من
نهايته، ولا يبدو أن هناك أية بارقة أمل، وبخبرتي مع الوطن/
الزمالك فإن التغيير لن يأتي إلا بعد صفعة قوية نتلقاها
جميعاً، وكنت أرى تلك الصفعة في الأفق... وبوضوح.

وصلنا إلى (المعادي)، وأوصلت "ناصر" إلى بدايات
شارع (أحمد زكي) الشهير فخبرتي علمتني أن أتركه هنا
وإلا أقود سيارتي في الأدغال التي يسكن فيها تجنباً
لحرق دمي، ثم أكملت طريقي إلى "دجلة" عبر شوارع
المعادي العنكبوتية، هاتفـت "شيماء"، لأعتذر لها عن
عصيتي المبالغ فيها، ووعدتها بأن أمر عليها غداً في
كليتها، وأصطحبها إلى الغداء في مطعم (بكين) القريب
من القرية الأولمبية بالمعادي، فرحت بدعوتي، وأغلقت
الهاتف، ممنى نفسي بمساءٍ دافئ في الغد بين أحضانها،
لذا فقد هاتفـت "هشام" صديقي من فوري، حاجزاً شقته
لنفسي في الغد، وافق كعادته، بعد أن نصحني بأكلة
فوسفور قوية، كذلك حدثته عن بحث "ناصر" عن عمل
وفكرتي في أن يعمل لدى أبيه، ووعدني بطرح الأمر على
الوالد بمجرد عودته من سفر قصير خارج البلاد.

المعادي- وسرير في المعادي:

- المايوه ده هياكل من جسمك حته يا فراولة..

عقبالي بئأأأأأأأأأأ

كانت تعلم أنه صادق، وأن المايوه الكحلي يجعلها فاتنة بحق، وأعجبته جراته الشديدة التي أعلن بها رغبته في (أكلها).. نزلت هي اليوم من الفيلا وقد قررت أن تلف رأس "مصطفى"، وقررت أن ترتدي أكثر مايوه (Sexy) لديها لتكون على ذات المستوى مع "مصطفى"... فما هذا الكائن الخرافي، أهنالك حقاً رجال على ذلك المستوى من الوسامة؟؟... عيناه رومانيتان واثقتان، وشعره البني الغزير الطويل، أكتافه العريضة التي تفضح سنوات وسنوات من ممارسة الرياضة، استقامة ظهره وصلابة عوده... وصوته!!!... ما هذا الصوت؟؟ إنه يشبه صوت (أسامة منير) كثيراً، وقور، رخيم.... إنه رجل مثير إلى حد بعيد.

قررت "شيماء" منذ تلاقى عيونهما لأول مرة منذ شهر أن تحظى بهذا الشاب الممتاز، يبدو قوياً وسيماً ثرياً وابن ناس.. فليكن، وحتى إن لم يعجبها بعد التعارف وبعد أن (يتصاحبا) لأيام، فلتتركه ببساطة.. ولكنها تعلم أنها لن تتركه قبل أن تمشي معه في كافة طرقات النادي، لتقوم بتوصيل رسالة إلى "كريم" أنه ارتكب جُرمًا فظيماً حين قرر أن يقطع علاقته بها.

رأت هي "مصطفى" لأول مرة في تدريب الغطس، كان يجلس وحيداً، ويبدو أنه صديق المدرب، فقد وجدتهما يتصافحان، ويُحيي كلا منهما الآخر بابتسامة من وقت للآخر.. كان الفريق يستعد لبطولة، ولذا كان التدريب طويلاً ومرهقاً، وحين انتهت تدريبات (السويدي) والإحماء، وبدأ التمرين في الماء كان "مصطفى" قد اختفى.

خَرَجَتْ "شيماء" من التدريب بعد وقت طويل لتجد امرأة سيارتها مكسورة، ويقف بجوارها "مصطفى"، قال إنه كسر المرأة بسيارته دون قصد منه، فذهب فوراً إلى (شارع 77) القريب واشترى لها امرأة جديدة، وانتظرها كي يذهب سوياً إلى ورشة قريبة يعرفها، ليقوم بتركيب المرأة على حسابه!!

صدقته "شيماء" بمنتهى السذاجة، فقد كان يلعب دور الشخص المحترم ببراعة، كما كان يبدو عليه التأثير والأسف الشديدين، وحين انتهيا من تركيب المرأة كانا يتبادلان أرقام الهواتف، في حال احتاجت أي شئ في أي وقت، ولكي ترد له موقفه (الشهم)... هكذا قالت.

وفي صباح اليوم التالي، بدأت لقاءاتهما المنتظمة والتي لم تنقطع طوال شهور وشهور، حين دعاها في هذا الصباح إلى فطور على الطريقة الأمريكية داخل مطعم

(لوسيلز) الأنيق بشارع 9، ثم عبرا الطريق الصغير حيث يقع بار وكافيه (فيلا 55) وبدأت العلاقة التاريخية التي ستألفها شوارع (المعادي)، وسيعرف بها كل فرد في من أفراد هذا الحي الراقي.

تسكن "شيماء" في فيلا صغيرة بشارع 101، ورثها الأب عن الجد، من قبل علاقتها مع "مصطفى"، الأم رحلت منذ عامين، وتعيش هي كأي فتاة صغيرة في سن المراهقة، تتشابك علاقاتها مع الشباب من مدرستها وفي النادي، خاضت الكثير من العلاقات العاطفية الفاشلة في سنوات ثلاث، كانت آخرها مع "كريم" الذي تركها بلا مبرر قوي، وارتبط بصديقة لها في النادي.

بحثاً عن التعويض النفسي، بحثاً عن الأمان الذي لم تعد تشعر به منذ وفاة (مامي)، ونظراً لصغر سنها، كانت "شيماء" على أتم استعداد لتصديق كل كلمات "مصطفى" المعسولة ووعوده الكاذبة، كانت تحب اسم "فراولة" الذي يطلقه عليها، كانت تحب اهتمامه بها، كانت تحب احتواءه لها باستمرار، سؤاله المستمر عنها، التزامه بحضور التدريب معها، متابعة نتيجة الثانوية العامة - حتى إنه سهر الليل كاملاً على الانترنت ليأتي لها بالنتيجة- وحين عرفت أنها ستحقق أحلامها لامحالة وستنضم إلى قسم اللغة الإسبانية بجامعة القاهرة، أحست بخليط ممتع

من المشاعر، فقد نضجت هي أخيراً ودخلت الجامعة، وستنتهي إلى الجامعة الأعرق والأكبر في مصر، ستقف أخيراً بجوار الساعة الشهيرة والتي تسمعهم يذكرونها في الراديو بلا انقطاع... (ساعة جامعة القاهرة)، كما إنها ستكون قريبة للغاية من المكان الذي وقف تحته عظماء مصر عبر التاريخ.. قبة الجامعة... كذلك فقد شعرت "شيماء" بأن "مصطفى" (وشه حلو) عليها، فقد فازت بالبطولة التي كانت تتدرب بسببها حين قابلته، نجحت في الثانوية العامة بعد أسابيع قليلة من لقائهما، ونجحت عن طريقه في التعرف على الكثير من خبايا (المعادي) التي تعشقها لكنها اكتشفت أنها لا تعرفها بصورة جيدة إلا معه.

علمت بعد أيام أن "كريم" تلقى علقه ساخنة من "مصطفى" أمام باب النادي بسببها، ففرحت أن (رجلها) دافع عنها أمام الجميع، وفرحت أكثر لما عرفت أن "كريم" اختفى لأسابيع بسبب تلك العلقه وأيقنت وقتها أنه لن يضايقها مرة أخرى.

في صباح يوم شتوي بارد، كانت تستعد لبطولة هامة.. وكانت تعرف أن "مصطفى" سيدعمها بتواجده في المدرجات، فقررت أن تبذل أقصى جهد لديها في البطولة، وفي إثارته، فهي تعلم أن "مصطفى" عينه زايفة، ولهذا قررت أن تحرقه بنيران إثارتها وتعمي عينيه عمن سواها من البنات.

نزلت من الفيلا وفي حقيبتها المايوه الكحلي، كانت تعلم أنها تتحول إلى حورية من الحور العين حين تضع جسدها داخله، وحين فازت بالبطولة دعاها "مصطفى" لسهرة بسيطة احتفالاً بهذه المناسبة في منزل "هشام" صديق عمره.

شربت Vodka ID لأول مرة في حياتها، تلقت هدية ذكية وغالية وبسيطة وأنيقة لأول مرة في حياتها، أكلت طعاماً صينياً تعشقه، تلقت باقة كبيرة من الورود البنفسجية البديعة، كما تلقت مايوه بكيني وردي اللون أظهر مفاتن جسدها كاملة أمام "مصطفى"... فاستسلمت جراء التأثير الساحر للهدية، وفتحت ساقها لمصطفى.. ليستريح.

لم تندم هي إطلاقاً على ما قدمته لـ "مصطفى"، فقد كانت تثق فيه بجنون، وتشعر أنه يحبها بعمق، وأن ما حدث بينهما في تلك الليلة وما تلاها كان من المحتم حدوثه إن الآن أو في أي وقت لاحق، فهو رجلها وهي زوجته، كما أنها تعلم أنها ساخنة ومثيرة وممتعة بصورة ستجعله أعمى إلا أمامها.. لذا فقد زادت ثقتها في علاقتهما ومتانتها، لذا فقد استمرت في إعطائه جسدها بلا قلق أو وجل.

كان "مووس" (هكذا يناديه الجميع وتناديه هي)، رجلاً ممتعاً في الفراش، لا يكف عن تقبيلها، لا يكف عن سكب كلمات الحب والغزل في آذانها، لا يكف عن مداعبتها، ولم يقم من فوقها مرة واحدة إلا بعد أن يقبلها قبلة طويلة، ويشكرها على الدقائق الممتعة التي قضاها مع جسدها... ياله من رجل.

تعلمت "شيماء" مع الوقت أنه لا رجل بلا عيوب، وكان عيب "مصطفى" الأبرز بالنسبة إليها هو (الزمالك).. ينافسها فريق الكرة هذا على قلب الشاب الوسيم، دارس الفلسفة، القارئ، المثقف، الواعي، موظف فودافون النشيط، الذي يضاجعها بنهم شديد... لطالما تخيلت هي أن "مصطفى" يبني سيناريو لقاءاتهما الحميمة على سرير "هشام" في (الوكر) وكأنه سيناريو مباراة، فيبدأ بجس النبض عن طريق القبلات التي يغرق يديها وقدميها وشفتيها ووجنتيها بها، ولما يشعر بتدفقها وتجاوبها، يتحكم بمهارة في منطقة وسط الملعب بأن يعتليها ويبدأ في محاولات هجومية فعالة، تثيرها كما تثار الجماهير في المدرجات، وحين يتبادل معها الهجوم والدفاع، يبذل أقصى طاقة ليحرز هدفاً ممتعاً، وحين يخرج منه عصير الحب، تشعر أنه يتذكر هدفاً ما من أهداف الزمالك، فيفرح للغاية... ويطمئن.

كانت تغار من (الزمالك) وإن تعودت على مجاراة
”مصطفى“، أحببت هي اسم ”نيرمين“ الذي يرغب في
إطلاقه على ابنتهما، فرغم أن الاسم قديم إلا انه متميز
ومتفرد، وهي أكثر من يعلم أن الأسماء العادية كاسمها
تجعل حاملها يحيا رغماً عنه في قالب لا يتمناه، فطالما
تمنت أن يكون اسمها أي شئ آخر إلا ”شيماء“ هذا...
فتحمست لنيرمين كثيراً.

- عرفها ”مصطفى“ على موسيقى الترانسات، وهي له
شاكرة.

- عرفها ”مصطفى“ على خبايا شوارع (المعادي)،
وهي له شاكرة.

- عرفها ”مصطفى“ على أحلى (عربية فول) في
العالم، وهي عربية فول فوزي أمام جامع الفكهاني
بالغورية، تلك المنطقة التي لم تدخلها في حياتها
إلا معه، وهي له شاكرة.

- عرفها ”مصطفى“ أن الاحتفال بعيد ميلادها
والمناسبات الخاصة دوماً له مذاق مختلف بحق،
مع المزيد من الهدايا (الذكية) التي يُغرقها بها،
وأن خير ختام لأي لقاء هو القبلية الطويلة الرائعة
المليئة بالحنان، وهي له شاكرة.

هي تعلم أيضاً أن لها عيوباً، فهي لحوحة أكثر من
اللازم، تقلق عليه بلا توقف وكأنها تخشى فقدانه في أي

لحظة، وهو غالباً ما يتوتر جراء طريققتها تلك، لكنه لم يصل بعد إلى مرحلة التجاهل، فهو دوماً ما يرد على هاتفه مهما كانت الظروف، ولأن لكل منهما عيوباً فهي تشعر معه بالتوازن، وقررت أن تحبه كما هو، هي تحبه .. وكفى، هو يملأ حياتها، وهي لا تريد إلا هذا الرجل الهادر المسيطر الشجاع القوي الوسيم الذي يُعوضها عن غياب أبيها في عمله ونصح وحنان أمها الراحلة، لا تريد إلا أن تحسدها عليه كل فتيات العالم، هي لا تريد إلا "مصطفى أحمد سعد الدين" بفلسفته وزمالكاويته، وعمقه وعصبيته... وحبه لها.

المعادي- ملاعب كرة قدم - كتاب التاريخ:

بين فبراير 2009 وإبريل 2010 حين انتهى كل شئ، لم يحدث في حياتي ما يستحق الحكي أو التركيز عليه، انتظام بالعمل في النهار، وشغف شديد بالقراءة واجتماعات الأولتراس وحضور المباريات بانتظام وصرامة، والكثير جداً من الجنس سواء مع جسد "شيماء" أو مع أي فتاة اقتسمها مع "هشام" رفيق عمري حين يرغب في ذلك - فهو ليس من مهاويس الجنس مثلي- وإن كان كأني شاب طبيعي يفتقد السيطرة على هرموناته في بعض الأحيان.

ورغم أن "هشام" أهلاوي منذ الصغر إلا أن جهله بكرة القدم أعفى كلانا من التعارك حول الزمالك والأهلي، هو صديقي وجاري منذ الأزل، اقتسمنا المدرسة والنادي والتسكع دوماً، واقتسمنا الفتيات في الفراش أحياناً، ولم تتأثر علاقتنا تلك بأي شئ حتى عند دخول كلا منا كلية مختلفة في جامعة مختلفة، فقد درس هو إدارة الأعمال في (مودرن أكاديمي) بالقرب من المنزل في المعادي، وظلت وتيرة علاقتنا ثابتة، راکدة، لا تتغير تفاصيلها، نلتقي ثلاثة أيام في الأسبوع أمام "كشك فرغلي" أحد أبرز علامات حينا الأنيق، والذي لن يمكنك أن تكون من سكان المعادي بحق إلا عندما تتسكع أمامه قليلاً، ثم نذهب إلى الجيم الفخم الموجود في شارع 9، وبعده نجلس على أي كافيه طلباً لبعض الشيشة والكثير من السجائر الـ (ميريت) التي نسد بها مسام الرئة بعد فتحها في الجيم.

ورغم التفاصيل الكثيرة في حياتي، تظل كرة القدم هي العلامة الأبرز فيها، فرحلتني معها بدأت منذ عقود وانتهت في إبريل 2010.. وعلى ذكر 2010 دعني أنعش ذاكرتك الكروية قليلاً.. مع بدايات الموسم الكروي لعام 2009 - 2010 استبشرنا جميعاً نحن الزملاوية خيراً وقلنا- كما يحدث كل موسم في الواقع- إن الدوري للمالك لا محالة.. وكان لنا في ذلك وقتها كل الحق.. فمعنا مدير فني كفء نجح في إنقاذنا من شبح الهبوط في الموسم

السابق (سويسرى الجنسية ميشيل ديكاستيل) والذى
دأبنا على مناداته جميعا نحن أرباب الدرجة الثالثة بـ
(ديكاستال).. واثنان من أقوى مهاجمى مصر وأكثرهم
شهرة وتألقاً فى ذلك الوقت هما (ميدو) و(عمرو زكى)..
يحرس عريننا الوحش (عبد الواحد السيد).. يدافع عنا
نجم المنتخب (محمود فتح الله).. وبجواره العمرين (عمرو
الصفتى) و(عمرو عادل).. معنا صفقة رابحة بالمقاييس
الإعلامية والفنية هي (حسن مصطفى) نجم وسط غريمنا
الأهلي الأسبق.. معنا أيضا صفقة راهن عليها نجم الزمالك
الأسبق الثعلب (حازم إمام) كثيراً وهي صفقة اللاعب (سيد
مسعد) والذى يشبه على مستوى الشكل (جود جونسون)
لاعب نادي توتنهام الانجليزى (فى ذلك الوقت) إلى حد
التطابق لكنه لم يثبت أن له أي علاقة به على مستوى
المضمون.

ما سبق، جعلنا كزمالك اوية نبدا الموسم وكلنا أمل..
فنحن نظريا نمتلك أقوى وأهم كتيبة من النجوم فى
حدود جمهورية مصر العربية.. أخيراً نمتلك ما كان الزمالك
يفتقده بشدة وهو الاستقرار.. ولكن للأسف كان ذلك على
الورق فقط.. وكعادتنا دوماً فقدنا النقطة تلو الأخرى..
هُزمتنا فى مباراة وتعادلنا فى مباريات .

بدأنا الموسم مع فوز (بالتخصص) على إنبي فى أول أسابيع الموسم فإنبي ورغم قوته وتماسكه وحفاظه على هيئته فى جدول الدورى العام إلا أنه بالفعل وحتى نهاية موسم 2009-2010 لم يستطع هزيمة الزمالك فى مباراة واحدة، فمنذ تواجده بالدورى الممتاز تعادل معنا ست مرات متتالية ثم هُزم أمامنا اثنتى عشرة مرة سواء فى الدورى العام أو فى مسابقة كأس مصر، وهو ما كان يجعلنى كزملكاي واثقا من الفوز على إنبي مهما كان مستوى فريقى، ثم خسرنا فى ثانى أسابيع الدورى من بتروجيت، وبتروجيت وقتها كان فريقًا قويًا وعنيّدًا، يمتلك بالإضافة إلى مدربه الكفاء وقتها (مختار مختار)، كتيبة من النجوم تتمنى نصفها كل أندية الدورى العام تقريباً.. ثم جاء بعد ذلك تعادل معجون بالهزيمة مع فريق المقاولون العرب، ثم فوز هزيل على الاتحاد.. ثم هزيمة من طلائع الجيش.. فهزيمة من الإسماعيلي على أرضنا بهدف قاتل.. ثم تعادل بطعم الهزيمة مع الجونة هذا الفريق الوافد الجديد للدورى فى ذلك الوقت.. وبعد مرور سبعة أسابيع كاملة من عمر الدورى نفوز على الإنتاج الحربى فوزا غريباً جداً فى الواقع بنتيجة 3 - 2 فلو استمرت هذه المباراة لدقائق قليلة إضافية لكنا هُزمنّا بجدارة!

يوم مباراة الإنتاج الحربى، يوم لا ينسى، فهو فريق حديث العهد بالدورى العام، كان هذا الموسم أول مواسمه

فيه، ورغم ذلك استطاع أن يخرج كيان ضخم كالزمالك- نحن التاريخ والسجل الحافل والملء بالنجوم- وبقوة.. يومها كنا نرتدى طاقما أسود بالكامل على عكس طاقم الزمالك الأبيض المعتاد، ويبدو أنه كان طاقما منحوساً... فكما ذكرت لك فقد كدنا نُهزم فى تلك المباراة، وقد خرجت من الاستاد يومها مكتئباً، خائفاً على مستقبل الزمالك، فها قد مرت سبعة أسابيع ولم نفعل أى شئ يليق باسم الفريق، خرجت من الملعب يومها، لتأتينى مكالمة من "شيماء" تتهلل فرحاً لأننا فزنا، وصحيح أننا كنا فى بدايات الشتاء، وكان الطقس لطيفا فى هذه الفترة، لكنني كنت أرتعد من البرد بلا سبب محدد.. فأتت مكالمة "شيماء" هذه المرة لتشعرنى بالدفء، وكانت تلك من المرات القليلة التي أدفأتنى فيها مكالمتها.. طلبت رؤيتى فوافقت بلا تردد.. التقينا فى منزل "هشام" صديقى- أو الوكر- كما نطلق عليه، وكان يوما ملعونا، فكما شهد تراجعاً فى منحنى أداء الزمالك، شهد أيضاً تراجعاً فى منحنى فحولتى... لم أكن طبيعياً بالمرة يومها، ويبدو أن حالتي المعنوية السيئة وخوفى على الفريق قد أثرا سلباً على أدائى فى السرير، فقممت من فوقها، لأرتدى ملابسى بسرعة وأخرج متحججاً بأن ورائى فى الغد يوما حافلا فى العمل.

ويبدو أن ارتداء الفريق للطاقم الأسود كان بمثابة بوابة جهنم بالفعل، فتوالت الهزائم بعد ذلك، من غزل

المحلة ثم اتحاد الشرطة، وأرجو ألا تنس أنه زمن (هنرى ميشيل)... فقد استغنى مجلس إدارتنا عن "ديكاستال" وقرروا أن يعيدوا إلينا الفرنسى الفاشل الذى يجلس فى موقعه على الدكة متفرجاً، متابعا بدون حراك، ينزل الملعب واثقا من الخسارة ولا يحرك ساكنا طوال 90 دقيقة لمحاولة التعديل، وأخيراً جاءت الإقالة المنتظرة، ارتفعت الأصوات فى تلك الفترة مطالبة بما يشبه "ثورة التصحيح"، لابد أن يتولى الزمالك رجل فاهم لحالة كرة القدم المصرية، قائد، حماسي، يأبى الخسارة، ولا يعرف إلا طعم النصر.. وبعد مباراة اتحاد الشرطة مباشرة خاض الزمالك تلك المباراة التي أعتقد أنها مباراة مفصلية فى تاريخ النادي طوال 99 عاما هي كل عمره المديد فى ذلك الوقت، مباراة حرس الحدود، والتي شهدت أول ظهور للعميد (حسام حسن) كمدير فنى للأبيض، وخسرنا فيها ثلاث نقاط مهمة للغاية بعد إحراز حرس الحدود هدف المباراة الوحيد، وبعدها مباشرة، أهدتنا السماء تعادلاً بطعم الفوز الساحق مع الغريم اللدود (الأهلي) أكد قوة العميد وحنكته، حيث إنه جاء بعد أقل من أسبوع من توليه مسئولية الفريق... ولا تنس أن يومها كنا نحن الأكثر اهتزازاً، وهم كانوا الأكثر تماسكاً، نحن الجانب الأضعف، وهم كالعادة الأقوى والأوفر حظاً، هم يمتلكون كافة المفاتيح، لكننا كنا نملك (المقصلة).. كنا نملك روح "حسام حسن".

”حسام“ سيبقى دوماً واحداً من أهم وأقوى الأساطير الكروية المصرية، فكل من عاصره أو رآه في الملعب يعلم تمام العلم أنه يمتلك روحاً قتالية قلما تتواجد في لاعب كرة قدم.. يقف شامخاً كتفاً بكتف مع عظماء اللعبة في العالم أجمع، مهاجماً فذاً، يتقن إحراز الأهداف، ينقل عدوى الحماس والولاء لكل من يجاوره على العشب الأخضر، يمتلك كاريزما الرجل الأول ويستطيع القيادة والتأثير في الآخرين بكل سهولة، هو شخص يستطيع تحويل الدفة بيسر وسلاسة في أى اتجاه يريد، وكانت بوصلته في تلك الفترة تشير بإبرتها في اتجاه وحيد.. اتجاه الزمالك.

زمن العميد.. ذلك هو الزمن الذي رفعنا رأسنا فيه، وعلا فيه صوتنا، عادت فيه الهيبة واستردت فيه العافية.. وفي وسط هذا الزخم كنت أعيش أنا حالة غير اعتيادية من الفرحة.. أتجول بين ملاعب القاهرة والكلية الحربية والإسكندرية والإسماعيلية وبورسعيد وأسيوط وغيرها لأؤدى واجبي كمشجع زملكاوي.. أترك الجزء التافه من حياتي وما يحويه من تفاصيل البيت والعمل والحب لأتفرغ بكل ما أوتيت من قوة وحماس وحواس للجزء الأهم.. للجزء الذي أؤمن به وبقوة.. الزمالك ولا شيء غيره.

الفوز ثم الفوز فالفوز ومن بعده الفوز.. كان هذا زمن ”حسام حسن“ ولهذا فقد توالى ضحايانا في الدورى

العام في سبعة لقاءات متتالية، وهو ما ساعدنا في الترتي داخـل الدوري لنصل إلى مركز متقدم للغاية بعد أن كنا نحتل المركز الثالث عشر، وتوقف قطار الفوز اللاهث بعد ذلك في الإسماعيلية بتعادل مقبول خسرنا به نقطتين ولم نخسر به من كانوا أصدقاءنا في شرق مصر... نعم، (من كانوا)!!.. فنحن كجماهير أصبحنا لا نثق في الإسماعيلي ككيان بعد احترافه أخذ الأموال من النادي الأهلي، وتعاطفهم -كلاعبين ومجلس إدارة - غير المعلن مع الأهلي، بل انصياهم له تماماً.

جاءت بعد ذلك ثلاثة انتصارات متتالية، ثم تعادل سخيـف قاس في تلك المباراة الدموية مع فريق اتحاد الشرطة والتي تحولت فيها أرضية إستاذ القاهرة إلى ما يشبه ساحة الحرب بعد أن حاول أبنائنا الدفاع عن الكيان الأبيض ضد القهر والتعسف التحكيمي المعتاد.. فجاء الرد بقرارات تجعلك كارها لكل شخص يستطيع أن يتحكم في مصيرك ومصير فريقك، جاء الرد بعيداً كل البعد عن الإقناع ليقهر اثنين من أهم لاعبي الزمالك وأصغرهم سناً وقتها (حازم إمام- علاء على) بحرمان الأول من الاشتراك في ثمانى مباريات مع غرامة مالية ثمانية آلاف جنيه مصري، وعقاب الثاني بالحرمان من نصف عدد المباريات ونصف كمية البنكنوت، فقط لأنهما حاولا الدفاع عن شرف فريقهما وكرامته المهذرة على أرضية الملعب، قرارات

همجية هي، قرارات أثرت فى نفوس الفريق والجماهير، لكنها لم تفقدنا الثقة فى صلابة العميد وعدوى الحماس التي نقلها للفريق... لم تفقدنى الثقة فى هذا الصرح الصلب.. فى هذه الأسطورة التي أرى أننا نبخسها قدرها كثيراً عندما نطلق عليها العميد.. أبداً لم تفقدنى الثقة فى "حسام حسن".

جاءت بعد ذلك هزيمة مفاجئة وغير متوقعة من حرس الحدود على أرضهم فى إستاد المكس بالإسكندرية.. هزيمة مرة هي، جاءت فى الوقت القاتل بالنسبة للمباراة (فى الدقيقة 91) وبالنسبة لتوقيت جدول الدورى العام، فقد جاءت قبل مباراة الأهلي مباشرة، وأعتقد أن التعادل مع اتحاد الشرطة والهزيمة من حرس الحدود لم يفقدانا مجرد خمس نقاط، لكن تحولهما إلى فوز، كان سيضمن لنا أن نستقر على عرش الدورى العام بنسبة تتخطى الـ 80 %، وذلك اعتماداً على عدد النقاط والفارق الذى كان سيضيق للغاية مع الغريم التقليدى واللدود (الأهلى) إذا وضعنا فى الحسبان أيضاً الحالة النفسية والمعنوية للاعبى الأهلي ومجلس إدارته وقطعاً حالة جهازه الفنى- المرتبك فعلاً وقتها.. وأكاد أجزم أن خريطة الدورى كانت ستتغير تماماً لولا ترتيب القدر.. مع الوضع فى الاعتبار أن الأهلي أخفق كثيراً جداً فى هذا الموسم.

الأهلي فى موسم 2009-2010 بكل تاريخه (المضىء)
كما يصوره الإعلام الأحمر، لم يحقق الفوز بفارق يزيد عن
الهدفين طوال مباريات الدوري، حتى مع بترول أسيوط
متذيل ترتيب الجدول... الأهلي فقط يسبقه الرعب
بمسيرة شهر، الجميع يخشاه لما يحملة من تاريخ قد
يكون مزيفاً وغير حقيقى، الجميع يهابه لما يسمعون من
الإعلام (الأحمر) عن مدى قوته.. الأهلي كان يبدو وقتها
كصندوق أضاع الساحر (مانويل جوزيه) مفتاحه الصدى،
فقد خسر الأهلي مع بداية الموسم بطولة كأس السوبر
المصري على يد حرس الحدود.. وفى الدورى كان قد
تعادل في كل المباريات الصعبة، وخسر من غزل المحلة
المهدد بالهبوط.

الأهلي المتخبط.. العنيف.. الطامح.. المترنح، كان
يستعد للقاء الفارس الآتي ركضا من الخلف.. سيقابل
العداء الذى سقط مع بداية جريه فى المضمار لكنه
اكتسب احترام الجميع عندما استطاع الوقوف على قدميه
مرة أخرى والاقتراب من المقدمة.. وزاد احترام الجميع له
عندما خضع له المربع الثاني، وسجد له المربع الأول،
عندما دنا كثيراً من شرب كأس النصر.. الأحمر كان يستعد
لمقابلة الزمالك.

وسأعتمد على أنك كروي الطابع مثلي، وأتحدث معك (كفنيين)، أنت تعرف أن أكثر ما يخافه فريق الكرة في أي وقت هو طموح الفرق الأخرى، وما يجعل فرائص الفرق الكبيرة ترتعد حقاً هو الفرق المماثلة إذا ترنحت ثم أفاقت، حتى أنهم في التحليلات الكروية العتيقة يملأون رأسك بالكثير من العبارات التي تحذرك من "القادمون من الخلف" فهم يأتون بغتة، يأتون مندفعين، يأتون وهم معبأون بالإيمان.. يأتون لتحقيق الهدف، والزمالك (القادم من الخلف) استطاع أن يجرى بين جنبات قاعة الدوري العام المصري ليجلس وحيدا وبلا منافس، واحد في الصف الثاني بعد أن كان يجلس في الصف الثالث عشر، يجلس في هذا الصف الذي سيسمح له بدخول بطولة إفريقيا أخيراً بعد سنوات عجاف، ليصفع الأهلي الجالس في الصف الأول على قفاه ويزيد من رعبه وتوتره... يجلس في هذا الصف ليصرخ في أذن (الأهلي) أن ما أخذ بالتحكيم المتحيز وبالأموال وبالحظ أحياناً، قد يُسترد بالمجهود والعرق والإيمان.

وكفرد أولتراس، كنت أعلم واجبي تجاه فريقتي تماماً، أعلم أنني اللاعب رقم 12، الذي يزأر بصوته محفزاً (زملاءه) في الفريق، وحتى قبل انضمامي رسمياً لمجموعة الـ (وايت نايتس)، كنت أمارس هذا الدور بلا وعي مني، وجل ما فعلته فكرة (الأولتراس) بي أن شذبت طاقتي ووجهتها

في الاتجاه الصحيح، فقد عشت حياتي زمكاًوياً مخلصاً، لكنني لم أكن فعالاً، وكأي ابن بار بوطنه/ فريقه/ أهله، علمتني الأولتراس أن أكون فعالاً مع الكيان.. مع الزمالك، لأتحول مع الوقت إلى شخص جديد، أحببته للغاية منذ لحظة انضمامي للمجموعة.

مدينة نصر - الحي السابع:

وكل الأحداث الجسماء، كان انضمامي للأولتراس مثيراً الجمعة 10 أغسطس 2007.. تشير عقارب الساعة إلى السادسة والرابع مساءً وأنا أنفث الدخان القليل الذي ينبعث من شيشتي التي قام القهوجي برص حجرها السادس لتوه.. نفس عميق.. رأسى لأعلى.. أنفث الدخان، ذلك هو قانون دخول (قص البرج) إلى رثتي إذا شئت الدقة، لكنني اليوم أفعليها بعصبية زائدة، بتوتر شديد.. أفعليها وقد اقتربت جداً من إلقاء خرطوم الشيشة أرضاً ومغادرة المكان.. لولا أنني لا أستطيع، فقد كنت في انتظار شخص مهم للغاية... ويزيد من توترى أن المقهى جديد كلياً عليّ، أجلس وسط عشرات الوجوه التي لا آلفها، على كرسي بلاستيكي أصفر اللون، داخل مقهى واسع جيد التهوية بالحي السابع في مدينة نصر، بالقرب من مكان الاجتماع الذي سألتقى فيه إخواني في المجموعة الأكثر نظاماً وتدفقا في مدرجات الزمالك.. الأولتراس.

كان الاجتماع تحضيرياً، نلتقى فيه قبل الموسم
بأيام قليلة لتوزيع المهام ولتعلمنا جميع المسؤولين عن
المجموعة بمسئولياتنا تجاه الزمالك فى الموسم القادم،
وليرفعوا من ثقافتنا الكروية والتشجيعية قليلاً.. اجتماعاً
كان بمثابة الحصة الأولى التي سأحضرها فى مدرسة
الأولتراس، ولهذا كان يملؤنى التوتر والحماس.. سئمت
من الشيشة السيئة التي جعلتني أفتقد ”مهدي“ ومهارته
في (رص) الشيشة كثيراً، فألقيت بخرطومها والذي يدعونه
(اللى)، وأخرجت سيجارة ملتوية من علبتى التي فقدت
آخر سجائرها لتوها.. أزعجنى أزيز هاتفى المحمول، فأرد
على ”شيماء“ قائلاً أننى سأبقى فى مدينة نصر لبضعة
ساعات، وأننى لن أقابلها نظراً لانشغالى بموضوع مهم
على القهوة وكالعادة ترد:

- دائماً حاجة مهمة يا ”مصطفى“.. دائماً !!! .

أرد ببرود وصرامة لثقتى فى أن برودي لن يغير من
موقفها إطلاقاً :

- أيوة، دائماً حاجة مهمة.. وبعدين انتى محمودة
ليه كده هو احنا بينا ميعاد النهاردة؟

فردت بصوت باكٍ :

- لا.. مفيش بيننا مواعيد ولا أى حاجة.. سلام يا
”مصطفى“.

تذكرت موعدى معها في اللحظة التي أغلقت فيها
الخط، موعد فاتنى بكل تأكيد، وعلمها كانت تهاتفنى أثناء

انتظارها في "فيلا 55" فقد كان عليّ أن أقابلها قبل ساعة من الآن ثم أصرّحت بجسدها إلى (الوكر)، لكنني لم أبه لنسياني الموعد وتفويته، ولم أندم على تلك الليلة الحمراء التي أعلم أن "شيماء" تنتظرها منذ أيام حيث لم يتلاقى جسدانا منذ أوائل الأسبوع الماضي، لكنني لم أبه كما قلت حيث إنني لم أعد أطيق تلك الفتاة، ولولا أنني ألوم نفسي في كل يوم على علاقتي بها، ولولا أنها طيبة القلب بحق، لكنت تركتها ولا أبالي، هي جميلة وتحبني، تثق فيّ وتخطب ودي على الدوام، وأنا لا يربطني بها سوى أنه لا أنثى سواها في حياتي - مع استثناء بعض العاهرات- ونشاطها غير العادي في السرير... والاعتقاد.

هي داخل السرير كخارجته، تبذل كل ما تستطيع من الجهد لإرضائي وإسعادي، تستجيب لطلباتي أيّاً كانت درجة شذوذها، حتى إنها استجابت لطلبين متناقضين بذات الأسبوع حين طلبت منها ارتداء الحجاب، وحين مللت صورتها به بعد أيام خمسة أمرتها بخلعه، وقد كان.

وأعلم أن فحولتي ليست سبب تعلقها الشديد بي، أنا رجلها كما تفهم هي كأنثى، كانت واثقة أنها هزّمت العديد من الفتيات حين فازت بأول لقاء معي، هي تعلم أن لفوران جسدها وملاحها الجميلة الواضحة كل الفضل في لف شباكي حولها، وقد استسلمت لي بعد

أول دقائق قضيناها سوياً وقت أن بدأت علاقتنا في 2005، ولم لا وأنا أعمق وأقوى وأذكى من قابلت من الشباب في حياتها القصيرة؟، صحيح أنني لست الأكثر ثراءً، خاصة أن المعادي تمتلئ بمن يمتلكون أضعاف ما أملك، لكن "شيماء" تتعلق بـ "مصطفى" لا بجيب "مصطفى" وحساباته البنكية.

وأعلم يقيناً أن استمتاعها بي في لحظاتها الخاصة زاد من تعلقها بي، اللحظات التي كلما زادت كلما زاد يقينها بارتباطنا الحتمي، وزاد شغفي بتركها، تحدثني هي دوماً عن حياتها الساذجة داخل جامعة القاهرة، وانبهارها بما تدرس من مواد... بيتنا وزواجنا... رغبتها في تصميم وتنفيذ حفل زفاف نهاري مختلف عن كل ما رأت، عن ترك المعادي بحثاً عن منزل منعزل بالشروق أو الرحاب، تحدثني عن رغباتها للإلتحاق بالعمل في إحدى سفارات دول أمريكا اللاتينية، إلى آخر (كلام النسوان) الذي لا أهتم به حقاً.

- تعرف رقم خدمة عملا فودافون والنبى يا كابتن؟
سؤال مباغت من الرجل المسن الذي يجلس على المنضدة المجاورة لي في المقهى، انتزعني من أفكاري حول "شيماء"، ليلقي بي في دوامة جديدة من الأفكار.. أعطيته الرقم، بل وساعدته فيما يريد أن يستفسر عنه في الهاتف.. شاكراً إياه في أعماقي حيث قذف بعقلي إلى

مكان آخر، أقتل بوجودي فيه دقائق الانتظار في المقهى التي طالت حتى ساءت حالتي... أرسلني هو دون أن يقصد إلى فودافون.

كنت أعمل في الشؤون الإدارية بالشركة، اجتمعت رغبتني وطاقتي مع ظروف وطبيعة شخصيتي وأقداري، ليجعلوا مني موظفاً أكثر من تقليدي، ألتزم بالزي الرسمي، ألتزم بمواعيد العمل، أتعامل مع الجميع بودٍ زائف، وصحيح أنني لا أحتقر المكان أو سكانه من البشر، لكنني وبالأساس لا أكن أية مشاعر تجاههم سلبية كانت أو إيجابية، ولهذا فقد كنت أتعامل معهم بما تقتضيه علي الظروف، أنا موجود في فودافون لأتطور وظيفياً وأتقاضى راتبي بانتظام، أنا هنا حتى أجد فرصة أفضل ترفع من راتبي قليلاً... فقط لا غير.

علمني تواجدي في شركة منضبطة لها نظام واضح كفودافون أن أتصرف بشكل عادي، أن أكون هذا الشخص التقليدي، المنضبط، الشهير بين زملائه بأنه الشخص المثقف الذي يعرف كل شئ، فالكل يطلب رأيي حول كتاب يقرأه، الكل يريد نصيحتي حول حياته الخاصة والوظيفية، الكل يريد مني فتح خزانة عقلي لأجيبه عن سؤال عويص في الكلمات المتقاطعة.. الخ، وهو ما سهل لي كثيراً أن أعرفني الجميع ويلجأ لي الجميع، وسهل

كذلك أن أرسم دور غريب الأطوار بدقة، فأصمت أكثر مما أتكلم، وأتهرب بسهولة من أية التزامات خارج إطار العمل، فلا أحضر حفل عيد ميلاد لزميل أو زميلة، ولا أرافق أي شخص على الغداء، ولا حتى أجاور أي شخص بغرفة التدخين التي أزورها مرات عديدة أثناء ساعات العمل، ولهذا فقد اشتهرت بين الجميع بأنني الشخص الذي يهرب على الدوام من محاولة أي شخص التودد إليه ولو حتى بتحية الصباح.

لكنني مريض بالنساء
لكنني أزداد مللاً من جسد "شيماء"!!

ولأنني من البيت للنادي للاستاد للبيت للعمل للنادي وهكذا، فقد تقلصت فرص لقائي بأي صنف أنثى كثيراً كثيراً.. بكل تأكيد لن أرتبط بأي فتاة من عالم (ميت عقبة) فأنا أصلاً لا أقابل هناك أية فتاة، كما أن علاقتي ببنادي (المعادي) شبه مقطوعة ولا يحافظ عليها إلا زيارة أو اثنتين على الأكثر كل عام، ولم يكن أمامي إرضاء لشهواتي وهرموناتي إلا باباً واحداً كنت شديد الحرص على عدم فتحه، لكنني فعلت... العمل!!

DON'T SHIT WHERE YOU EAT

مثل إنجليزي بليغ أعيد تكراره على نفسي باستمرار،
لا تُلْقِ بفضلاتك حيث تأكل، لا تلوّث "أكل عيشك"، لا تقُم

بدور زير النساء في مكان العمل، سيطر على هرموناتك..
لكنني كنت أفور، لكنني مهتاج ومحتاج، والمداخل قليلة
للغاية، وبعد أكثر من سنة من علاقتي بشيمااء وملي من
جسدها ورائحتها، تغاضيت عن الحكمة الانجليزية، وتبعت
شهواتي.

المقطم:

استيقظ "علاء" من نومه في هذا الصباح الخريفي
الكئيب، وهو يشعر بملل غير طبيعي، ورغبة غير عادية
في التكاثر وعدم الذهاب للعمل، كان الوقت مبكراً،
وما زال أمامه بعض الوقت، ورغم إلحاح كسله إلا أنه كان
يؤمن بجسامة المسؤوليات الملقاة على عاتقه، لذا فقد
قرر إمضاء بعض الوقت مع جسد زوجته الدافئ، عليه
يستعيد بعضاً من طاقته، فبادر بإيقاظها وطلب منها كوب
شاي في "الأنترية"، وكعادتها استسلمت لرغبته وقامت من
فورها.

-متجيبيش الشاي إلا بعد ما تحطي شوية أحمر
وأخضر... ماشي؟

قالها مبتسماً بحنان حقيقي، وفهمت هي مراده
فابتعدت خارجة من الغرفة وهي مسرعة الخطى في
اتجاه المطبخ، وبعد لحظات سمعته يدخل الحمام، فعادت

إلى غرفة النوم مرة أخرى، لتجلس أمام المرأة وتنظر إلى ملامحها الدقيقة، وتبدأ في وضع بعض مساحيق التجميل الخفيفة، وتتعطر بلا أن تنتابها أية مشاعر أو تعثرها أية رغبات... كالعادة.

أطفاً "علاء" سيجارته في المنفضة القابعة على منضدة زجاجية صغيرة تتوسط غرفة المعيشة في منزله الرحب الأنيق، نظر إلى أصابعه التي تلوّثت ببقايا السيجارة، وابتسم حين تخيل أن نفس تلك الأصابع ستلوّث بعد قليل بما بين فخذي امرأته من دلائل الشهوة والعشق... مد يده في جيبه ليتناول (بخاخة) صغيرة ورش بعضاً منها داخل فمه، وابتلع نكهة النعناع الحادة في نهم، ثم رفع صوته منادياً على "حنين" زوجته.. التي أتت وهي مرتدية بيجامة منزلية وردية اللون، تتماشى مع الطقس البارد نسبياً بالخارج.

أجلسها بجواره، وأدخل يده اليسرى ليداعب ثديها المكتنزين، وسط استياء بدا على ملامحها، ولم يُلْقِ هو بالاً لاستيائها كعادته، كان يعلم أنها تكره طريقته في استدعائها للجنس، حيث صرحت له مراراً أنها تشعر على الدوام أنها وبطريقته تلك لا تزيد في نظره عن عاهرة، يمتلكها بسطوته وقوته ونفوذه، وذلك ما لم تكن تتمناه في زوجها أبداً... لكنه كان دوماً يرغب في الشعور بأنه

رب المنزل، وسيد الفراش، هو (مزاجه) كما يفهم، وليس على زوجته إلا الطاعة.

بدأ "علاء" في خلع ملابسها عنها، قطعة تلو الأخرى وهو يأكل جسدها بعينه، خلع عنها البيجامة الوردية وترك ملابسها الداخلية متعمداً، ثم خلع حزامه الجلدي الأنيق، أدارها.. ثم ربط يديها من الخلف وهي لا تملك من أمرها شيئاً.

. أوقفها في مواجهة حائط المطبخ، وتركها لثوانٍ عاد بعدها من غرفة النوم حاملاً "سوطاً" شرس المظهر كان قد صنعه بنفسه بعد أيام من الزواج، ثم بدأ في جلدّها بقسوة أمراً إياها ألا تصدر أي صوت، وظل يتابع بشرتها الخمرية الطرية وهي تتحول إلى اللون الأحمر تحت وطأة ضربات سوطه.

وحين شعر بالرغبة تشتعل، خلع عنها ما ترتديه من بقايا، وخلع ملابسه بسرعة، قائلاً أنه سيجرب شيئاً جديداً عليهما.. فحملها عارية تماماً وعلقها على الحائط بعد أن ربطها من الحزام في عمود معدني يستقر على باب غرفة المعيشة يستعمله كتدريب "عُقلة" في بعض الأحيان.

أخذ لها صورتين أو ثلاثة بهاتفه المحمول وهي في هذا الوضع المخزي، ولم تُجدِ توسلاتها إليه نفعاً، بل زادته حماسة وإصرار، ثم بدأ في مضاجعتها وهي معلقة كالذبيحة، نصف ساعة تقريباً مرت عليها كنصف قرن، وانتهى بعدها كل شئ.. تركها معلقة في هذا الوضع لدقيقة ارتدى فيها ملابس، وبدون أية أسباب، انطلق في جلدّها من جديد... وبمنتهى الوحشية والعنف، حتى سالت من جسدها بعض الدماء، وسط صرخات أمرها ألا تُصدرها في البداية، ولما لم تستجب لأوامره دلف إلى المطبخ وعاد بخرقة بالية تستخدمها "حين" لمسح منضدة المطبخ ووضعها في فمها ليكتم صرخاتها، ثم عاود جلدّها من جديد، وفارت شهوته من جديد، فضاجعها من جديد، وانتهى كل شئ بسرعة من جديد، فقرر أن ينزلها، ثم فعل ما استغربه "حين" للغاية... قبلها بحبٍ حقيقي قائلاً: - أنا متشكر أوي يا "حنة"... واحدة غيرك عمرها ما كانت استحملت الهبل اللي بعمله دة.

لم تعرف "حين" بماذا تجيبه في تلك اللحظة، كانت الدماء التي تسيل من ظهرها، والألم الشديد الذي يعتري جسدها كله من جراء التعليق والضرب يشغلونها عن الترهات والكلام الفارغ الذي يقوله "علاء".. فأثرت الصمت والاستسلام لقبلاته.. والبكاء.

وبعد خروجه من المنزل بثوانٍ، كانت "حنين" تقف عارية تماماً أمام المرأة في الحمام، مضمضت فمها لتطرد طعم الخرقه البالية منه، وربما لتطرد طعم قبلات "علاء" كذلك، تنظر إلى جسدها الذي أنهكه تكرار العنف، وتحقق في وجهها ببلاهة، واعترتها رغبة عارمة في البكاء، تحسست مناطق الألم والدماء، تأوهت قليلاً، وبكت بحرقة، تذكرت رقبته وعذوبته قبل الخطوبة والزواج، تذكرت خروجهما المستمر وأطنان الكلمات الرومانسية التي كان يلقيها في آذانها، وندمت أشد الندم على تصديقها لتلك الكلمات حين اكتشفت بعد أيام من زواجهما ميوله السادية الواضحة، في البداية كان يُسبِّها بأقذع الألفاظ في الفراش، يصفعها على وجهها صفعات خفيفة، وهي لم تعتد على ذلك طيلة حياتها، فأبىها الطبيب وأمها الصحفية، كانا مثاليين في التهذيب والعذوبة، ولم تعتقد أنه سيأتي عليها اليوم الذي ستستمع فيه إلى هذا القدر من السباب، وفي فراش الزوجية الذي كانت تظنه مخملياً ناعماً، اكتشفت أنه كالأشواك.

زاد من سوء حالتها أن "علاء" لم يكن شريراً على الإطلاق، بل كان دوماً ما يعاملها بلطف وحب وحنان، يداعبها بصدق، ويحترمها وعقلها كثيراً كثيراً، يستشيرها في كافة الأمور التي تلم بحياته وحياتهما.. وفي لقاءاتهما الحميمة، كانت تصل إلى ذروة نشوتها دوماً، ولكن

أينحصرُ دورها كزوجة في أن تُمتع زوجها مهما كان الألم المصاحب لذلك؟؟... أسئلة كثيرة دارت في ذهنها طوال أيام شهر العسل الذي كانت تقضيه مع "علاء" في ماليزيا، وحين عادا إلى القاهرة، بدأت الأمور تسوء في فراشهما، فظهرت ميول زوجها السادية بجلاء حين وجدته وقد صنع سوطاً من الجلد والقماش المتين، يجلدها به بانتظام، يسكب أحياناً بعض أكواب الشاي الساخنة نسبياً على جسدها، لم تكن أبداً في حرارة الغليان، كان حريصاً على أن يبردها قليلاً لكنها كانت مع ذلك ... مؤلمة.

كانت تعلم أن سادية زوجها نوعاً من الشذوذ غير المقبول، لكنه من غير المقبول كذلك، أن تلجأ لأهلها بعد أسابيع قليلة من الزواج وتخبرهم بمثل تلك الأمور، خصوصاً وأنه زوجٌ محبٌ فعلاً، لا يخل عليها بماله أو حبه أو وقته قدر ما يستطيع.. لذا فقد آثرت إخفاء الأمر عن أهلها ولو مؤقتاً، وحاولت كثيراً إثناء "علاء" عن تلك الأفعال المتوحشة.. ولكن بلا جدوى.

الألم كان أكثر ما يشغلها، كانت تتحرق شوقاً إلى لقاء جنسي بلا ألم أو مسبات.. وفهمت مع الوقت والخبرة والاختبار أن هذا لن يحدث طالما أنها مستسلمة لـ "علاء" لهذه الدرجة، فحاولت أن تمنع عنه نفسها، أن تقاومه، أن تتحدث معه، أن تقدم له البراهين على كراهيتها

للتعذيب.. بلا جدوى، وكان واضحاً أن توسلاتها كانت تأتي
بنتيجة عكسية تماماً، فكلما ناقشته أو توسلته أو رفضته،
كلما زاد من جرعة الضرب والسباب، وإن لم يخرج هذا
خارج حدود الفراش، وظل الاحترام والحب يغلفان باقي
مناحي الحياة.

كانت تعلم أن (كرة القدم) هي أحد الأسباب
القوية التي لفتت نظر "علاء" فيها، فهي فتاة في أوائل
العشرينات، تهتم بأنقتها وجمالها وهندامها، لكنها تمارس
كرة القدم ضمن فريق السيدات بالنادي، بل وتجيد اللعبة
كذلك على "البلاي ستيشن"، على عكس معظم البنات
في العالم، بدأ حب الكرة يجري في دمها منذ الصغر،
ومن باب الفضول.. فقد كانت تحب أبيها بجنون ولا تحب
أن تفارقه في الساعات القليلة التي يقضيها بالمنزل كل
مساء بين عمله الصباحي بالمستشفى والليلي بالعيادة،
كان والدها شديد الحرص على إلغاء مواعيد العيادة في
أوقات المباريات الهامة، لذا كانت تندهش من قدرة
مباريات (الأهلي) على سلب لب أبيها لهذه الدرجة،
فصارت تجلس بجواره لتفهم كُنه السحر الصادر من هذا
العشب الأخضر الكبير الذي يجري عليه اللاعبون، وتحاول
استيعاب ما الذي تفعله المباريات في والدها وتجعله
ينسى وجودها ووجود أمها؟!

ولما فهمت، صارت مثله تنتظر مباريات الأهلي كل أسبوع، مباريات المنتخب، مباريات الفرق الكبرى بأوروبا، ثم تطور الأمر إلى درجة الهوس، فانضمت إلى فريق الكرة النسائية، وصارت حريصة على التمرين أكثر من حرصها على أي شئ آخر، كانت تؤمن أن الكرة لن تعطلها عن حياتها إطلاقاً، خاصة بعدما حصلت على مجموع كبير بالثانوية العامة، أهّلها للالتحاق بكلية الصيدلة التي كانت تحلم بها منذ الصغر، لكنها كرهتها في السنة الأولى وقررت أن تهتم بأشياء أخرى بعيدة عن الكيمياء والمعادلات والتشريح، فركزت مع كرة القدم تماماً، وصارت تتابع كل ما هو متاح من مواد بصرية أو مسموعة أو مقروءة تحت لواء (كرة القدم)... إلى أن التقت "علاء" الذي أدهشها بانجذابه الذي رآته مبالغ فيه، فقصة حب ملتفة ظل النادي يحكي عنها شهوراً، فخطبة، فزواج... واستمرت الحياة.

نست الصيدلة، واتخذت لنفسها مكاناً في دبلومة خاصة للموارد البشرية (H.R)، ومالت لهذا المجال كثيراً، ووجدت أنه سيمكنها من العمل في أماكن محترمة، برواتب ملائمة، حتى إنها لم تجد صعوبة تذكر في أن تلتحق بالعمل في فودافون بعد أن أنهت الدبلومة... واستمرت الحياة.

كانت تلعب مع "علاء" كرة القدم دوماً، ودوماً ما كان يُثني على براعتها ومهارتها، ورغم أنه طلب منها التوقف عن ممارسة اللعبة كواحدة من فريق النادي، إلا أنه لم يمنعها أبداً من مشاهدة المباريات أو لعب البلاي ستيشن أو حضور مباريات الأهلي بالاستاد وقتما أمكن، ومن ناحيتها، رأت أن طلبه الكف عن ممارسة اللعبة بالنادي هو طلب له وجاهته، غير أنه طلب ذلك بكل احترام ورقة، فنفذت ما أراد دون جدال أو نقاش، واكتفت بمتابعة زميلاتها في التمرين مرتين أسبوعياً.. وفودافون.. وحياتها الزوجية، وحين وعدته بترك "النجيلة" في النادي، وعدته كذلك أن تُريه صنوفاً لم يعهدها من مهارات كرة القدم، أثناء لعبهما سوياً بالمنزل.. ونفذت وعدها.

ظلت "حنين" متماسكة لشهور، لكنها لم تقو على احتمال طريقة زوجها، كانت تريد أن تشعر بأنها (أنثى) بأنها (امرأة)، كانت تريد أن تكف عن الشعور بأنها (عاهرة)، وفكرت كثيراً في الطريقة التي تُرضي أنوثتها وتُرد كرامتها، فلم تجد إلا طلب الطلاق، والذي لم يوافق عليه "علاء" بالطبع، فما الذي يمكن أن تفعله السنة الناس به إن علموا أن امرأته طلبت الطلاق قبل أن تتم عامها الأول معه؟؟!!

سَعَت هي في كل دروب الطلاق الممكنة، ولم يُجدِ أي منهم نفعاً مع "علاء"، كانت بالطبع مشتاقة إلى فحولته وبشدة، لكنها كانت تمنعه من مجرد لمسها، كانت ترتعد من مجرد تذكرها لحظات الجلد والتعذيب، وكانت شبه متأكدة أنه مريض بصورة لن يُجدِ معه فيها علاجاً.

ومرت أسابيع تلو أسابيع، وحياتهما كما هي.. احترام شديد أمام الآخرين، وطلب لا ينقطع منها للحصول على الطلاق، ورفض قاطع باتر منه، ورغبات جنسية مكبوتة من كلاهما، ويبدو أن الأمر قد حدث في نفس الأسبوع دون قصدٍ أو ترتيبٍ منهما، كانت هي في زيارة إلى النادي بعد أن أنهت ساعات عملها الطويلة، وقابلت هناك كابتن "محمد" نجم ألعاب القوى الوسيم، والتي تعلم يقيناً أنه يحبها منذ سنوات، وكلمة في حكاية في نكتة في موضوع، وجدت نفسها بعد ساعة تقريباً مستسلمة تماماً لقبلاته في سيارته.

تملصت بسرعة حين تذكرت أنها متزوجة، وأنهت الموقف المخجل المحرج فغادرت سيارته بحثاً عن أول سيارة أجرة تعود بها إلى (المقطم) حيث بيتها الواسع الرحب، اغتسلت بسرعة وهي تعلم في قرارة نفسها أنها ستعود في الغد وفي نفس الموعد إلى النادي لتقابل "محمد" من جديد... مسحت على جسدها بسائل

الاستحمام وهي تعلم أن شلالات الأرض لن تطفئ نار جسدها وأن "محمد" وحده سيفعل، تعلم أنه يذوب فيها، تعلم أنه يتمنى نظرة باسمة من عيونها، تعلم أنه يحترق مثلها تماماً، لذا عقدت عزمها وقررت أن تتذوق رجولته في الغد، ستستغل غياب "علاء" شبه الدائم عن المنزل، وتذيق "محمد" نقطة من بحر أنوثتها.

أما هو ففهم بعد عناء أن الإيذاء البدني مرفوض تماماً من قبل زوجته، وإن كانت قبلته في بادئ الأمر، فهو قبول على مضض، وازداد رفضها للعنف الجسدي واللفظي مع الوقت، خصوصاً أنه كان يزيد الجرعة بالتدريج... كان يعلم تماماً أن ما يفعله معها من ضرب وسب وتعذيب أحياناً أمر في منتهى الخطورة على علاقتهما، وأنه مؤلم نفسياً لزوجته قبل جسدياً، لكنه لم يكن يملك من أمر (مزاجه) شيئاً.

كان يحبها حقاً، منذ اللحظة التي رآها فيها تلعب كرة القدم بمهارة شديدة، وسمع الكثير عن سمعتها الجيدة وتفوقها الدراسي وأصلها الطيب، قرر أن يتقرب منها، خاض تقسيمة بين فريق من الشباب وبين فريقها من البنات، تعارفا حينها، وأخبرته عن دراستها للصيدلة، حبها لكرة القدم، عشقها للأهلي، وأخبرها عن عمله كضابط شرطة بالمباحث الجنائية، وعن حبه لكرة القدم، وعشقه للأهلي.

تحابا.. تزوجا.. الأمر كان بهذه البساطة فعلاً.

كان يعرف في قرارة نفسه أنه يميل للعنف، وعزى ذلك إلى طبيعة عمله كضابط شرطة، بيد أنه بدأ يشعر ببعض القلق، لما سمع أول صرخات "حنين" في فراشهما بعد أن صفعها بقوة غير معتادة، ورغم قلقه استمر.. واكتشف أنه يستمتع أكثر كلما أظهرت تألمها.. وبمرور الوقت أصبحت تلك هي الطريقة الوحيدة للحصول على المتعة... واستمرت الحياة.

طلاق؟... لا، لن يفعل... فهو أكثر عنداً من أن تقوده رغبات امرأة، ورغم نقاشاتها وتوسلاتها وغضبها ومنعه من ملامستها إلا أنه لن يرضخ أبداً.. ويوم أن اشتعلت رغبته بصورة كبيرة لم يستطع معها كبح جماح نفسه، التقط هاتفه، طالباً رقماً ما كان يحتفظ به منذ زمن، وبعد ما يقرب من ساعة كانت الفتاة اللعوب "شمس" تضيء سماء غرفته بعريها ورقصها، وتلتهب روحه مع كل ضربة يضربها سوطه لها... ومع تكرار زيارات "شمس" له، أصبح "علاء" أكثر هدوءاً.. وأقل تعطشاً للجنس، ففكر في أن يستمر على هذا الوضع للأبد. "شمس" للمزاج و"حنين" للحياة العادية.

في اليوم التالي وفي ساعات الظهيرة الحارة، التي كان من المفترض أن تجلس فيها على مكتبها بفودافون، كانت تصطحب كابتن "محمد" إلى منزل زوجها، وعلى باب الشقة سمعت صرخات امرأة... هي تعرف هذا الإيقاع في الصراخ، لأنها كانت تمارسه لشهور وهي تخضع لزوجها في الفراش، وجاءتها الفرصة الذهبية... طلبت من "محمد" الرحيل، وتسلمت إلى الشقة، قامت بتصوير "علاء" ورفيقته لدقيقة في مقابل الدقائق الطويلة التي يمتلكها لها على هاتفه، قبل أن تملأ الدنيا صراخاً وعويلًا.. وتنال الطلاق.

خائنة؟؟.. ليس بعد، هي كانت على وشك خيانتها يومها، لكنها لم تفتح ساقها لـ "محمد" إلا بعد أن نالت الطلاق بأسابيع، حاولت الاحتماء فيهم من أعين الناس قليلاً.. حتى هدأت الأمور.

وبعد مرات ومرات التقيا فيها على فراش واحد، رفض "محمد" أن يتزوجها، وترك البلاد من الأساس دون أن يخبرها حرفاً، دون حتى أن يودعها.. وتركها سقيمة، وحيدة، تحتقر نفسها.. ومتعطشة لصيد جديد.

لن تنس لـ "محمد" ذلك، ولن تنس "محمد" إلا بشخص آخر، يطفئ لهيب جسدها، يرد لها كرامتها، يحتويها، يضاجعها، يعاملها كأنثى حقيقية، كانت تريد

منكبين عريضين، وفحولة واضحة، ورجولة تغلف كل شئ..
كانت تريد أن تشعر بأنها سيدة الفراش لا جاريتها، فكان
أن وجدت مرادها يتجسد بغتة في صاحب أبهى طلة في
حياتها.. ”مووس“.

المعادي- مقر فودافون الرئيسي:

أعرف أنني هدف مناسب وصيد ثمين لكثير من
الفتيات والسيدات في حياتي، لكن تجربتي مع ”حنين“
علمتني الكثير، كانت هي مطلقة صغيرة السن، ظهرت
في حياتي بغتة ولأول مرة في أكتوبر 2006، وقت أن كنت
أتحرق شوقاً لمشاهدة أي امرأة أخرى عارية، ليقيني بأن
جسد ”شيماء“ الأبيض - ومهما بلغ من جمال وتناسق -
ليس الجسد الوحيد المتاح بالعالم، و ”حنين“ كانت هدفاً
مثالياً كجسد عارٍ مختلف.

كانت تعمل بالموارد البشرية، وفي أول لقاءاتي
بها قرأت على جبهتها بخط واضح ”أنا امرأة مثيرة.. أنا
أستحق رجلاً قوياً“.. وفي نظرة سريعة لكنها متفحصة،
وجدت أن الملابس الضيقة التي ترتديها تخفي الكثير من
البهاء، الكثير من المتعة، فقررت أن أضاجع هذه الفتاة
وفي أسرع وقت ممكن.

كنت قد دُعيت في هذا اليوم إلى اجتماعٍ روتيني
بالقسم المذكور برفقة مجموعة من زملائي بفريق العمل،
الغرفة واسعة منيرة، تسمح للجميع بأن يرى الآخر بوضوح،
وبعد التعارف السريع بين الجميع، وأثناء توجهي إلى براد
الماء المجاور لها، وبدون مقدمات حقيقية نظرت إلي
بتعمق، وخُيل إلي أنها نظرت إلي بين فحذي- ثم حركت
كرسيها الأحمر ذو العجلات في اتجاهي ودار بيننا حوار
مقتضب كان بمثابة باب الجنة بالنسبة لي، الباب الذي
فُتح بصورة مذهشة لم أكن أحلم بها.

- انت بقي "مصطفى" المثقف؟؟!!

- هما بتوع الـ(HR) كلهم شاطرين ومذاكرين زيك

كده؟

التقينا بعد ذلك بساعة عن طريق الصدفة (المدبرة
مني) داخل منطقة التدخين بعد أن تابعتها بعيوني
فوجدتها هناك، فتاة متوحشة الملامح، عدسات لاصقة
خضراء، بشرة خمرية تقترب من الأسمر، يتم الاعتناء
بها بدقة، جسد ممتلئ إلى حد ما في أسفله، وصحيح
أن هذا الامتلاء ليس من الأمور الملفتة، وقد يكون من
الأمر المنفرة، إلا أن باقي الجسد البليغ النافر يعد أمثالي
من الذئاب الشبقة بالكثير إن عرفت خريطته، وأنا كنت
أنتوي أن أتعرف على أدق تفاصيل جغرافيا هذا الجسد
الليلة، وليس غداً.

من مدينة نصر، تحب السوشي، مارست كرة القدم لسنوات - وياله من خبر مفرح-، عضو عامل هي وعائلتها بالنادي الأهلي.. عرفت تلك المعلومات مع نهاية السيجارة، وكما تفهم، فهي معلومات غزيرة، أكثر مما يطلبها أي - ذئب- في الدقائق الأولى من التعارف، تبادلنا أرقام التليفونات على وعد بفنجان قهوة صباحية في مقهى "جريكو" الشهير في شارع 9 لكي تفهم بنفسها لماذا يكره أهل المعادي الخروج منها خاصة إلى المناطق الشبيهة بمدينة نصر.

- تفقد الاتجاهات بالمعادي.. هكذا قالت
- سأجعلها تفقد الاتجاهات في أي مكان بعد ليلة ساخنة.. هكذا فكرت
- مطلقة بعد علاقة استمرت عامين من لحظة التعارف وحتى الطلاق
- لا تفتقد الجنس
- كلهن يرددن ذلك بلا انقطاع لكن من تجربته منهن يتشوقن إليه على الدوام كما نعرف نحن الرجال.
- كان اسمه "علاء"... وكان ضابط شرطة، لم تتحمل طبيعة عمله وتغيبه الزائد عن الحد، فتركته والتحقت بعد ذلك للعمل في فودافون.
- اسمي "مصطفى".. وأنا أكثر رجال العالم تفهماً وحناناً

• لا تحب الكوارع

• أنا أحب الكوارع.. بل أعشقها

شبكة هي إلى حد غير معقول، تلتهمني قبلاتها
التهاماً، منذ لقائنا الأول تُحطم بلا قصد أسطورة كفاءة
”شيماء“ في الفراش، فمع مقارنة بسيطة بينهما وجدت أن
”حنين“ من نوع مختلف تماماً، تأوهاتهما مختلفة، رائحتها
مميزة، عُريها مثير للغاية، ويبدو أن خبرتها السابقة في
الزواج لم تكن مُوفقة في الفراش فكان أن تَوَحَّشْتُ معي
بهذا الشكل لتمتع نفسها وتمتعني.

المعادي - دجلة:

بعد أيام قليلة، وفي منتصف شهر نوفمبر، كنا نلتقي
للمرة الثالثة على سرير ”هشام“ في منزله، كنت أقارن
رغماً عني بين ما تفعله هي معي وبين ما تفعله ”شيماء“،
وأثناء نشوتي واندماجي، نطقت بلسانها ”بحبك“.. فوجئت
بجراتها، وأزعجني أنها لا تفهم مرادي، فأنا وبسبب علاقتي
الغريبة بـ ”شيماء“ - التي لم تعرف عنها ”حنين“ أي شئ -
كان جُل ما أطلبه من ”حنين“ أو غيرها هو الجنس فقط،
كنت أشتهي علاقة عنوانها ”جسدي مقابل جسدك“ وليس
بها أي ذكر للحب أو الارتباط!!.

”حين” لم تكن بائعة هوى أو فتاة ليل، كانت إنسانة تعشق الجنس، وتتخذ جسراً للزواج، ورغم أن تلك لم تكن طريقة تفكيري، دعك من أنني لن أتزوج بمطلقة قطعاً، إلا أنني أتفهمها تماماً.. عرفت منها بعد لقائنا الأول أنها استمتعت للغاية، وأنها تود تكرار اللقاء، كما عرفت نذراً يسيراً من علاقتها بطليقها، وفي لقائنا الثالث، لم تقل ”بحبك” فقط... وإنما أخبرتني بأنها تستطيع تقديم جسدها لي على الدوام حتى تستقر ظروفني وأتمكن من خوض معركة زواجي بها مع أهلي!!.

جسدها كان هدفي

ظهرها الناعم المفرد، ثدياها المكتنزين المغريين، بطنها المشدود، ساقها شديديتي القوة بسبب تاريخها مع (كرة القدم)، ياله من جسد، ويالها من امرأة!!.

تغاضيت عن كلمة ”بحبك” تلك بابتسامة مرتبكة، وابتلعتها بقبلة ساخنة، فلم أكن مستعداً لها ولا أعرف ردها المناسب، ويبدو أن قبلتي تلك قد أرسلت الرسالة الخاطئة، ففعلت معي منذ تلك اللحظة كل ما قد يتمناه الرجل من رفيقة فراشه، غير أنني أيقنت أن الهروب من تلك الفتاة أصبح حتمياً لكنني ذئب متعطش طماع، وهي فرصة برية جميلة، فأخطأت من جديد حين قررت أن أستمّر في تلك العلاقة لبعض الوقت ثم ألقها، وكان الخطأ جسيماً.

كنا نحرص تماماً على مظهرنا وسرية علاقتنا في مكان العمل، فلم يكن من المقبول بالنسبة إليّ على الأقل أن ينتشر خبر ارتباطي العاطفي/ الجسدي بأي زميلة في العمل، كما أنه ليس من المقبول بالنسبة إليها أن يظهر ارتباطها بشاب مثلي بعد لقاءات متقطعة سريعة بالعمل، لكننا كنا ننسى هذا الحرص تماماً في غيره من الأماكن، قبلتها وداعبت جسدها في كل مكان متاح، من المصعد وحتى السيارة مروراً بمنزلي، وفناء شاليه أسرتها بالعين السخنة، ومنزل طليقها الذي تركه لها أو بالأحرى (لنا)، حتى إنني لا أعلم كم من المرات التقينا.

المقطع:

مرت شهور على هذا الحال، جنس مستمر بلا انقطاع، وخذرتني جسدها تماماً فصرت أتبع أوامرها وطلباتها الشاذة أحياناً، واكتشفت أنني حين أنفذ لها ما تطلب تنتابني قشعريرة مميزة لم أشعر بها أبداً إلا في حضرتها، وفي تلك الليلة الكثيرة كان الجو شديد البرودة، وكنا نحتضن بعضنا البعض على أريكة مريحة بمنزل طليقها، أتلمس بعض الدفء من حضنها الجليل، وأمص ثدييها الممتلئين باستمتاع وشبق، وأمتع نظري وكفاي بجسدها العاري الممتلئ، وإذا بها تباغتني بسؤالين إجابتهما غاية في الصعوبة:

- أخبار "شيماء" إيه يا "مووس"؟

.....

صدمتني معرفتها بـ "شيماء" فانخرست، ولما لم تتلق
مني جواباً سوى الصمت والاندهاش، ألقيتني السؤال
الثاني الذي كان مركباً وأكثر صعوبة :

- طبعاً انت هتتجوزني أنا مش هي، مش كده؟
-وده غصب عنك على فكرة- يا إما بشرف أمي
لأفضحك فضيحة مش متخيلها، هتكون ريحتها
أوسخ من إنها تخرج من جلدك... وقبل ما ترد يا
"مووس" أحب أفكرك إني معنديش حاجة أخسرها.

استجمعت قواي، لملمت أشلاء خبرتي بالفلسفة
والمنطق، ارتكزت على كافة مناحي خبرتي بخدمة
العملاء و"بلف" الزبون، بلا جدوى، كانت تستمع إلى
كلماتي الكثيرة بسخرية بادية على ملامحها، بثقة لا أعلم
من أين اكتسبتها.. أحاول الاعتذار لها، فتزداد ابتسامتها
اتساعاً، أحاول تهديدها بيد أنها كانت غاية في الثبات
والثقة، ويبدو فعلاً أن مطلقة مثلها لن تعبأ بالفضيحة
طالما ستنال في النهاية ما تصبو إليه، وأثناء اندماجي
في الحديث، وقفت أمامي وهي عارية، ذفنت رأسي بين
فخذيها بقوة وهي تداعب خصلات شعري، وقالت أغرب
ما يمكنك سماعه على الإطلاق في هذا الموقف:

- انت هتتجوزني ورجلك فوق رقبتك، انت هتفضل بتاعي
غصب عن اللي خلفوك.. انبسط يا حبيبي انبسط.
كنت دائماً ما أستمتع حين أضع شفتاي في هذا
المكان، لكنني في هذه المرة كنت أشعر بالدهشة، كم
كنت متقززاً، كم كنت أشواق لبيتي وأهلي، وحين قذفت
بها لتقع على الأرض، لم أكن أفكر إلا في شئ واحد، أنني
سأنتصر على تلك اللعوب نهائياً الآن، ولن أراها من جديد.

ضربتها بغل وقسوة، كما لم أفعل مع امرأة من
قبل، أدميت وجهها، وبعض مناطق جسدها، وتوعدتها وأنا
أستعد للخروج بالمزيد من الضرب في كل مرة أقابلها فيها
حتى وإن كان في العمل، أمام الزملاء.

- عايزة تتجوزي يا وسخة؟.. يبقى تتجوزيني على
عبي، وأنا عيبي كيفي، وكيفي ضرب الـ (....) اللي
زيك.

نظرت إلي بما تخيلت أنه "هلع".. وبكت وهي
تودعني بعيناها.

فكرت أثناء عودتي إلى منزلي في تلك الليلة أن أتغيب
عن العمل لفترة بحجة أجازة سنوية مثلاً، لكنني كنت
أخشى عدم تواجدي بالشركة أكثر من خشيتي تواجدي
بها، فمن يعلم ماذا ستفعل تلك البلهاء المجنونة!!؟

المعادي- مقر فودافون

ذهبت إلى عملي كالمعتاد صباح اليوم التالي، فوجدتها جالسة على مكتب قريب من مكتبي، وجهها متورم من آثار "علقة" الأمس، يسألها بعض الزملاء عن الأسباب، ووجدت نفسي مضطراً للمشاركة في التجمهر البسيط حولها، فأجابت بثبات وهي تنظر في عيني: كنت بفول عربيتي امبارح في بنزينة على طريق الساحل، واثنين من العمال اتلموا عليا حاولوا يغتصبوني، ستر ربنا إن كان في راجل شهم ومراته داخلين البنزينة بالصدفة خلصوني من أيدهم.

حجة واهية وكذبة من الواضح أنها ملفقة، لكنها كانت كافية لإسكات الألسنة، مرت أسابيع وأسابيع دون أن يجد جديد، لا فضائح كما هددت هي، ولا ضرب وتعذيب كما هددت أنا، مرت حتى بدون محاولة تحرش واحدة منها، فنسيت الموضوع، حتى اختفت تماماً وعرفت بعد ذلك أنها طلبت نقلها إلى فرع آخر للشركة بالقرية الذكية، ثم عرفت خلال جلسة نائمة لبعض الزملاء أنها عادت إلى زوجها السابق، بعد أن أقنعها بالعودة إليه حين تغيرت ظروف عمله نسبياً، وقد كان.

وتعلمت منذ ذلك الحين أن أطبق القاعدة الانجليزية
شديدة البلاغة والوضوح "Don't shit where you eat"
وظللت أكررها لنفسي كل صباح، قانعاً بأجساد بعض فتيات
الليل أحياناً، وبـ"شيماء" مضطراً، مجبراً نفسي على البقاء
بين أحضانها إلى أن يجد جديد خارج إطار العمل، فلو
أسعدني الحظ لأجد فتاة أحلامي، فلتكن من خارج هذا
العالم.

- تشرب حاجة ثانية ياكابتن؟

سؤال أتى خارج السياق، رماه في أذني الشاب
القهوجي السخيف، وإجابته كانت أنني أحتاج لبيبي
جديد.. حرارة الجو داخل المقهى تزيد من توترى.. يكاد
دمي يغلي وأنا أنظر فى ساعة الموبايل بسرعة لأجدها
قاربت على الساعة والرُّبع ولم يأت "ناصر" بعد.. لماذا
تأخر هذا الحلوف؟.. لماذا؟!..

نادي الزمالك- السودان- العتبة- والاستاد

المعادي- إيطاليا- كرواتيا- البرازيل- والكورفا سود

"ناصر".. هذا الشاب السوداني الذى أتى من جنوب
غرب بلاده فاراً، هارباً من واقع أليم هناك، واختار أن يعيش
معنا واقعنا المريع هنا.. والحقيقة أنني أعشق هذا الشاب
فعلاً، طويل القامة فقد يتخطى طوله المترين ولون بشرته

يذكرك بلون رغيف خبز تركته فى الموقد لأيام فاحترق ليصبح لون طين الأرض، لكنني أجزم أن لون قلبه يغير لون بشرته تماماً، فهو طيب القلب إلى حد بعيد، لا يعبأ بكلماته أحياناً وهو ما يوقعه فى العديد من المشاكل، إلا أن طيبة قلبه تعفيه من أية عقوبات قد تلحق به، يحيا هو ظروفه قاسية بحق، فقد عرفت أنه يعمل هنا كبائع لصنوف متنوعة من العطارة يأتي بها من مكان مجهول.. ويجلس على الرصيف الذى يصل بين مسرحي الطليعة والقومي بالعتبة، ماداً قدميه للأمام جالساً بلا حراك منتظراً رزقه الذى غالباً ما يأتي فى صورة امرأة مصابة بالسكري أو رجل يعانى مشاكل زوجية فى فراشه.. وكل منهم يسعى إلى علاج عشبي فعال.

خمنت فيما بعد أن ما يبيعه "ناصر" أعشاب بالفعل، لكنها لا تعالج أى شىء فى الواقع، لذا أجده دوماً سعيداً مبتسماً، فهو يبيع لاشىء.. يجلس طيلة النهار على الأرض صامتاً، متأملاً البشر يجوبون الأرض من حوله، حارقاً أقل القليل من سعراته الحرارية.. ليبيع للغلبة هذا اللاشىء معتصراً جيوبهم أكثر فأكثر، ثم يللم أشياءه والتي هي عبارة عن ملاءة قذرة تحوى بعض الأكياس خفيفة الوزن عديمة المفعول ويضعها كأمانة يومية عند أحد الأكشاك المجاورة مقابل (أرضية) أو مبلغ مالى يومى يدفعه (البلطجي/ القبضاي) المسؤول عنه وعن زملائه من الباعة الجائلين مقابل الحماية.

ثم يسير خطوات قليلة حتى يصل إلى محطة مترو العتبة، يقوم بتبديل الخط فى تلك المحطة المحورية (أنور السادات/ التحرير) ثم يتجه إلى رصيف حلوان ليشق به المترو هذا الطريق الممل إلى حدائق المعادي.. ينزل ويسير عشرات الأمتار حتى يصل إلى شقته الضيقة الخانقة فى شارع (حسنين دسوقي) والتي يعيش بها مع تسعة آخرين من بلدياته الذين يحرص هو على عدم الاختلاط بهم كثيراً لأسباب قوية بالفعل لم أعرفها إلا بعد حين.. له فى هذه الشقة ركن صغير، على الأرض طبعاً.. ينحشر.. لينام مرتاح الضمير، رائق البال.

أرى "ناصر" أفقاً خفيف الظل، يعيش مرتدياً عباءة أخلاقيات بالية، لا تلائمه إطلاقاً، تشبه كثيراً عباءة أرسين لوبين، فهو لص يسرق القليل من عرق الناس، لكنه شريف فى ذات الوقت، يسرق ليعيش، يسرق ليظل حياً، ولم يسرقهم رغماً عنهم، هو فقط لم يقل كل الحقيقة.. ويراه السواد الأعظم من الناس غلبان آخر، قذفت به الأقدار إلى هنا، ورغم وجود (العتبة) فى الكثير من دول العالم، إلا أن (العتبة) فى بلاده لا تتسع له ولأمثاله .

الغريب فى أمر "ناصر" أن أخلاقياته اكتسبت اللون المصري بشدة فإذا استمعت معى الى مفرداته لتخيلت أنه شاب آخر قادم من أسوان يتحدث اللهجة القاهرية

ببلاغة، كما أن أخلاقه تقطر بالفهلوة المصرية وذلك رغم أنه يعيش هنا منذ فترة لا تتجاوز السنوات الثلاث.. صار مدمنا لشوارعنا فهو يعشق التجول فى شوارع وسط القاهرة، ويذوب عشقا فى شارع 9 الأنيق بالمعادي، يعشق مقاهينا، والحميمية التي جزم لى أنه لن يجدها فى أى مقهى آخر فى العالم، يعشق مشروباتنا الفقيرة فيحتسى الشاي (على ميه بيضا) صيفاً مثل أى مصري محترف، ويطلب حلبة بالحليب فى الشتاء.. والقرفة بالزنجبيل بالحليب فى حالة الإصابة بدور برد.. يتابع أيضا أفلامنا السينمائية بشغف شديد، ويشاهد معظمها عبر الاختراع المصري الأصيل (وصلة الدش).. كذلك هو مستمتع جيد لعمر ودياب وشيرين عبد الوهاب، مثله فى ذلك مثل معظم المصريين من سنه فهو يقترب من الثلاثين.. "ناصر" كذلك يعشق الارتياح النفسي الذى يستشعره المرء داخل مسجد السيدة زينب.. ولا يفضل زحام مسجد سيدنا الحسين... هو مصري طبعى جدا عن حق.

كل ما سبق يمكن فهمه واستساغته وقبوله فالرجل يعيش معنا منذ شهور طويلة وقد يكتسب اللون المصري بسهولة، فنحن يمكننا التأثير بسهولة على الأعراق والجنسيات المختلفة.. إنما ما كان صعباً على إدراكى أنه كف عن تشجيع المريخ السودانى واتجه لتشجيع الزمالك.. ولما سألته لم اخترت الزمالك يا ناصر؟ قال إن الزمالك

أسد مريض.. وحش عملاق يقاوم الأغلال حول أطرافه.

- مش فاهم قصدك يا ناصر!!!

رد بنظرة شاخصة :

- الزمالك بيفكرني ببلدي، بيفكرني بنفسي !.

وكأى مشجع زملكاوي أصيل بات يترك عمله فى العتبة ليمر بجوار النادي، يتعرف عليه، يتوق إلى النظر للاعبيه أثناء دخولهم وخروجهم من البوابة، يجمع تاريخه من المقالات والكتب، عَرَفَتْهُ أنا على جمهورية (ميت عقبة) فزارها معي عشرات المرات وكَوّن هناك علاقات واسعة للغاية، يتابع ما تيسر له من أخبار حول النادي وفريق كرة القدم، يحرص على اقتناء أعداد مجلة الزمالك، يتحدث بحماس عن النادي ويدافع عن كل قرارات مجلس الإدارة، يحدوه الأمل فى الغد كأى زملكاوي آخر -وهي ميزة كبيرة يفتقدها الكثيرون- مؤمناً مثلنا جميعاً بأن الزمالك يمرض ولا يموت، وأن المشجعين كالأوتاد المتينة التي ترفع هذا الصرح بتكاتفها شيئاً فشيئاً.

أدمن "ناصر" استاد القاهرة والأجواء الجماهيرية الحميمية الملهبة، أدمن بعده الذهاب لاستاد الكلية الحربية، بات مرتبطاً بشدة- كحالنا جميعاً- بالمارد الأبيض وتحول إلى قطرة من القطرات التي تروى أرض الفريق وكيانه.

أحب "ناصر" الجهود التي تبذلها روابط التشجيع التي بدأت في الانتشار مع رابطة Z L U أو Zamalek Lovers United، رابطة محبي الزمالك، فانضم إليهم حتى تفرقت بعد حين.. وأيضاً أحب مجموعة الأولتراس المعروفة باسم (وايت نايتس) (White Knights) حباً شديداً.. أحب دخلاتهم (جمع كلمة دَخلة وهي تعني العمل الفني الذي يقوم بعرضه أفراد المجموعة في المدرجات قبل بداية المباريات) وتعجب لمجهوداتهم الكبيرة التي يبذلونها من أجل إسعاد الناس لثوانٍ معدودة، يستعرضون فيها فنونهم التي تعبر عن حبهم للنادي وتثير إعجاب الجميع، ما عدا مخرج المباريات الأهلاوي الذي يُصر على بتر جزء من اللوحة، جزء من الكلمة، جزء من الدخلة ليعطيك انطباعاً مستمراً بأن هناك شيئاً ما ينقص مشجعي الزمالك وهو ما لا يحدث على أرض الواقع إطلاقاً.. ويكفيك زيارة واحدة منك لأي استاد داخل حدود الوطن أثناء أي مباراة للزمالك، وأنا أعني بالفعل كلمة (أي مباراة)، سوف تؤكد لك تلك الزيارة أن مخرجي المباريات مثلهم مثل اتحاد الكرة وكبار رجال البيزنس الأهلاوي يتربصون بالزمالك كفريق وجماهير.

تعرفت أنا على "ناصر" في مشاجرة بالمعادي قبل شهور طويلة، كنت أسير في شارع 9 بالقرب من محطة مترو ثكنات المعادي، سمعت بعض الضجة، ولاحظت

تجمهر بعض الأشخاص حول شئ ما، وعند اقترابي اكتشفت أن هناك وحشاً أسمر اللون، يجتمع حوله حوالي سبعة شباب من العاملين بالمحلات القريبة ومن سائقي التاكسي، يضربونه بحماس، وهو يبادلهم الضربات بعنف، وبخبرتي فهمت أنه لم يكن متمرساً في العراك، لكنه كان قوياً، واثقاً في نفسه، سمعت منه الكثير من المسبات لكنني لم أسمع منه أية صرخة.. اقتربت من المشهد وبدأت في تخليصه من أياديهم، ورغم استيعابه لمحاولتي إنقاذه إلا أنه صرخ بعنف وأبعدني بكلتا يديه، مصراً على ضربهم جميعاً.

استجدعته، فدافعت عنه بضراوة، وصرخت في الجميع أن ابتعدوا عنه، ونجحت بعد دقائق في إنهاء المعركة بصوتي الجهوري، وتدخلني البدني الذي أتى في صالح "ناصر" بعد أن شعرت حياله بالشفقة والاحترام، وحين انتهت المعركة، أخذته في سيارتي التي كانت بانتظارنا في شارع جانبي قريب، حدثني بلهجة سودانية قائلاً أنه يسكن بالمعادي منذ أسابيع وكل ما يريده هو أن يتعرف على الحي، وأن (ولاد الهرام) دوماً يضايقونه بسبب لون بشرته، وأن أحدهم تجرأ اليوم وضربه على قفاه، فكان ما كان.

جفف عرقه ودماءه التي تسيل من أنفه ورأسه،
وأصريت على دعوته على شاي في مكان قريب، وبعد
أن غسل وجهه، جلسنا لأطيب خاطره قليلاً، عرفته على
نفسي وأثنت على رجولته وشجاعته في مواجهة هذا
العدد من الرجال مرة واحدة، وفي هذه الجلسة وبسبب
أننا لا نعرف بعضنا على الإطلاق، وبسبب الضغط النفسي
الذي كان يشعر هو به، انطلق في الحديث عن حياته،
خارج نطاق الخجل النابع من أعباء العلاقات الإنسانية، بلا
كذب أو وجل، ولم لا؟؟ وقد كان يحتاج إلى إخراج ما في
جوفه من حكايا ويبدو أن استحالة لقائنا من جديد قد
طمأنته إلى أنه يرمي بأسراره وحكاياته في غرفة مغلقة
لن يفتحها أبداً.

استرجلته، هذا هو التعبير الأدق، وعلمت منه ما
لم أكن أتخيله، ونظرت له بإجلال بعد ما سمعت من
حكايات، فهذا الذي أسمع لا يمكن أن يكون ملفقاً، ولا
يمكن أن يصدر إلا من (رجل) بكل ما تحمله الكلمة من
معنى... ولهذا بدأت صداقة عميقة بيننا، لا أعتقد أنها
ستنتهي.

أحب "ناصر" الجلوس بالقرب من الأولتراس ليردد
التهافتات المبتكرة معهم.. ثم تمنى أن ينضم إليهم..
تمسح فيهم كثيراً ليحقق ما تمنى.. أصبح يقترب منهم

فى المدرجات بقدر المستطاع.. يتحدث مع أى فرد منهم حول المباراة.. يستفسر من أحدهم عن النداء الذى يرددونه.. حتى تجرأ فى مرة وذهب إلى شاب من الأولتراس الواقفين قبل بداية إحدى المباريات بساعات سائلاً إياه عن كيفية الانضمام للمجموعة؟.. عرف أنه لا شروط محددة إنما هي مجموعة من التعليمات التي يجب تنفيذها قدر المستطاع.. وقد كان.

- (WHITE KNIGHTS) هي الأكثر عدداً .
- (WHITE KNIGHTS) هي الأكثر تأثيراً .
- (WHITE KNIGHTS) هي الأزهي فى المدرجات.
- (WHITE KNIGHTS) هي الأولتراس كما يجب أن تكون، ثقافة وطبيعة حياة.. لا مجرد مجموعة تشجع فريقها.

وأنا أعتقد أن (ULTRAS WHITE KNIGHTS) هي الكيان الوحيد الذى يستطيع الجمع بين كل هذا العدد من البشر على اختلاف انتماءاتهم وثقافتهم ودياناتهم وألوان بشرتهم، وطبقاتهم الاجتماعية، ومستواهم المادى تحت راية واحدة.. مهندسين، أطباء، عمال، صيادلة، أساتذة فى الجامعات، طلبة فى مختلف المراحل التعليمية، محامين، ضباط، مسلمين وأقباط، شباباً وأطفالاً وكبار سن، أعتقد أنك لن ترى ذلك متجسداً إلا فى مجموعة أولتراس قوية كما الحال فى (الوايت نايتس)، أو فى حالة حرب تخوضها

البلاد.. وقد لا نجنح عن الحق إذا قلنا إن مجموعة أولتراس (وايت نايتس) بكل بهائها وقدرتها على التوغل والسيطرة، كانت سبباً رئيسياً فى تفكك باقى مجموعات التشجيع الزملاوية وذويان الجميع داخل إناء الفكر الجديد.. فكر الأولتراس .

روحى أولترا.... حياتي أولترا... عقلي أولترا.. هذا كان مبدأهم.. وهكذا كانوا ينطقون بمبادئهم، فهم ينطقونها أولترا كما تنطق باللغة الإيطالية، وذلك لأن إيطاليا هي البلد التي كونت قاعدة ينتشر من خلالها فكر الأولتراس فى العالم كله فى ستينيات القرن الماضى، وهذا رغم أنها لم تكن البلد الأولى التي بدأت فيها الفكرة.

بداية ظهور مجموعات التشجيع لفرق كرة القدم المختلفة والذى مهد لظهور فكر الأولتراس كان فى بداية الأربعينيات فى أمريكا الجنوبية.. تحديدا فى البرازيل، فقد ظهرت وقتها مجموعة تسمى باسم (تورسيذا) على اسم نوع من أنواع التشجيع الكرنفالية فى هذه الدولة العاشقة للكرة، حتى كُتب لهم الظهور والانفتاح على العالم بعد سنوات حين استضافت البرازيل كأس العالم عام 1950.

تابع الجميع بانبهار تلك الكرنفالات التي تصنعها مجموعة التورسيديا فى المدرجات، وانتقل الفكر بعد ذلك إلى جماهير أوروبا، فظهرت أول مجموعة فى أوروبا باسم TORCIDA SPLIT والتي ظهرت فى كرواتيا فى أكتوبر 1950، ومنذ هذا التاريخ بدأت تظهر العديد من مجموعات التشجيع فى العديد من الدول، حتى جاءت حقبة الستينيات، وحتى اقتنع الطليان بالفكر الجديد.

كان الطليان أول من أطلق لفظ أولتراس (ULTRAS) على هذا النوع من التشجيع، وقد ترجع التسمية إلى أن كلمة أولتراس تعنى حرفياً الزائد للغاية عن الحد، ويبدو أنهم كانوا يريدون إثبات أنهم سيصنعون شيئاً فائقاً فى المدرجات، فقد أرسوا لهذا الفكر الجديد مجموعة من المبادئ والقوانين المحددة والتي يلتزمون بها جميعاً تحت أى مسمى، وزادت المجموعات الخاصة بالفرق وتكاثرت، ومن إيطاليا انطلق الفكر الجديد لجميع دول أوروبا، ومن بعدهم فى كل أنحاء العالم، واتخذوا جميعاً من مدرجات الدرجة الثالثة مكاناً لهم، فهي عين الملعب، وفيها أرخص التذاكر والتي يمكن للجميع الحصول عليها.

مؤمن أنا بفكر الأولتراس، وكذلك زملائي فى المجموعة، هذا ما نعيش لأجله.. هذا ما أترك فودافون و "شيماء" وأهلي بسببه... وهذا ما يترك "ناصر" الخليط

البشري فى العتبة لأجله ويذهب بكامل إرادته إلى الكثافة البشرية البيضاء بالاستاد.. "ناصر" آمن قبلى بأسابيع قليلة.. "ناصر" كان إيجابياً قبلى.. "ناصر" صدق قبلى.. وجد قبلى.. أصبح فارساً من الفرسان قبلى... "ناصر" كان سبباً رئيسياً فى إطلاق سراح هذا الوحش الزمكاوي الأبيض الرابض بداخلى.. ولن أنسى له هذا أبداً.

جراتى، كانت هي كل ما فصلنى عن الانضمام للمجموعة وقتها، فصلنى عن التعبير عن زمكاويتى الحقّة.. عن التعبير عن ذاتى.. فصلنى عن التواجد فى المدرجات كلاعب أخير، كليبرو الفريق، هذا اللاعب الذى يقف فى آخر الملعب مدافعاً عن فريقه ضد الهجمات المتوالية، وحتى صافرة النهاية يحاول الفوز ويشجع زملاءه ويحفزهم حتى الرمق الأخير.. فقط جراتى فصلنى عن اجتماعات الـ White Knights التى يعقدونها بشكل دورى.. فصلنى عن الوقوف فى الـ (كورفا سود) وهي كذلك كلمة إيطالية يكتبونها Curva Sud وتعنى حرفياً "المنحنى الجنوبي" أو المدرج الجنوبي.. والمدرج الجنوبي عندنا فى مصر هو المدرج الذى يحتل الجانب الأيمن من المقصورة الرئيسية للاستاد، الجانب المخصص من قبل الأمن للجماهير البيضاء.. ولهذا قد تسمع أحياناً من خلال التلفاز أو من داخل الملعب هذا النداء الشهير الخاص بنا:

فى الكورفا سود / جمهور أسود
ورا الزمالك فى كل استاد موجود
روحنا فداه / دايمًا معاه /
بننادي باسمه فى كل بلاد الله.

ونعم جلست فى (الكورفا سود) كثيراً جداً.. لكنني
كنت أجلس وقتها كمشجع زملكاوي عادي.. ومن اليوم
سأقف فيها كفرد أولترا حقيقى.. فقط هناك مشكلة،
وهي أن "ناصر" لم يأت بعد هو و"محمد سمير" الشهير
بالمشاكس، أحد أعضاء مجموعة (وايت نايتس)، والذي
سيصبحنا لأول اجتماع للأولتراس فى حياتي.

تسألنى ولماذا ذلك الإصرار على أن أصبح فرد أولترا؟!
لماذا اعترتنى هذه الرغبة بهذا التدفق وفى هذا الوقت
تحديداً؟! وإجابتي عليك تتلخص فى.. وصية أمي.

أمي، هذا الفصل الطويل من كتاب عمري والذي لن
توفيه حقه كلمات الدنيا إن جمعتها.. حصلت هي على
ليسانس الآداب فى جامعة القاهرة، درست هي الفلسفة
وظلت تدرسها لطلبة المدارس لأجيال وأجيال، واستطاعت
أن تنمي داخلي حب الفلسفة عبر السنين.. كانت (بنت
الجيران) بالنسبة لأبي، أحبها وبادلته الحب، طلب منها
الزواج فوافقت، واختارها الاستمرار فى المعادي، ومع ميلاد
"وليد" تغير وجه الدنيا للأفضل، فترك أبي عمله فى شركة

البتروال الحكومية وانتقل للعمل فى شركة خاصة ضخمة بمرتب كبير، وتركت أمى المدرسة التى كانت تعمل بها، وبدأت التدريس فى مدرسة تجاور بيتنا.. ولما أتم "وليد" عامه الثانى سافر أبى للمملكة العربية السعودية ليعمل فى فرع الشركة التى يعمل بها هناك، وسافرت أمى و "وليد" معه، وبعد عامين آخرين تقريباً عادت أمى لتلدنى، وتبدأ رحلة تربية كلانا، "وليد" وأنا.. وبين مدرستها وبيتنا، قضت أمى عددا لا بأس به من السنين، حتى عاد أبى ليعمل فى فرع القاهرة من جديد لبقى بجوارنا.. ويساعدها، لنصبح مع الشهور والسنوات ما نحن عليه الآن.

أمى تركتنا عمداً فى وقت حاسم للغاية.. فقد تركت أبى ينهى سنين عمله الطويلة لاقتربه من سن الستين.. تركت أخى فى مستقبل حياته العملية بوزارة الداخلية كضابط مازالت فرحته بالدبورة الثالثة التى نالها لتوه لم تنته بعد.. وتركتنى غارقاً فى دوامة، بين مطرقة عمل لا أحبه وفتاة تعشقنى ويقطعنى ضميرى إربا بسبب أننى لا أبادلها الحب، وسندان أب قلمي يتواجد لينصح ويرشد، وأخ يتسلط ويتعالى بلا سبب معلوم... تركتنى أمى فى نوبة اكتئاب شديدة الوطأة، تركتنى قبل أن تعلم كم أحبها، قبل أن أرمى فى أحضانها لأودعها .

يكاد يكون الجمعة الثامن عشر من مايو عام 2007 هو التاريخ الوحيد الذى أتذكره بعيداً عن كرة القدم.. يوم اصطدم أتوبيس تابع لهيئة النقل العام بأمي التي كانت تعبر الطريق فى هذه اللحظة لتصاب إصابات بالغة فى أنحاء متفرقة من جسدها، وتنتهي حياتها بعد دقائق معدودة... ماتت أمي بعد اصطدام مروع بين وحش حديدى يجوب شوارع المعادي بسرعة خرافية وبين جسدها الضعيف... اصطدام طار بأمي لعدة أمتار ودفعها لتطير على الحديقة الكبيرة التي تحتل مساحة لا بأس بها من ميدان الجزائر، وينتهي كل شىء..

تركتنى أمي وحيداً، سقيماً، شاعراً بمرارة لا حد لها، تركتني وهي تشفق عليّ وعلى حالى وابتعادى عن كل المقربين منى.. كانت أكثر من يلمس مشاعري ويتفهمها، كانت الوحيدة التي تدرك أنني لا أتخذ ركناً قصياً لأنني أهوى ذلك، بل كانت تعلم يقيناً أنني خائف، تملؤنى الفوبيا الاجتماعية التي تمنعني من التقارب والتودد الى الناس.. كانت الوحيدة التي تعلم أن حل معضلتي لا يملكه سوى.. لذا فقد كانت تريدنى أن أعبر عن ذاتى.. وأن أفسر ما بداخلى من مشاعر، وأذكر أنها قبل وفاتها بيومين قالت:

- حالك مش عاجبنى يا "مصطفى".

وكعادتي رديت بدون تركيز :

- ولا عاجبنى يا ماما.

قالت:

- انت بتحب الزمالك أد إيه؟.

قلت مازحاً "أكثر ما بحب أمي".. كانت تعلم أنني أعشق الزمالك، وتعلم أنه خط أحمر، وأن الاتهام الأكبر بالنسبة لى هو أن يطعننى أحدهم فى زملكاويتى.

- ساعات بحس انك ما بتحبش الزمالك بجد.. لأنك مش بتعبر له عن حبك، ما تتكسفش.. لما تحب حد قوله أو وريله إنك بتحبه.

كالعادة لم أفهم.. ظننت أنها "تتفلسف" عليّ بكلماتها العميقة كدأبها، كالعادة تركتها في مكانها تنظر إليّ في انتظار رد يعلم كلانا أنه لن يأتي وسرحت بأفكاري فى اتجاهات أخرى، سرحت في الزمالك وحبى له وتاريخي العريض مع التشجيع وتركتها، كالعادة لم أكن معها إلا بنصفي أو أقل، لو كنت أعلم ما يخبئه القدر لارتيمت تحت أقدامها صارخاً ومعبراً عن حبي لها.

لكنني لم أنس أبداً تلك اللحظة التي نصحتنى فيها بالتعبير عن حبي.. ولقد استوعبت الدرس جيداً، فبعد وفاتها بأسابيع قضيتها فى الانغلاق والانعزال فى المنزل، عازفاً عن كل شيء، كارههاً كل شيء، العمل، والموسيقى، والأحلام.. راجعت كلماتها بدقة وقررت أن أعيش ما تبقى

من عمرى معبراً لكل من أحب عن حبي، اعتبرت كلماتها
وصية واجبة التنفيذ.

لهذا جمعتني جلسات ودية متعددة بأبي، محاولاً
تقريب المسافات بيننا، وإخراجه من حالة الاكتئاب
البشعة التي كان يحياها، جلسات ساهمت بشكل كبير في
تقليل حجم الفجوة بيننا.. سألته لم كان يعاملني بجفاء؟
لماذا كان يتجنبني؟ هل لأنني فشلت في دخولي كلية
الاقتصاد والعلوم السياسية كما كان يتمنى؟!.. أم لأنني
رفضت تقديم أوراقى إلى كلية الشرطة مثل "وليد"؟.. هل
لأنني زملكاوي وهو ما أثار له بعض المشاكل من جراء
المشاحنات المتكررة بينى وبين بعض جيرانى وأقاربي
وجيراني؟.. وأذهلتنى ردود أبي واكتشفت أن له مبررات
منطقية فيما كان يفعل طيلة السنوات الماضية وأن ما
يدور فى رأسى لا أساس له، والأهم أنني تأكدت من أنه
يحبني بحق.

عرفت أنه قرر أن يتركنى لحالى، هو يثق فى تربية
زوجته لى ويعلم أنني مستقيم الأخلاق، فقرر ومنذ
زمن أن يتركنى وشأنى، كان يعاملنى بجفاء لأنني شخص
أعامل كل من حولى بجفاء مماثل ففكر أن يذيقنى من
نفس الكأس.. سألته لماذا يتجنبني؟ فأفحمنى قائلاً أنني
لا أتواجد فى المنزل تقريباً.. قال إن عدم دخولي كلية

الاقتصاد والعلوم السياسية هو نصيب لا أكثر وأن عدم
التحاقى بكلية الشرطة هو قرارى لا قرار أحد.. قال إن
عصيتى للزمالك وتركيزى معه أنسيانى وجود بعض البشر
فى حياتى.

تركيزى مع الزمالك.. صدق أبى!!

فأنا فعلاً أعيش حياتى منذ سنوات طويلة كالمجذوب..
لقد ندهتني النداهة البيضاء الجميلة وانتهى أمرى.. أحب
الزمالك وهذا قدرى.. أحب موسيقى الترانسات وهذا
قدرى.. أحب القراءة وهذا قدرى.. وأنعزل عن بقية
تفاصيل حياتى وهذا قدرى وقدرك كل من يعرفنى.

انتهى أمر علاقتى بأبى على خير.. صرنا أكثر ارتباطاً
ببعضنا البعض.. حتى إننى اصطحبته معى إلى استاد
أكثر من مرة، جلسنا طبعاً فى مدرجات الدرجة الأولى،
حيث الناس الأكثر هدوءاً، ففيها لن تحدث مشاكل إذا
انكشف أمر انتماء أبى للأهلى.. صرنا نتحدث فى كل
الأمور تقريباً.. صار يشجعنى.. صرت أستمع إليه ويستمع
إلى، والأغرب أنه لم يعترض على الكثير من تفاصيل
حياتى كما كنت أتوقع بل على العكس كان متفهماً
للغاية فى كثير من الأمور، ناصحاً لى فى مواضع عدة..
اعترض هو على علاقتى بـ"شيماء".. اعترض على إغراقى
فى الزمكاوية.. بيد أنه تفهم موقفى من العمل، تفهم
عدم وجود أصدقاء حقيقين فى حياتى، تفهم أزماتى

مع "وليد"، بل إنه وعدني بمحاولة تلطيف الأجواء بيننا بجدية أكبر.. تستطيع القول بأننا صرنا أباً وابنه فى أقرب الصور إلى المثالية.

وجمعتني جلسات شبيهة وإن كانت أقل عدداً وتأثيراً بـ"وليد".. لكنه وكالعادة كان بارداً أكثر من اللازم فى كل مرة.. سخيلاً أكثر من اللازم فى أكثر من مرة.. كان أبى ملتزماً بوعده وحاول بالفعل تلطيف الأجواء بين ولديه، ولكن يبدو أن "وليد" لم يكن على استعداد لتذويب جبال الجليد التي تقف بينه وبينى بهذه السرعة.. ويبدو أيضاً أن وفاة أمنا المباغثة قد حوله إلى كائن أقل إنسانية، أكثر شراسة وعصبية.

كان "وليد" وقت الحادث قد تلقى ترقية إلى رتبة (نقيب) كما انتقل لتوّه للعمل كضابط بمباحث قسم الوائلي الذى يقع بحي (العباسية)، يعمل طوال الليل والنهار، كان يبدو كمن يهرب من واقعه المؤلم، أعتقد أنه كان يحاول تناسى وفاة أمنا بإغراق نفسه فى العمل، يحاول أن ينسى وجهها بين وجوه المجرمين، أعلم أن راتبه الضئيل يزيد من أعبائه النفسية، وأعلم أيضاً أنه يوقن بأنه لن يستطيع الارتباط بأى فتاة بمرتب كهذا، صحيح أن أبى لن يتركه، لكنني أعرف ما يكفى عن "وليد" واعتزازه بنفسه، أعرف أنه لن يعيش مع زوجته من جيب أبيه.

فعلت ما فعلته مع أبي ومع "وليد" ومع فودافون
ومع الموسيقى، غير أنني لم أستطع أن أفعله مع
"شيماء".. أحببت كافة تفاصيل حياتي باستثناءها.. تساوت
"شيماء" عندي بالسوشي، أكلة مزعجة شكلاً، غريبة عنا
تأتينا من أقصى العالم، السوشي كـ "شيماء" كلاهما
شيء نىء بارد لا أكرهه لكنني كذلك لا أستطيع أن أحبه،
الفرق هو أنني أمتلك قراري بمقاطعة السوشي، أما هي
فتفرض وجودها على حياتي فرضاً.

هذا المقهى جيد التهوية، الواسع، يضغط على أعصابي... أعتقد
أنني سأقوم الآن ... وملعون أبو "ناصر"

سمها نذالة.. سمها حيوانية.. سمها ما شئت.. ولكنني
أثق بأنني الوحيد الذى أعلم الحقيقة.. ولأنني أعيش لحظة
كتابتي لتلك السطور موقفاً تطهيرياً صعباً فلزاماً عليّ أن
أكون واضحاً معك للغاية وأن أتقاسم معك تلك الحقيقة،
فـ "شيماء" فتاة مثل أى فتاة أخرى، ترى كل من حولها من
البنات يعشن علاقات مستقرة إلى حد كبير مع شبابهن،
وهي تفتقد الحب لأسباب تتعلق بشخصيتها الضعيفة
إلى حد الاهتراء، واستعدادها الكامل لفقد كرامتها على
أرصفة أى شاب يريد خطف قبلة، يريد اعتصار جزء بارز
من جسدها بداعى الحب، "شيماء" تعتقد أن هذا برهان
الحب الذى تقدمه لحبيبها، ونحن جميعاً نعلم أن الشاب

المصري رغم هوسه الشديد بجسد المرأة إلا أنه لن يكمل
علاقة سوية بمنطق "شيماء" أبداً.

تقابلنا مصادفة فى النادي فى صيف عام 2005
أثناء متابعتي لبطولة غطس كانت هي مشتركة بها..
أخذني جمال وجهها وجسدها للغاية، ومن هنا بدأت
علاقتنا، خروج مستمر فى العطلات.. تطور لخروج فى
الأيام العادية.. كلام معسول مستمر منى حتى صدقتنى
الفتاة أسرع مما توقعته.. كنت قد أنهيت لتوي دراستي
الجامعية، وأنتظر موقفي من التجديد، لذا فقد كنت شبه
متفرغ لها، ورغم تكرار لقاءاتنا فقد كانت بالنسبة لى
علاقة عابرة بفتاة أعلم يقيناً أنني لن أرتبط بها ارتباطاً
رسمياً تحت أي ضغط فأنا لم أحبها منذ البداية - ناهيك
عن سهولتها الشديدة- فقط أبهرني جمالها الأخاذ، أبهرتني
طريقة ارتدائها لملابسها القصيرة والضيقة، والساخنة
أحياناً.. والتي قد تتسبب فى أن يحسدني أي رجل فى
العالم وهو ما أريده كنوع من الزهو والفخر بأنني شاب
محظوظ له فتاة جميلة تعشقه بجنون.

تستطيع القول أنني كنت أحتاج لاستكمال الوجهة
الاجتماعية.. شاب ميسور الحال، يمتلك سيارة حديثة
الطراز، كما أكسبتني دراستي للفلسفة لساناً حلواً ومنطقاً
دقيقاً إلى حد يذيب عقول الفتيات الصغيرات.. فقط

تنقصني فتاة.. وجاءت "شيماء" فتاة الثانوي في هذا الوقت لتكمل الجزء الناقص في حياتي وتصبح صديقتي.. ذلك رغم أنها لم تكن أبداً تقابل تطلعاتي في فتاة أحلامي، كانت بلا شخصية تقريباً، كما أنني اختبرتها مرات ومرات وفشلت هي في كل الاختبارات.

فبعد يومين فقط من علاقتنا جربت أن أمسك يدها الناعمة، وقد كان، حتى إنها بادرت وضغطت على كفي برقة وعذوبة صاحبها ابتسامة ساحرة تحاول أن تصطنع الخجل، وهو ما يعنى بالنسبة لى أنها رسبت بدرجة ضعيف جداً في أولى اختباراتى لها، وبعد شهر واحد فقط من علاقتنا ظهرت نتيجة الثانوية العامة.. نجحت هي بمجموع جيد بالنسبة لشعبة الأدبي.. واحتفالاً بهذه المناسبة قررت أن أحتضنها في سيارتي وقد كان، لم يبد عليها الاعتراض إطلاقاً.. احتضنتها بيمناي.. ضمت جسدها إلى جسدي.. حاولت هي التملص للحظة ثم استسلمت لتوجيهات ذراعي.. وتحركت يسراى لتكمل دائرة الاحتضان.. وارتعش جسمي للحظات، ارتعشت خوفاً في البداية، ثم تحول الخوف إلى قلق، ثم تحولت كل المشاعر إلى هذا الشيء الذى نعرفه جميعاً.... (الشهوة).

قبلتها بشراة.. وعرفت من أدائها فى هذه القبلات
أننى لم أكن الأول وقررت حينها ألا أكون آخر من يأكل
من طبق "شيماء" الشهى.. وبعدها تكررت اللقاءات، ومع
دوران عجلة الزمن لتطحن معها الأيام والأسابيع والشهور
فعلت مع جسدها الممتع كل ما يمكن فعله داخل
سيارتى.. داخل المصعد.. فى مكان منعزل بالنادى.. فى أى
مساحة جغرافية/ زمنية تسمح لى بخطف قبله أو لمس
جزء غير مسموح من جسدها أو أى شىء آخر.. كل هذا
وسط استسلام كامل منها تحت شعار الحب.

حتى جاءت اللحظة الحاسمة، لحظة الامتحان الأخير
الذى رسبت فيه كالعادة، يوم أن فازت بمسابقة فى
الغطس.. وقررت أن أحتفل معها بطريقة خاصة، وأدعوها
لسهرة بسيطة بعدها بيومين فى منزل "هشام" صديق
عمري وسط مجموعة من الأصحاب والمقربين - المزعومين
بالقطع- وافقت هى بدون مجهود، واحتضنت يدها
برفق أثناء دخولنا لمصعد البناية التى يسكنها "هشام"،
وضغطت زراً يشير إلى الدور الرابع.. ومع أول سنتيمتر
يقطعه المصعد لأعلى.. كانت شفتاى تجريان حواراً غاية
فى الأهمية مع شفتيها، وكانت يدي اليسرى تعتصر بعض
المناطق البارزة فى جسدها كمقدمة منطقية للغزو الذى
كنت أخطط له بعد قليل.

- ألف مبروك يا حبيبتى.. عقبال بطولة الجمهورية.
- ميرسى يا حبيبى .
- ميرسى ليكى انتى انك وافقتى تيجى.. كنت خايف
تكسفينى وما تجيش .
- وأرفض ليه..حبيبى وعازمنى على سهرة.. حبيبى
ومهتم بيا.. تفتكر دى حاجة تترفض؟؟!!
وليتها رفضت!!.

ثالث رُبْع ساعة « راحة سلبية »

الوكر- المعادي

فتح "هشام" الباب لأجده قد جهز كل شيء كما طلبت منه تماماً، شموع حمراء فى كل مكان... باقة كبيرة من الزهور البنفسجية التي أعلم مدى حبها لها.. إضاءة خافتة تحيط بنا لتضفى انطباعاً رومانسياً مثيراً.. مجموعة من زجاجات الـ ID بنكهات مختلفة تتوارى بجوار المنضدة القصيرة التي تشبه الطبلية المودرن وتتراص عليها أنواع مختلفة من الطعام الصينى الذي تحبه "شيماء" بجنون.. ويتوسط المنضدة صندوق خشبى أنيق محفور عليه اسمها بشكل جذاب.. سلمت على "هشام" غامزاً له بسعادة فقد خططت ورسمت السيناريو ونفذته هو بدقة.

الأب والأم فى (مارينا).. وهو يستعد للحاق بهما.. شقة خالية لنا وحدنا - جسدها وأنا - لمدة قد تصل إلى الشهر.. مفتاح الشقة معى.. وحارس البناية صديق (عزيز جداً) يمكنه أن يتحول لأعمى مقابل علبة سجائر ميريت أصفر وعشرين جنيها.. فليكن.

فتحت لها الصندوق الخشبى متوسط الحجم.. ليزيد من انبهارها.. جلسنا على الأرض، احتضنتها فى اللحظة التي تسلل فيها "هشام" خارجاً من المنزل.. انقسمت ساعة

الحائط فى هذه اللحظة لنصفين معلنة عن السادسة مساء.. وبعد ثوان قليلة كانت "شيماء" تخرج أول قطعة من صندوقها والتي كانت عبارة عن سلسلة رقيقة من الذهب الأبيض تحمل الحرف الأول من اسمها واسمى.. ثم علبة كاملة من الشيكولاتة الفاخرة التي تحبها.. ثم مايوه بكينى وردى اللون شفاف فى معظمه هو أقرب للملابس الداخلية قلت لها إنه مخصص ليلتنا الأولى بعد الزواج.. ثم زجاجة عطر قديم لكنه رائع (بيبي دول من إيف سان لوران) طلبت منها تعتيقها لنفس الليلة والتي وعدتها- كاذبا طبعاً- أنها لن تبعد كثيراً... وانتهى الصندوق بدعابة خفيفة وهي علم صغير للزمالك والذي طلبت منها أن تحافظ عليه كأول قطعة أثاث من بيتنا المزعوم.. أكلنا حتى امتلأنا.. شربت هي زجاجتين ID بنكهة البطيخ، وشربت أنا ضعف الكمية، وعندما اقتربت الساعة من السابعة كانت تجلس بين أحضانى مرتدية البكينى الوردى الساخن لتعلن عن بداية ليلتنا الأولى والتي لن أنسى مذاقها أبداً.. فصحيح أنها لم تكن أولى فتياتي فى الحياة.. لكنها كانت أولاهن فى الفراش.. حملتها برفق وهدوء مقبلاً إياها حتى أرحت جسدها الأبيض المثير على سرير "هشام" الكبير فى غرفته.. غرقنا فى نوبة طويلة من القبلات، كنت حريصاً على ألا أتعجل وكانت هي تفتقد للحرص، وبالطبع لم تقاومنى.. لم تقو على ذلك خاصة بعد تأثير محتويات الصندوق وزجاجتي ال-ID.

خلعت عنها ما ترتديه من قماش، قذفته بلا عناية
لتلتهم عيناى جسدها.. قلبتها بين يدي حتى رقدت على
بطنها، قلبتها بجنون.. قبلت كل ملليمتر فى جسدها بلا
مبالغة.. حتى التقينا.

نجحت قواتنا المسلحة في اختراق الحصون المنيعه ودك
دفاعات العدو

وقت طويل مر عليّ كثرانٍ بين تأوها وآهاتى..
صراخها ولمساتي.. استمتاعها ورغباتي.. حتى انتهينا.. وقتها
كانت الساعة تجرى بسرعة نحو الثامنة.. أمامي ساعتان
لا أكثر حتى يحين موعد عودتها للمنزل.. إذن فلنفعلها
ثانية.. فلنكررها للمرة الثالثة.

جسد أبيض ممتلئ فى مناطق الإثارة.. يليق بغطاسة
محترفة مثلها، متناسق فى مجمله.. تحيطه ملامح تصرخ
بجمال أخاذ.. جسد سريع الإيقاع.. جسد يغريك بالمغامرة
من أجله وأنا عاشق لها.. جسد يطلبك ويشتهيك كما
تشتهيه.. جسد يرغب بك كما ترغب به.. جسد يحتويك
وتغرق فى بحرهِ، تنسى معه الوقت والمسئوليات....
وتستريح .

وتكررت لقاءاتنا وليالينا السعيدة فى منزل "هشام"
وعندما قلقنا من احتمال حملها ذهبت هي لطبيب نساء
شهير بالدقى - حرصاً منا على أن نتوارى بعيداً عن أعين
أهل المعادي التي ألفتنا وقد تفضحنا - أعلن الطبيب
أن لديها اضطراباً هرمونياً ما، وأنها لن تستطيع أن تكون
أماً قبل أن تجرى عملية بسيطة فى الرحم.. وكان هذا
كالضوء الأخضر الذى فتح طريقاً ممهداً لنا كي نفعل ما
نريد دون ضوابط، دون رادع، فى انتظار الزواج والعملية
الجراحية البسيطة حتى نأتى بنيرمين ابنتنا المزعومة.

وهكذا كانت أيامي مع شيماء، سهرات حمراء
وجولات فى الشوارع، المزيد والمزيد من الكافيهات،
والكثير جدا من الجنس، أتركها مضطراً للذهاب الى
عملى فى كل صباح، وأتركها بنفس يملؤها الرضا لأذهب
إلى النادي فالمقهى أو التدريب أو مباراة من المباريات..
لكنني وكعادتي بدأت أشعر بملل شديد منها بعد فترة،
ملل نابع فى الأساس من كونها راكدة ثابتة، فأفكارها
لم تتغير، ظلت هي كما هي، تريدنى دائماً إلى جوارها
لنخرج ونسعد بأيامنا وحبنا، وتحلم آلاف المرات فى اليوم
الواحد بتفاصيل الفرح والزواج وشهر العسل و"نيرمين"
وغيرها من الأشياء التي لا تهمنى إطلاقاً، وأضطر أنا
لمجاراتها خوفاً من اختفائها وبالتالي اختفاء الجنس من
حياتي. فانا لا أنكر أن سطوة الجنس لا مثيل لها، خاصة مع

فتاة فى جمالها وسهولتها، وصحيح أنني أرغب فى الزواج،
نعم أريد حفل زفاف فخم، نعم أريد قضاء شهر العسل
فى مكان متميز خارج الحدود، نعم أريد نيرمين، لكنني لا
أرغب بـ “شيماء” كطرف فى أى من هذه الأحلام .

راتبى فى فودافون يمكنك اعتباره راتباً متميزاً، قد
يُمكننى من تحقيق أحلامي.. أحصل عليه شهرياً مع تأمين
صحى محترم وجزء من أرباح الشركة يتم تقسيمه على
الموظفين بشكل دوري، وعلاوات ومنح فى بعض الأحيان
تكفى أى شاب مثلى ليعيش هائئاً سعيداً، لكنني لم أكن
أبدأ هائئاً ولا سعيداً ولا رائق البال، رغم قدرتى على
تحقيق ما أحلم به، وشراء كل ما أريد، وذلك لأسباب
تتعلق بضميري الذى يستقبلني كل صباح بمعركة يذكرني
فيها بأنني (خسيس) أفعل ما يحلو لى بجسد الفتاة، كما
يذكرني بأنني أفعل ما يحلو لى بحياتي ككل، أعيشها طويلاً
وعرضاً غير عابئ بشيء أو بأحد، فرغم كل شيء، لم يبتلع
ضميري أبداً ممارسة الجنس/ الزنا مع “شيماء” مهما كانت
المتعة الناتجة عنه، تتكرر المعركة معه يومياً، وأقرر يومياً
أن أتناساه وأؤجل المعركة لوقت لاحق، وغالباً ما يأتي
هذا الوقت سريعاً فى صباح اليوم التالى لتتكرر المعركة
بكل فصولها وبحذافيرها .

كشاب مصري طبعى يعرف جيداً (البير وغطاه)
فقد أخلق المبرر تلو الآخر لكل من يرتكب جرماً أو
خطيئة لأنني وبمنتهى البساطة والوضوح أزاملهم على دكة
الاحتياط فى هذا البلد وأعلم الحال وما يحويه.. فقد أجد
مبرراً للسارق، للنصاب، للبلطجى، حتى إنني قد أجد مبرراً
للقاتل تحت وطأة الظروف والأحوال، أما الزنا (شيماء فى
حالتها) فلا مبرر لها على الإطلاق.. حاولت كثيراً أن أجد
لنفسى مبرراً للزنا لكنني فشلت، حاولت منع نفسى من
الرذيلة الشيمائية لكنني عجزت... هي طبيعتي.

طلبت الرفقة من أخوة الدم، زملائي الأولتراس، فلم
أجد سوى الصخب والضجيج والحماس الذى يلهب مشاعري
ويضطرني إلى قضاء استراحة محارب بين أحضانها، طلبت
السلوى من الروايات والقصائد ونظريات الفلسفة وبحور
التاريخ، لكنها جعلت منى شخصاً حساساً رقيقاً يستشعر
القبح فى كل ما ومن حوله ويحتاج إلى جرعة جمال...
وبالله عليك أن تخبرنى وتشير إلى من هي أجمل من
تلك الـ "شيماء" اللعوب.

لا يوجد مبرر اجتماعى يسمح لى بممارسة الرذيلة
كما لا يوجد غطاء دينى مناسب قد يكفل لى الدفاع عن
نفسى وعن (هرموناتي) ولا توجد بعد وسيلة لكى أمنع
نفسى وأكبح شهواتي ولا يوجد مكان مريح فى العالم

بعد (الكورفا سود) سوى صدرها البارز والطري، ولا طريقة من طرق التعالي والخطرسة والصد و(الغتاة) تجدى معها نفعا، ولا أم تعوضنى حنانها، ولا أب متواجد لينصح، ولا أخ يهتم بالسؤال، ولا المعادي تمنعنى من القبلات الحارة فى دهاليزها المظلمة، ولا الزمالك يكسب البطولات فيمنحني بعضاً من الثقة بالذات التي أشعر بها بعد اعتلاء جسدها المثير، إنني أحيا مذاقاً مختلفاً من المآسى يا سيدى، بل قل إنني فى قلب بيت جحا ولا أستطيع الخروج منه.

مدينة نصر- المعادي- الكورفا سود

إنها السابعة والنصف وخمس دقائق ولم يعرني أحد اهتمامه سوى القهوجي والذي يقف أمامي منحنيّاً ليضع الحجر الحادي عشر فوق شيشتى.. بدأ صدرى يضيق من كثرة الدخان الردىء.. بدأت أسمع لحناً مزعجاً لأنفاسى العادية وهي تدخل وتخرج من رئتي.. كما بدأت أعاني من الصداع.. زادت حدة توترى للضعف تقريباً.. ولم يأت "ناصر" أو المشاكس بعد، المشكلة الأكبر هي أن "ناصر" أفقر كثيراً من أن يملك هاتفاً محمولاً لذا فالوصول إليه مستحيل، كما أنني لا أعرف المشاكس بعد وبالتالي لا أعرف له رقم هاتف، بمعنى أوضح فأنا مضطر للجلوس على هذا الكرسي حارقاً المزيد من المعسل، شارباً المزيد من المياه الغازية فى انتظار الفرج.

سأمشي حالاً من هذا المكان الرحب، جيد التهوية، وليكن ما يكون
إنني الآن فى انتظار صافرة البداية لمباراة قد تكون
الأهم فى حياتي.. مباراة تاريخية سأذكرها طويلاً..
مباراة ستبدأ بعد قليل، فقط لو أتى هذا الشئ المدعو
”ناصر“، وفى الدقائق الطويلة التي انتظرتة فيها تذكرت
عدد المرات التي تأخر فيها علىّ، ووجدتها كثيرة للغاية،
لأتأكد أنه سيكوباتي آخر يهوى التأخر على الناس فقط
ليشعر بأهميته.. أسمع كثيراً عن أشخاص يتصرفون
بإيجابية شديدة فى مثل تلك المواقف، ويتركون المكان
فوراً بعد تأخر الطرف الآخر عليهم لرُبّع الساعة.. لكنني
لست إيجابياً لهذه الدرجة فيما يخص الزمالك.. بل يمكنك
القول أنني كنت أكثر مخلوقات الله سلبية مع هذا الكيان
تحديداً.

وأخيراً وبعد نصف ساعة أخرى.. وبعد زجاجة مياه
غازية جديدة.. وحجرين آخرين، ومكالمة جديدة من
شيماء اعتذرت لها فيها عن نسياني للموعد، واعداً إياها
بليلة دافئة قريبة، ظهر ”ناصر“ متأبطاً ذراع المشاكس..
جالا ببصريهما فى أرجاء المكان.. وما إن وجدانى حتى بدأ
”ناصر“ فى تمثيل مسرحية تدور أحداثها فى المواصلات
المزدحمة والتي كانت سبباً رئيسياً فى تأخر ”المشاكس“
عليه، وبالتالي تأخر ”ناصر“ علىّ.. قطعاً لم أصدق حرفاً
لكنني كنت فى انتظار الأهم.

سألت "المشاكس" بسرعة عن الاجتماع فقال إنه فاتنا بكل تأكيد، فزاد معدل ضربات قلبي وتوترت جداً، وكدت أقذفهما بما تطوله يداي من أشياء لولا أنني تماسكت في اللحظة الأخيرة.. ها قد أضاعا عليّ هذان الوغدان أول اجتماع أولتراس في حياتي.. ثم تلا عليّ المشاكس المبادئ الأساسية للمجموعة :

- 1 - الأولتراس لا يتوقف عن الغناء أو التشجيع خلال المباراة، ومهما كانت النتيجة .
- 2 - الأولتراس لا يجلس أثناء المباراة .
- 3 - الأولتراس يحضر أكبر عدد ممكن من المباريات (ذهاباً وإياباً)، بغض النظر عن التكاليف أو المسافة.
- 4 - الأولتراس يظل ولاؤه قائماً للمجموعة المكونة (أي أنه لا ينضم لأي مجموعة تشجيع أخرى) .
- 5 - والأهم من ذلك أن جميع أفراد الأولتراس.. إخوة في الدم.

كنت على استعداد لاستيعاب هذه المبادئ وتنفيذها دون مناقشة.. لأنني زملكاوي منذ زمن بعيد، وأمارس زملكاويتي علناً أمام الجميع ولا أخشى في الزمالك لومة لائم، لكنني وبانضمامي إلى (أولتراس وايت نايتس) أنفذ وصية أمي وأعبر للزمالك عن حبي.

تركت الجلسة مسرورا سعيداً، وتمنيت أن تجرى الدقائق والساعات ليبدأ الدورى، وأبدأ فى متابعة المباريات من (الكورفا سود) كواحد من الأولتراس، ومع صافرة الحكم التي أعلنت بداية مباراة افتتاح الدورى فى هذا العام، بدأت فى ممارسة حياتي كفرد أولترا.. منفذاً للتعليمات.. مطيعاً للأوامر.. مؤدياً دورى على أكمل وجه كواحد من مجموعة تمثل الليبرو فى فريقنا العظيم.. تدافع عنه بحماس.. تواصل عطاءها مهما كلفها الأمر.. تشاركه الأفراح، تسانده فى الأتراح.. تكتب المقالات، تزأر فى مدرجات الملاعب، تزور النادي لتعبر عن وجهة نظرها، تحضر مباريات اللعبات الأخرى لتساند الكيان، تملأ الدنيا صخبا وضجيجا، هكذا يجب أن يكون فرد الأولترا.. المحب العاشق.. هذا ما يجب أن أكون... وهذا ما حققته.

الاثنين 13 أغسطس 2007.. وقد مرت يومها ثلاثة أشهر تقريباً على وفاة أمي.. غاب الجرح الغائر وإن لم يزل أثره بعد، ولأول مرة بعد حادث الوفاة، أستيقظ من نومى شاعرا بالحماس والفخر، كان يوم افتتاح الدورى العام، وكنت أشعر بالحماس لأنني سأجلس اليوم مع الأولتراس فى المدرجات بشكل رسمى، شاعرا بالفخر لأنني سأفعلها لأول مرة، ولأنني أيضا أنفذ حرفيا وصية والدتى رحمها الله، أعتقد أنها اليوم سترقد هائلة فى قبرها بعد أن استمع آخر عنقودها لوصيتها، بعد قراره بتنفيذ وصيتها

بحب العالم... العالم الذى يبدأ وينتهي عند الزمالك
بالقطع.. قمت من سريرى فى العاشرة والنصف صباحا
لأستحم بشكل دقيق للغاية، حلقت ذقنى، أفرغت على
جسدي نصف عبوة من الـ BODY SPRAY الذى أهدتنى
إياه "شيماء".. هاتفنت "هشام" وطلبت منه المجيء إلى
منزلى بعد ساعة، أبى كان خارج المنزل لأسباب مجهولة..
أما "وليد" فكان من الصعب تواجده فى مثل هذه
الساعة المبكرة من اليوم بسبب ظروف عمله، لذا فقد
كان الظرف مثالياً كي يزورنى "هشام" ونجهز سوياً لرحلتى
إلى الاستاد.

هاتفنت "شيماء" لأوقظها من النوم طالباً منها أن
تلاقينى فى إحدى غرف الشات، كانت قد مرت يومها
فترة طويلة جداً لم أعبت بجسدها المثير، وشعرت يومها
بالرغبة تشتعل فى جسدي.. كتبت لها على أزرار الكمبيوتر
أن تفتح الكاميرا ففعلت، استمر حديثنا على الانترنت
لنصف ساعة أو ما يزيد قامت فيها "شيماء" باستعراض
جزء كبير جداً من جسدها عارياً أمامي لتشعل فى الرغبة
أكثر فأكثر.

جاء "هشام" ومعه ما طلبت.. كان يحمل بين يديه
هذا الدف الصغير والذى سأستخدمه بكفاءة فى تشجيع
الزمالك بعد ساعات قليلة، سأرقص وأغنى معه، سأداعبه،

سيلين بين يدي ويزأر معى فى حب النادي.. ثم جلس معى نتجاذب أطراف الحديث، حدثته كثيراً عن اليوم الحماسى الملحمى الذى ينتظرنى، وكالعادة سخر منى "هشام" كما يفعل الجميع، فلم يكن هناك من يستطيع تقدير حبي لفريقي، لم يكن هناك من يتفهم أنني فرد أولترا منذ الميلاد وأن ما سيحدث اليوم هو مجرد إشهار وتوثيق لهويتي الحقيقية.

أحب هشام حقاً.. لكنني لا أتحمل أهليته العفنة

حتى دنت عقارب الساعة من الثالثة فقامت كالملسوع لأرتدى تشرت الزمالك على جسدي، مع بنطلون جينز أخصصه لبهدلة الاستادات غير أنني كنت قد غسلته بعناية يومها.. وضعت عراقة بيضاء لها خيطان أحمران فى يدي اليسرى... ثم علم الزمالك والذى يبلغ حجمه حوالى مترا ونصف المتر المربع والذى دفعت يوما 20 جنيها لأحد الخطاطين كى يكتب بين خطيه الأحمرين MOOOS 14.. كعلامة على اسمى مع رقمى المفضل كما ذكرت لك من قبل.

أيضاً ارتديت حذاءً رياضياً خفيفاً أسود اللون حرصت أشد الحرص على أن يكون نظيفاً.. كنت حريصاً على أن أبدو براقاً بشكل عام... تأملت لشوان قليلة علم الزمالك متذكراً لحظاتي مع الكيان الأعظم فى حياتي..

متذكراً النجاحات والإخفاقات.. العرق والدموع والصراخ
والدماء والأتربة.. متذكراً سيرة حياتي البيضاء ذات الخطين
الأحمرين.. شريط سينمائي لامع لم أندم عليه يوماً..
لا أرغب فى تحقيق أى مجد شخصى من خلاله.. حجر
فرعونى صلب سأخربش عليه اليوم بداية فصل جديد عند
جلوسى فى (الكورفا سود) لأول مرة كفرد أولترا.. كترس
صغير فى ماكينة العاشقين العملاقة التي تدور وتدور
لتلهب المزيد من الأعصاب.. لتسعد المزيد من البشر.

ثم غرقت تماماً حين تأملت صورتى مع أمي والتي
تقف شامخة على "الكومودينو" المجاور لسريرى.. صورة
فوتوغرافية بدأت فى التحول للون الأصفر تحملنى فيها
أمي مبتسمة راضية أمام بيت الفيل بحديقة الحيوانات..
تأملت وجهها الصبوح، ابتسامتها، تفاصيل يدها التي
تحتضننى فى حنان واضح.. تأملت نظرتى نحو الأشياء
الذى ننظر له جميعاً عند خضوعنا لسحر الفوتوغرافيا..
تمتت بالفاتحة فى سرى وغرقت تماماً، حتى انتزعنى
"هشام" من سباتي بهتافه وتذكيره إياى بموعد المباراة.

جرينا سوياً على سلالم منزلى.. ركبت السيارة التي
قادها "هشام" ومشينا سوياً فى شوارع المعادي حتى
وصلنا إلى قلب ميدان العرب الشهير أمام مقهى كبير
يحتل ناصية واضحة.. هذا المقهى الذى كان المحطة التي

سنلتقط منها "ناصر"، الذي ركب مسرعاً معنفاً إياي بشدة
لتأخري.. اعتذرت له.. وأقنعتة بأن "هشام" يوازي بطلاً من
أبطال رالي الفراعنة وأنا سنحتضن إستاذ القاهرة بعد أقل
من 20 دقيقة، مال "ناصر" برأسه للأمام ليقراً الرموز التي
تظهرها الساعة ليجدها تقول "إنها الثالثة والرُّبع ياسادة..
لقد تأخرتم كثيراً".

بين الشوطين « الجمهور يُغني »

الزمالك زى مصر

الزمالك زى مصر

يعنى بعد النكسة والهزيمة بتيجى من تانى العزيمة

وتجيب معاها ألف نصر

الزمالك زى مصر ... يشبهها تمام

عشر خطاوى للأمام.. وخمسميت خطوة لورا

نفس الدسائس والنميمة والنفوس اللثيمة

واللصوص اللى ناهبين الشوارع وماشين واحدة واحدة

بالغنيمة

ورغم ده

فى كل مرة بينهض نادينا ... اللى هو زى مصر

بنلاقيه أو بنلاقيها ... تنفض هدومها

وتتولد تانى عظيمة

.....

الزمالك زى مصر ناقصه يادوب حبة رتوش

الزمالك هو مصر

وأى نادي غير الزمالك.. أنا ما اعرفوش

رسام الكاريكاتير الزملاكاوي

عمرو سليم

الشروط الثاني

أول رُبع ساعة

« الديربي »

ستاد القاهرة- الإسماعيلية- دارفور - والمعادي

أرجع "ناصر" رأسه للخلف.. ثم مسح حبيبات عرق قليلة ظهرت على جبينه بتيشرت الزمالك الذى يرتديه وهو يخرج زفيراً حاراً وطويلاً:
- أوووووف.... أوووف عليك يا "مووس" وعلى مواعيدك

تأملته بهذه النظرة المتعالية والتي يسمونها (من فوق لتحت) ماطاً شفتاي فى محاولة لتذكيره بأنني لست الوحيد الذى يتأخر.. فهم هو الرسالة بدون أن أتكلم.. فأثر السكوت لباقي الطريق الذى طال كثيراً رغم أن سيارتنا يقودها "هشام شوماخر"، لكنه يوم الاثنين يا سادة ودعنى أذكركم بالحكمة الخالدة التي نسمعها كثيراً من سائقي التاكسي المتجولين فى شوارع العاصمة، (الأكل بالدين ولا زحمة يوم الاثنين)، قابلنا زحام خانق بالمعادي حتى خرجنا على الكورنيش الذى لم يكن أفضل حالاً.

فقررنا الدوران والرجوع فى اتجاه حلوان على الكورنيش لكيلومتريين أو ثلاثة وهي المسافة التي تفصل بيننا وبين (كوبرى طرة) الذى يفصل ما بين طريقى الكورنيش والأوتوستراد الذى سيكون أكثر راحة بنا بكل تأكيد، ومع كل متر تقطعه عجلات السيارة على الأسفلت

المتعرج الملىء بالحفر والمطبات، تقترب أكثر من الحلم.. من الهدف.. من بيت القصيد.. من استاد القاهرة الدولي، وجريت بعيني على المعالم الرئيسية القليلة على الأوتوستراد، مساكن نيركو الجديدة على اليسار حيث تقبع شقتان فخمتان استطاع أبي أن يشتريهما لنا أنا و"وليد" كمسكن زوجية لكل منا، و صحراء جرداء يميناً ويساراً، والتي شهدت أراضيها الرملية الواسعة عدداً غير قليل من معاركى مع كل من تسمح له رجولته بأن يتحدثانى سواء على المستوى الزملاكاوي أو المستوى الشخصى لأى سبب، كانت تلك البقعة من المعادي مكاناً مناسباً للغاية لفعل ما نشاء- نحن معشر المتعاريكين- فى بعضنا البعض، لأنها بعيدة كل البعد عن أعين الشرطة والمتطفلين وتمتاز بالهدوء- لاحظ أننا نتكلم عن عام 2007 وما قبلها- بعدها تظهر واحدة من أهم المناطق المحورية بالمعادي (صقر قريش)، والتي تختلف يمينها عن يسراها كثيراً، ففى إحداها صخب موقوف أوتوبيسات النقل العام وموقف الميكروباصات المتجهة إلى المعادي أو إلى منطقة فايدة كامل المتاخمة لحي البساتين، مصحوباً بصخب آخر تتسبب فيه قلة من المحلات التجارية المتنوعة وبعض باعة الخضروات والفاكهة وما إلى ذلك، وعلى الجانب الآخر تقف شامخة عمارات صقر قريش التي كانت لا تزال تحت الإنشاء رغم الشروع فى بنائها منذ الثمانينيات، وهو ما سمح لى بالطبع باصطحاب "شيماء" إلى هناك لنجرب

معا شعور الرجل البدائي وزوجته حين كانا يختبران
قدرات بعضهما البعض الجنسية فى العراء.. فوق الرمال..
وتحت السماء .

ويستمر الطريق فى استعراض ملامحه، كوبرى
الأباجية، كوبرى التونسى وسوق الجمعة.. السوق الذى
يبيع كل شىء ماعدا مستلزمات السفر للفضاء والجواري،
مقابر الغفير تقف متربصة بنا جميعا على يمين الطريق،
قلعة صلاح الدين الأيوبي على اليسار، مدخل المقطم على
اليمين، منشية ناصر، منطقة المقاولون العرب وملعبها
الشهير على يميننا.. إذن ما هي إلا عشرات الأمتار حتى
يتوقف "هشام" على جانب الطريق بعد المنصة بخطوات
ليقوم بتفريغ حمولة السيارة منى أنا و"ناصر" لنعبر
الطريق ونقابل شباب الأولتراس أمام مدرسة الموهوبين
رياضيا بجوار النصب التذكاري للجندي المجهول، سيجلس
"هشام" مع زميل دراسة له يسكن بشارع الطيران القريب
من الاستاد مع وعد منه بالعودة والتقاطنا مرة أخرى بعد
المباراة بنصف ساعة أو يزيد قليلا.

فاضل ساعتين ع الماتش

كنت فى واقع الأمر أفكر فى المباراة بعمق كعادتي
قبل أى مباراة يخوضها الزمالك، هي عادتي التي لن
أتخلص منها ماحيت على ما أعتقد، كنت قد علمت

من مواقع الانترنت بالتشكيل المتوقع للمباراة المصيرية،
جزمت أننا فى حاجة لمدافعين أشداء، جزمت أن خط
وسط الملعب يحتاج إلى ترميم، لكنني ورغم كل شىء
كنت متفائلاً للغاية، وأذكر جيداً أن أفكاري دارت دورة
كاملة لتستقر على انضمامي للأولتراس.. فى هذا اليوم كان
القوام الفعلى لمجموعة أولتراس (وايت نايتس) لا يزيد
بأى حال من الأحوال عن بضعة مئات من الأشخاص، هذا
غير أن (عقلية فرد الأولترا) لم تكن قد تمكنت بعد من
معظمتنا، وصحيح أن عددنا يزيد فى مباراة تلو الأخرى..
صحيح أننا ككيان نكبر يوماً عن يوم لكنني ومع حداثة
انضمامي للمجموعة كنت أفكر فى الكيفية التي أجذب
بها أكبر عدد ممكن من البشر !!.. كيف أقنعهم بملء
الفراغات فى كيان الأولتراس.. كيف ؟!..

أخرجنى "ناصر" من أفكاري حين بدأ يعرفنى على
بعض أصدقائه من المجموعة.. قابلونى بفرحة، كنت
فخوراً، سعيداً، متحمساً، لذا فقد طلبت بحماس أن يكون
لى دور حقيقى فى يومى الأول.. فكان أن قابلت (الكابو)،
وهو لقب يطلق على الشخص الذى يقود هتافات
المجموعة فى المدرجات وهو بالمناسبة ليس مدير أو قائد
فلا يوجد قائد للمجموعة، إنما هو فقط يتميز بشخصية
قوية وصوت عال يستطيع به لفت أنظار الجميع فى
(الكورفا سود) وإشعال حماسهم بالشعارات والأغاني

المختلفة، قابلنى (الكابؤ) بحماس وترحاب شديدين، وطلب منى أن أشارك فيما يشبه (الكورتيج)، وكلمة "كورتيج" لها معان عديدة في اللغة بشكل عام ولكنها تعني في قاموس مجموعات الأولترا...الاستعراض الذى تقوم به أى مجموعة أولترا فى العالم حيث يمشون جميعاً منشدين الأناشيد والأغاني، مشعلين الشماريخ، ملوحين بالأعلام، خلف البانر (الشعار) الخاص بالمجموعة والبانر هو لوحة مستطيلة من القماش تحمل شعار المجموعة، وهذا الكورتيج يعد من التفاصيل الرئيسية فى حياة الأولترا ويجب الالتزام به خاصة فى مباريات الديربى أو مباريات الترحال التي تسافر فيها المجموعة خارج مدينتهم، وذلك لإثبات قوة المجموعة فى أى مكان.. ورغم أن ما حدث يوم تلك المباراة لم يكن (كورتيج) بالمعنى الحرفى للكلمة، إلا أنني كنت فخوراً منتشياً سعيداً.

وفى الواقع أن هناك العديد من الإعلاميين الذين تناولوا موضوع (الكورتيج) هذا ووصفوه بأنه أعمال شغب، وأنه يدعو لنشر ثقافة العنف بين مشجعى الفرق المختلفة، ولكنني لا أراه كذلك على الإطلاق، أو بالأحرى، إن فكر الأولترا لا يعتبره كذلك، فهو ليس معركة بين طرفين ومن المفترض ألا يتحول إلى معركة على الإطلاق، فهو فقط كموكب ضخم لاستعراض القوة والتفاخر بالمجموعة، ورغم أن الكورتيج يُغضب الأمن منا أحياناً، إلا أنه مهم

للغاية لدينا ولا أعتقد أن الأولتراس سيكفون عن الاعتقاد به أو التخلي عنه فى أى وقت.. والحقيقة أنني وقتها - وقت تلك المباراة الافتتاحية للدورى عام 2007 - كنت فخوراً وسعيداً لأنني سأتشرف بلمس البانر فى أول أيامي كفرد أولترا... وهو شرف لو تعلمون عظيم.

كانت حرارة الجو تلهب الحماس أكثر وأكثر، الرغبة فى استباق الأحداث تلتهمنا التهاما، نعرف أن فريقنا استعداد للموسم الجديد بمعسكر ناجح، كنا متفائلين تماما رغم أننا سنواجه المدرسة المتميزة فى فنون كرة القدم (مدرسة الإسماعيلي)، وصحيح أن (الحكومة) غيرت مكاننا فى هذا اليوم من (الكورفا سود) إلى (الكورفا نورد) وهي مدرجات الدرجة الثالثة يسار المقصورة الخاصة بجماهير الأهلي وهو ما يعنى أن علينا تغيير خريطة الدخلة تماما لاختلاف المقاييس بين المدرجين، أضف على ذلك أنها - أى الحكومة - كادت تمنع الدخلات أيضا، إلا أن بعض قيادات المجموعة حاولوا أن يقنعوا قيادات الأمن المتواجدة فى الاستاد بدخول الجراد والشرائط التي سنستخدمها فى الدخلة، ووافقت تلك القيادات بعد جهد جهيد، ورغم الوقت الذى ضاع بسبب النقاشات الأمنية وبسبب تغيير المقاسات فى المدرجات إلا أننا كنا قد عقدنا العزم على تنفيذ دخلتنا، والتشجيع طوال 90 دقيقة بلا توقف لمساعدة فريقنا على حصد أول ثلاث نقاط له فى الموسم

وتوجيه إنذار شديد اللهجة لجميع فرق الدوري العام بلا استثناء وعلى رأسهم بالقطع الغريم اللدود، النادي الأهلي.

وبين حماسى أثناء تشجيع الزمالك وبين فخري واعتزازى بفريقى وبين حالة السخط التي انتابتنى بعد هزيمتنا فى المباراة.. مر يومى كما مرت آلاف الأيام من قبل.. لكنني لم أذكر لك تلك المباراة عبثاً.. فكونها مباراتى الأولى كأولتراس، هذا يعنى أنها كانت المباراة الأخيرة التي سأعيشها كمصطفى أحمد سعد الدين ذلك الزملاوى المتحمس.. ”مصطفى“ الذى يعيش كمرضى الجرب بعيداً متوارياً منكسراً فى معظم أيامه.. ”مصطفى“ الذى لم تكن له علاقة قوية بأحد من قبل خوفاً من أن ينشئ علاقة بشخص - أى شخص - ليكتشف أنه أهلاوى مثلاً.. فيتوقع طبعاً أن هذا الشخص سيهزأ به يوماً حتماً حين يخسر الزمالك من الأهلي وهو ما لن أتحملة قطعاً، وهو أيضاً ما أكسبني عدداً لا بأس به من الخصوم، وهو ما يرعبني من البشر.. ”مصطفى“ الذى يحيا من أجل الفكرة، الإيمان، العشق الذى كان يؤمن بعدم وجوده إلا بين أحضان الزمالك.

كانت مباراة مع الأشقاء فى الإسماعيلية، وفى الحقيقة إن علاقة التوأمة غير المعلنة بيننا وبين الدراويش - رغم توترها مؤخراً - لها جذور تاريخية تضرب فى أرض الزمن

لما يقرب من خمسة عقود، وقت أن كانت المدينة الهادئة الخلافة تتحمل وطأة الضربات المعادية لمصر إبان الحرب فى نهاية الستينيات، وقتها تم تجميد نشاط كرة القدم فى مصر لفترة قصيرة ثم عاد من جديد، لذا فقد توجب على الإسماعيلي كأحد أهم فرق الدورى أن يمارس نشاطه بشكل عادى، ولأن الإسماعيلية كانت لا تصلح لممارسة أى نشاط رياضى وقتها، كان لزاما على فريقها أن يتدرب ويلعب خارج حدود المدينة الهادئة، وكان أن رفض نادي القيم (الأهلى) استضافة الدراويش- وهو اللقب الذى يطلق على فريق الإسماعيلي- فى ملعبه بالجزيرة للتدريب، ورحب الزمالك بشدة، وفتح أبواب الملعب للدراويش، ومن يومها قويت العلاقة وتشعبت، ازدادت الأخوة بين الأبيض والأصفر، واشتعلت نيران الكراهية بين الأصفر والأحمر، ولو لم تكن كرويا متابعاً، دقيقاً، حريصاً على فهم بواطن الأمور لما تعاطفت للحظة مع جماهير الإسماعيلية، لكنك لو كنت هذا الشخص، أو على الأقل لو كنت تعرف فرداً إسماعيلياً واحداً لفهمت، لوعيت، لم توهجت النيران وتزداد تأججا يوما بعد يوم؟!، فالمواطن الذى يحمل الجنسية الإسماعيلية كرويا يولد متعلقاً بأحلام صفراء حول الدراويش ومهارتهم، ويعلم يقيناً أن فريقه هو (برازيل مصر).. فالإسماعيلية بالفعل أفرزت ومازالت العشرات من المهارات والمواهب الكروية الفذة غالباً ما تستطيع الأموال الحمراء أن تستقطبها فى اتجاه الجزيرة وهو ما يزيد نار الفتنة تأججا واشتعالا.

كانت مباراة مع الأشقاء فى الإسماعيلية، خسارتها مثل الفوز بها، كلاهما يحمل العديد من المعانى، خاصة وأنها المباراة الأولى فى الدورى، وهي أيضاً مباراة صعبة على الفريقين، خاصة وأننا يملؤنا الأمل، وأنني على المستوى الشخصى أشتاق لفرحة هذا الفوز كما يشتاق الظمان لشربة ماء.

كانت مباراة مع الأشقاء فى الإسماعيلية، نلعبها على أرضنا، وحدث أن خسرتها بهدف، كان كلطمة حطمت عظام وجهي، كان كخنجر حاد اخترق كبدي، أحسست وقتها أنني سيئ الحظ وأنني (نذير شؤم) على الزمالك وعلى الأولتراس، لكنني سرعان ما تخلصت من هذه الأفكار بسبب تكاتف أخوتي فى مجموعة (الوايت نايتس) حولي، أو بمعنى أدق التفافنا حول بعضنا، حول المجموعة، حول الفكرة.

قطعاً لم أكن الوحيد الذى تُقطّعه مشاعر الهزيمة إرباً وسط هذا الجمع الغفير، خرجت من الاستاد سائراً بجوار "ناصر"، تبادلنا بالكاد كلمات قليلة أخبرته فيها بأنني سأتصل بـ "هشام" ليأتي إلينا أمام المنصة فى ذات الموقع الذى أنزلنا فيه قبل المباراة، لك أن تتوقع قطعاً مشاعر الوجوم والذهول التي تحيط بنا من كل جانب، البعض يهتف بالأخطاء الفنية فى المباراة، البعض يتمنى

عودة الزمن للوراء ساعة واحدة لكى يفطن المدير الفنى إلى تغيير كان لزاما عليه أن يقوم به، البعض تترقرق فى عينيه الدموع، البعض يمشى صامتا كرمال الصحراء، وبعض المتفائلين يمشى مؤكداً أن أول مباريات الموسم لا تعنى الكثير وأن القادم أفضل بكل تأكيد، وأنا كما ذكرت كان يملؤنى الإحساس بأننى (نحس)، أصابنى هذا الإحساس تجاه الأولتراس والزمالك وتملك منى تماما فصرت صامتا متجهما حائرا.

هاتفـت "هشام" وانتظرناه لدقائق قليلة حتى وصل إلينا، قابلنا بابتسامة عريضة تحمل الكثير من معانى الشماتة والفرحة بسبب هزيمتنا من الإسماعيلي، تمنيت كثيراً ألا ينطق لكنه لم يكف عن الكلام والسخرية منذ بداية الرحلة وحتى اقتربنا كثيراً من المعادي، أغلقت هاتفى منعاً لاستقبال أى مكالمات هازئة مازحة سمجة، "هشام" يسخر ويسخر وأنا أصمت أحياناً وأحاول أن أرد عليه أحياناً أخرى.

ما كان يزعجنى حقاً الحالة التي كان عليها "ناصر" وقتها فقد كان غائباً عن الوعي تقريباً، ينظر إلى علم الزمالك بين يديه يكاد يبكى من فرط الذهول وهول الصدمة التي يبدو أنه لم يكن مستعداً لها وأنه كان يعد العدة لاحتفال من نوع خاص بعد الفوز الذي كان

يعتبره بديهيًا، احترمت صمته واحتملته كثيراً لكنني وعند عبور سيارتنا لموقف صقر قريش واستعدادها عبور مدخل المعادي لم أعد أحتمل وقررت مباغتته، درت بجسمي نصف دورة وقلت :

- إيه يا عم "ناصر"... مالك؟.

رد بنظرة تكاد الدموع تخفيها :

- مالك؟!.. مليش يا موس...، أنا خلاص يا "مصطفى"، انتهيت.

استفزتني جملته، فسألته :

- إيه.. كنت مراهن ع الماتش بخمسميت جنيه؟ .

رد شاخصاً:

- كنت مراهن عليه بحياتي..أنا اتنيلت ضعت يا "مصطفى"، روحت فى داهية .

- مالك بس يا "ناصر"؟؟.. صلى ع النبی وروق كده .

اعتدلت فى جلستى ثم وجهت كلامي لكليهما :

- تيجوا نقعد ع القهوة

لم ينطق "ناصر" فاعتبرته موافقاً، كنا فى تلك اللحظة ننتهي من شارع النصر، متجهين يساراً حيث المنطقة الأكثر عشوائية وفقراً.. (العرب) حيث الاختيارات بين المقاهي كثيرة ومتنوعة، اختار "هشام" أن يقف عند مقهى (أفريكانو) الواقع على سور الجمعية التعاونية المواجهة للقريّة الأولمبية، تلك الجمعية التي أصبحت جزءاً من التاريخ الآن بعد احتراقها بأكملها وتهدمها،

وبالتالى اختفت (أفريكانو) وما كان يجاورها من مقاه وعربات كبدة ومصادر لقمة عيش للعشرات، لأسباب مجهولة أو غير معلنة، وهي أسباب ظل أهالى المعادي يجتهدون فى خلقها ويتساءلون عنها لأسابيع إلى أن (مات الكلام) كما يحدث فى مصر دوماً.

بيبسى وحجر قص كالعادة، وطلبت ليموناً بارداً لناصر، واعتذر "هشام" وأخبرنا أنه مضطر لتركنا لارتباطه بسفر إلى الساحل بعد ساعات قليلة وأنه لم يحزم حقائبه بعد، سلم علينا وأدار ظهره لنا وخرج من المقهى.

ومع غلق "هشام" لباب السيارة كنت أدير الكرسي لأواجه "ناصر" الذى كان يعتدل فى جلسته بعد أن جلس على علم الزمالك الذى كان يحمله وكأنه يخفى عارا ما، أدار الكرسي مثلما فعلت وطأطأ برأسه لأسفل، فسألته :
- أطلب لك شيشة؟ .

- لا.. مش عايز .

- مالك يا عم.. هي معنى أول مرة تشوف الزمالك مغلوب؟
وكأنني بذلك السؤال كمن أمسك بسكين صديء محاولاً ذبحه، فانفجر "ناصر" فى وجهي وارتفع صوته كثيراً حتى تأكدت أن أبى النائم وقتها بكل تأكيد قد استيقظ فزعا بسبب صرخته وحديثه، ومع انفجاره هذا كرر ما سمعته منه فى لقائنا الأول، وكأنني نسيتته!!

دارفور من جديد

أضاف "ناصر" الكثير من التفاصيل، وعرفت ما أتمنى الآن أن أمحوه من ذاكرتى اللعينة، التي تتميز بأنها لا تنسى مثل تلك الأشياء أبداً.. انفجر ليخبرنى أنه ظل طوال سنين عمره التي تجري بسرعة نحو الثلاثين يؤمن بالعديد من الأشياء والأفكار، لكنه فى هذا اليوم فقط اكتشف أنه كان الأغبى بين كل من يعرفهم من البشر لأنه ببساطة - وكما قال- خسر جميع رهاناته على كل ما آمن به وكل ما أحب.

طفلا لم يتجاوز عمره التاسعة كان "ناصر" عندما بدأ وعيه يتفتح فى هذا المكان النائى البعيد الواقع جنوب غرب بلاده الشاسعة (السودان).. المكان الذى سمعنا عنه الكثير فى نشرات الأخبار والمسمى بـ(دارفور) ورغم أن أخباره تأتينا كثيراً فى نشرات الأخبار إلا أنني اكتشفت أننا بالكاد نعرف عنه شيئاً.. ورغم كل ما عرفته من الجرائد والأخبار المتواترة عن هذا الإقليم إلا أنني وبعد جلستى تلك مع "ناصر" عرفت أن حجمي يتضاءل ليصبح مقارباً لحجم حبة الرمل لفرط الجهل الذى أعانى منه تجاه هذه البقعة (الشقيقة) من الأرض .

- معظمنا عرب .

هكذا قال "ناصر" بادءاً حديثه عن سكان الإقليم والذي قال إن عددهم يقارب الـ 6 مليون نسمة، يتحدث معظمهم لغات محلية بجانب العربية، وهم موزعون على القبائل المختلفة، قبائل يرتحل بعضها ويستقر على الأرض البعض الآخر، عرفت أن العصبية القبلية هي أهم أسباب الشقاق الذي نسمع عنه دوماً في هذا الإقليم المليء بالخيرات والنعم، عرفت أن معظم القبائل غير المستقرة- والتي ينتمى "ناصر" لإحداها وهي قبيلة المحاميد- تعاني ومنذ سنوات من وطأة العبودية اللعينة.. وهو أمر فهمت أنه معتاد ويتم التعايش معه هناك، فكونك جنوبى الميلاد والنشأة في (السودان) هو أمر يمنعك من الكثير من حقوقك كبشرى، يحولك إلى أداة لا قيمة لها في أيدي السادة الشماليين، وبمرور الزمن يعتاد الجنوبي على كونه رقم 2 دوماً، ويعتاد الشمالى على أنه السيد والقائد والفتاح، إذن هي ثنائيات (الزمالك / الأهلي)، (برشلونة / ريال مدريد)، (الوحدات / الفيصلي) تصرخ في وجه المقيهورين في هذا العالم من جديد، وكأنه لن يستقيم إلا لو أن ثنائية السيد والعبد ظلت قائمة!!.

وبمرور المزيد من الوقت كان طبيعياً أن يسود قانون الرق، أن تقبل أنت ببقائك عبداً لإنسان من بني بلدك لا يفرقه عنك أى شىء سوى بضعة كيلومترات فى مكان الميلاد.

ابناً لراعى غنم كان "ناصر". كان يوماً يهوى المساحات الخضراء الممتدة ومشهد شروق الشمس فوقها. كان يشكر ربه كثيراً لأنه وُلد فى قبيلة مرتحلة لا تستقر إلا على أرض خضراء وتجدد موطنها باستمرار؛ لأن الترحال مكنه من استكشاف أراض جديدة، ووجوه جديدة، وثقافات جديدة، شب "ناصر" على حب شيئين لا ثالث لهما، كرة القدم ورعى الأغنام. كان يهوى الرعى ويعشقه، يخرج مع أول خيوط الشمس، قائداً لقطيع من تلك الحيوانات الأليفة، حاملاً فى جرابه كرة قدم ومجموعة من قصاصات الجرائد ووجبة طعام، ولا يعود إلا بعد أن ينمى قدراته الكروية قليلاً مع رفاقه وأبناء قبيلته، ويقرأ القصاصات كاملة، ويسد جوعه وجوع الغنم.

ثم أتت الحرب.

فرت قبيلته، حاولوا جميعاً التملص من ويلاتها، حاولوا التماسك كقبيلة واحدة، لكنهم جميعاً فطنوا إلى أن فى تفرقهم الحل.. رصاصة طائشة أودت بحياة أبيه أمام أعين أبنائه، سمع وقتها الكثير والكثير من الصرخات، صرخات حادة أخرستها رصاصات أكثر حدة ظلت تنهمر عليهم من كل حذب وصوب لتودى بحياة عدد كبير من أهل قبيلته... رصاصات كانت تنتقى الرجال والشيوخ، ولا تقرب النساء والأطفال والصبية، قال إنه يذكر جيداً مشهد الخيول وهي تجرى خلف الجميع فى محاولة اختطاف

أكبر قدر منهم، ليتحولوا بعد ذلك إلى عبيد.. ترك "ناصر" كل شيء وركض، تاركاً أغنامه، وأقاربه، وجرابه الذى يحوى كرتيه وقصاصاته.. ظل مع أخت وأخ فارين هارين من محاولات تحويلهم لرقيق.

وقعت أخته الكبرى بين يد أحد رجال الجنجاويد- والجنجاويد كلمة تعنى حرفيا رجل يمتطى الخيل ويحمل مدفعا رشاشاً- وهم مجموعات مسلحة تحارب من فوق الخيول وتحترف النهب منذ سنوات طويلة داخل إقليم دارفور، ينهبون للحصول على قوتهم ولخدمة الجيش السودانى- كما يُشاع- هذا بجانب أنهم يهوون بنات القبائل المرتحلة اللاتى ينكسرن كعيدان الحطب أمام سطوة الجنجاويد فى البلاد، وفى الأغلب تستخدم تلكم الفتيات كمداغى فى أسيرة الجنود ذوى القوة والسطوة والنفوذ، قال "ناصر" إن هذه الأخت حلمت يوما أن تتزوج وتستقر، وراهن هو عليها فى أن تحقق حلمها الصغير الضئيل والمشروع فى آن واحد، بأن تنشئ كوخاً صغيراً كمدرسة لأطفال القبيلة يتعلمون فيها أساسيات القراءة والكتابة والحساب، لينتهي بها الحال- قالها وهو مطأطئ الرأس- كمدفأة فراش لرجل تنازل عن نخوته طواعية ليحتفظ بالمزيد من النساء اللاتى كن بنات عذارى قبله، يجمعهن حوله ليزدن من إحساسه بفحولته.

بدأ "ناصر" فى البكاء مع تذكره هذه الحكاية، وبدأت نظرات زبائن المقهى تلتهمنا التهاماً، فأخذته بعيداً عن المقهى، واتجهنا إلى منطقة (الجولف) القريبة والتي تمتاز بهدوئها لنتحدث فيها باستفاضة، وهناك وعلى أضواء خافتة تنبع من عمود إنارة.

أكمل "ناصر" حكايته ليؤكد فى كل حرف ينطق به أنه مخلوق عانى ومازال يعانى من وطأة الإحساس بالقهر والمهانة والذل طوال عقدين من الزمان على الأقل، خاسراً بذلك رهانه على أن يكون بشرى المضمون كما هو بشرى الشكل، قال إنه حاول إنقاذ أخته، أقسم لى على أنه حاول أن يفديها بحفنة دولارات قليلة كان يدرها مع إخوته فقوبل بالاستهزاء والرفض، حاول أن يفديها بنفسه فرفض هذا الجنجاويد المتعنت، حاول أن يختطفها فتعرض للجلد وكاد يقتل.. وعلق "ناصر" على ذلك قائلاً إنه شعر وهو يزحف على الأرض بعد أن إنتهى الجلاد من عمله، بأنه لم يقتله ليتركه- أى "ناصر"- وعاره يتصارعان طيلة الحياة.

ولك أن تتخيل وتتعاطف وتصدق أنه فر من إخوته خوفاً من رؤيتهم فى موقف مماثل، فقد اتفقوا ضمناً على التفرق ونسيان بعضهم البعض وكان "ناصر" أول من نفذ الاتفاق، خاسراً بذلك رهانه على الرباط الوثيق الذى يربطه بهم، رباط الدم، وكما تناسى "ناصر" أخته وما حدث لها،

تناسى كذلك ما حدث لأخيه الأصغر، كان يعلم يقيناً أن هذا الأخ سيعمل أجيراً فى إحدى المزارع فى الشمال إذا لم يحالفه الحظ ويهرب، كان يعرف طبيعة المصير الأسود الذى ينتظر هذا الأخ، لكنه لم يحاول مجرد محاولة أن يدافع عنه أو أن يقوم حتى بتوجيهه لمصير أفضل.

حاول الابتعاد عن الإقليم والاتجاه شمالاً إلى الخرطوم، عاصمة الأمل، كما كان يحسبها، لكنه وكالعادة خسر رهانه، فقد فشل بين أحضان الخرطوم فى أن يجد نفسه كمواطن سودانى وعومل بجفاء وبرود و صلف كونه جنوبياً متخلفاً، لا تحميه قبيلة ولا تستر عوراته الإنسانية أموال أو ثقافة، فتركها وهرب، وظل يهيم على وجهه مجدداً ليحاول الحصول على تأشيرة لدخول الشقيقة الكبرى (مصر) خاصة وأن شريان الحياة الرئيسى الذى قدسته مصر والسودان قديماً (النيل) مازال قائماً ولن يزول على الأقل حتى يموت ناصر، وهو ما كان يعتقد "ناصر" أنه سيكون كالحبل القوى الذى سيجذبه إلى مصر بكل تأكيد.

- هو احنا ناقصينك يا عم؟!!

كانت تلك الحروف التى قالها موظف السفارة المصرية تخرج من فمه الذى يحتضن سيجارة من نوع سودانى فاخر حاد النكهة غير عابئ بأن تلك الحروف تُحمل هذا المواطن السودانى العليل المهموم الممزق

المزيد والمزيد من الضغوط وأنها تزيد من إحكام الحبال حول رقبته الضعيفة لتسد أمامه أبواب الأمل تماماً، فيخرج "ناصر" من الباب بعد أن يشرذ في علم مصر الذى يعانق علم بلاده وترتسم على شفتيه ابتسامة ساخرة تحمل العديد من المعانى ويخرج من جيب بنطاله المهترئ قطعة قماش ممزقة يمسح بها ما تراكم من غبار حول قاعدة العلمين القابعين على مكتب الموظف.. ويخرج خاسراً بذلك رهانه على الأخت الكبرى.

لكنه لم ييأس، التقى فى تلك الفترة ومجموعة من أبناء وطنه الذين يمتلكون ذات الطموح، طموح دخول مصر، وتجادلوا كثيراً جداً، صحيح أن منهم من كان يأخذ مصر كمحطة يقترب فيها من حلم السفر لأمريكا أو أستراليا أو كندا أو حتى إسرائيل، صحيح أن منهم من كان يثق تماماً فى أن (ما أسخم من سيدى إلا ستى) وأنهم سيلاقون فى مصر أيضاً معاملة غير آدمية، لكنهم كانوا سيذهبون إليها مرغمين، فعلى الأقل لن يتم فى مصر تحويلهم إلى عبيد، لم يكن هو يرغب فى اللجوء لأوروبا أو أمريكا أو أى قارة أخرى، فهو كعربى سودانى- وهذه قناعاته- لن يجد السلوى والدفع إلا بين أحضانها... أحضان مصر.

ويبدو أن تكرار المحاولات أقنع مسئولى السفارة المصرية بإعطاء هؤلاء السودانيين الملحين تأشيرات بمواعيد إقامة محددة، مواعيد يعلم جميع أطراف اللعبة أنها لن تكفى، وأن البقاء بصورة غير شرعية فى البلد سيكون هو الحل الأقرب والأمثل والأسهل .

اقتات "ناصر" فيما تلا هذا اليوم من أسابيع على الفتات الذى يلقيه إليه إنسان عطوف من أهل بلده.. ظل يمشى ويمشى فى اتجاه الشمال، نجح تحت عباءة ليلة تفتقد قمرها فى عبور الحدود، كان يمشى كفرد من مجموعة كبيرة أفقر من أن تمتلك ثمن حافلة أو حتى ناقة تساعدكم على استكمال الرحلة، قال إنهم فقدوا طفلاً وامرأة عجوز فى الطريق، قال إنه بكى بحرقة عندما صلوا على الطفل صلاة الجنازة ودفنوه فى ملابس، قال إنه لم ير أقسى من مشهد صراخ الأم الشابة على فراق طفلها، قال إنه لن ينسى ذلك أبداً.. ساروا ساروا، تفتك بهم الهموم، يذرفون دماً على بقايا وطن لم يترك لهم سوى سواد فى البشرة سيلتصق بهم حتى الممات كوصمة عار لن يمحوها شىء.

أشبع هو نظره ببحيرة ناصر الهادرة التى يحمل اسمها، والتى كان يعلم أنها تخفى أمامها سرها الأعظم، (السد العالى) الذى شارك فى بنائه أحد أقربائه منذ عقود،

قال لى "ناصر" إن هذا السبب وحده كان كافياً ليراهن على مصر فكم من البشر والممالك والأفكار والأقليات راهنوا على فشلها واستكانتها، ورغم ضعفها الذى اعتقده الكثيرون على مر التاريخ إلا أنها دوماً ما كانت تفاجئ الجميع بانتفاضات تلو الأخرى، وتقف كالعروس الجميلة لتضيف لمسة هنا أو هناك على صفحة وجهها الرائق، وكم من الألوان والأعراق والمذاهب ذابت فيها تماماً ولم يشعر أى منهم بأنه عضو غريب على جسمها.

لم يشعر أحد بذلك أبداً، لكن "ناصر" شعر بهذا، شعر به حين لم يجد مساحة ولو ضيقة له ليحيا بهدوء داخل أسوان.. فرغم طيبة أهلها الحقيقية إلا أن المدينة الهادئة رفضته ولفظته بكل بساطة لأنه لا يصلح لعمل أى شىء على أرضها كما قيل له، ليخسر رهاناً جديداً، وهكذا.. ومتسولاً ثمن تذكرة القطار المتهالك. سافر إلى القاهرة- عاصمة المجد كما كان يتصورها- فهناك قد يمكنه الذوبان، هناك قد يستطيع العمل، هناك قد يستطيع الحياة، هناك قد يستطيع النسيان، ساقه بعض رفاق الرحلة الشاقة إلى المعادي، فإلى شقة شارع (حسنين دسوقي) الخانقة، فإلى العتبة، وأنت تعرف الباقي... ويمكنك أن تتعاطف وتصدق من جديد أنه رفض الزواج رغم حاجته النفسية والجسدية إليه خوفاً من إنجاب أطفال محكوم عليهم مسبقاً بالتعاسة والبؤس والفقر.

- وبكده أبقى والحمد لله خسرت كل رهاناتي..
وكملت بماتش النهارده.

هكذا قال بنبرة هادئة بعد أن أفرغ شحنة كبيرة
فى حكايته، كان يبدو كناسك حقيقى فى حب الزمالك،
وأن هذا الفريق الذى يلعب الكرة فى بلد غير بلده،
كان كبارقة أمل فى نهاية النفق.. لكنها انطفأت فى تلك
المباراة.

سألته غير مستوعب:

- واشمعنى يعنى ماتش النهارده؟

قال إنه لم يختار تشجيع الزمالك عبثاً.. فالزمالك
بالفعل يذكره بنفسه كما ذكر لى من قبل، يعشق "ناصر"
كرة القدم منذ الصغر، ويتابع أخبار اللعبة فى كافة أنحاء
العالم بقدر المستطاع، ولم يستطع كبح جماح هذا الحب
رغم كل ما مر به من ظروف قاسية، ولما أقام بمصر،
سمع الكثير من أهلها يتغنون بأمجاد الأهلى.. وسمع
الكثير عن أشخاص يتصلون من زملاكاويتهم، أو يخفونها
على أقل تقدير خوفاً من السخرية والعار، وبمرور الوقت
عرف "ناصر" أن الزمالك كان أسداً جسوراً ذات يوم، عرف
أنه كان مرعباً بقدر الأهلى، عرف أنه تسيد إفريقيا لمرات
ومرات، تأكد "ناصر" أن للزمالك بريقاً يقبع ساكناً تحت
أطنان من غبار الكسل والتربص وقلة الحظ.

قال إنه يشترك مع الزمالك فى ذلك، فهو أيضاً كان يمتلك بريقاً فى يوم من الأيام، كان يتسيد شباب قبيلته ويسيطر عليهم، ورغم الأوضاع غير المستقرة التى تعيشها القبيلة بسبب كثرة الترحال والظروف السياسية الطاحنة فى البلاد إلا أنه كان مرشحاً لأن يكون شيخ القبيلة يوماً ما، وهو شرف كان "ناصر" يستحقه، كان يتمناه.. لكنه كالعادة كان حلماً وضاع، كان وهما وتبخر، فبعد أن هرب من إخوته تحت وطأة الظروف حُكم عليه ألا يعود للأبد.. فكيف يعود وقد فقد السيطرة على نفسه؟.. كيف يعود وقد عجز عن مجابهة مشاكله ومشاكل عشيرته.. كيف؟

وصحيح أنه لن يستطيع العودة لمكانه ومكانته، لكن الزمالك كان يقدر، هذا ما كان يؤمن به "ناصر"، وكان يعلم يقيناً أن تكاتف الجماهير حول الزمالك قد يساهم بقوة فى استعادة الهيئة المفقودة مرة أخرى، لم يجد "ناصر" من يناصره فى السودان، لكنه يستطيع التكاتف مع الزمالك فى مصر.. وظل "ناصر" يراهن على الزمالك، وفى كثير من الأحيان كان الزمالك يخذله ويخذلنا جميعاً، حاول كثيراً ألا يفقد الأمل، حتى جاءت تلك المباراة لتحطم آماله على صخرة الواقع، ليأس "ناصر" كلياً، ويفقد إيمانه.

بدا لى إيمانه بالزمالك كوطن بديل منطقياً للغاية وقتها.. ويبدو أن جزءاً من شحنته قد طالنى فازداد

تعاطفى معه، التهبت مشاعري تجاهه فوجدتنى مدفوعاً لأربت على كتفه ثم احتضانه، رويت له نكتة على لون بشرته فقهقه لها بصوت عال، ثم أوصلته لمنزله، وعدت أدراجى للبيت عازماً على مساعدته فى استعادة ثقته بالزمالك من جديد، ولم أستطع منع نفسي قطعاً من التفكير فى أن "ناصر" أسد المدرجات هو فى الأصل إوزة لا مخالِب لها ولا أنياب.. حتى إنها فقدت صوتها بمرور الزمن وصارت أقلية منبوذة بين الإوز، تحيا فقط لتحاول امتلاك حق الصياح .

كنت قد نسيت موعدى مع "شيماء" بالقطع، حتى إنني نسيت فتح هاتفي، ولما فتحته وصلنى منها عدد لا بأس به من الرسائل المتدرجة فى الحدة، أرسلت لها أنني عدت لتوى من الاستاد وأن هاتفي فقد طاقته فجأة ولم أستطع إعادة شحنه.. نمت عكر المزاج بسبب حكاية "ناصر" المؤلمة وبالطبع بسبب الهزيمة المرة للزمالك فى مباراة اليوم .

وكفرد أولترا حقيقى، تركزت اهتماماتى حول الفريق والمجموعة أكثر فأكثر، كانت المهمة الأسمى لنا جميعاً فى هذا الوقت هي جذب أكبر عدد ممكن من الناس، وكان طبيعياً أن أبدأ بـ "ناصر" لأعيد له إيمانه بالفريق مرة أخرى، ليشعر أنه إنسان له دور من جديد، ومع

الوقت وازدياد المعارف وأخوة الدم، مع تواتر الحكايات وسرد القصص، مع زيارتنا المتكررة لبعضنا بالبيوت والتداخل الشديد بيننا في المجموعة، اكتشفت أن حالة "ناصر" هذه ليست الحالة الوحيدة، فهناك بالفعل من هو مثلى ومثله ممن أصبحوا لا يشعرون بقيمتهم وتفردهم، بل حتى لا يشعرون بأنهم داخل حدود الوطن إلا أثناء تواجدهم بـ(الكورفا سود) مستبدلين الانتماء لمصر الواسعة بالانتماء لهذا الكيان المسمى نادي الزمالك، وبدأ معظمهم في الانفصام تدريجياً عن الواقع، لنؤمن بأن وظيفتنا داخل جمهورية النادي هي الدفاع والحماية.

وبعد أن انقسمنا فعلياً في مصر إلى جيل الزمن الجميل، وجيل تامر حسني.. أهل بحري الفلاحين وأهل قبلي الصعايدة، عمال وفئات، مسلمين وأقباط، مثقفين وبوابين... كان طبيعياً أن يأتي اليوم الذي شعرنا فيه باللاجدوى، بالدونية، فنقسم إلى أهلية وزملاوية، وطبيعياً أيضاً أن يأتي اليوم الذي ننتمى فيه للزمالك والأهلي أكثر من انتمائنا للوطن!!!.

استطعت أن ألفت نظر عدد من المشجعين العاديين لما نفعله ولفكرنا ولعقليتنا بسبب النشاطات التي أمارسها، صرت أحضر الاجتماعات بشكل مستمر، أشارك في مباريات الترحال قدر المستطاع، فأتصل بشركات نقل لتجهيز

أوتوبيسات كبيرة لنقل أكبر عدد منا للسفر... ثم تحديد موعد ومكان التجمع وإعلام الجميع به عن طريق تبادل التليفونات أو الرسائل، أو فى مرحلة تالية، الإعلان عن تلك المواعيد من خلال صفحتنا على الفيسبوك، نجهز للكورتيج الذى سنقوم به خارج حدود القاهرة.. وأشارك بقوة فى المدرجات، وخارجها... فالمجهود المبذول من فرد الأولترا الحقيقي خارج الملاعب يفوق كثيراً مجهوده داخلها، فبداية من الاجتماع لوضع فكرة الدخلة الجديدة، وهو اجتماع يحضره عدد قليل للغاية من الأشخاص، أفخر بأنني صرت واحداً منهم وذلك لنشاطي الملحوظ مع المجموعة وإحساس الجميع برغبتي الحقيقية فى التعاون وتقديم يد العون، ثم تأتي مرحلة الاستقرار على فكرة الدخلة وتنفيذها، ويجب أن تعلم أن اختيار مكان تنفيذ الدخلة أهم كثيراً من تنفيذها وذلك حفاظاً على سريتها وخصوصيتها وتفردتها، فلو أن مجموعة أولتراس الفريق المنافس علمت بفكرة الدخلة لاستطاعت أن تبني فكرتها على دخلتنا لتسخر منها أو تحطمها تحطيماً، وهناك تفاصيل عديدة أخرى فى تنفيذ الدخلة تتعلق بمقاييسها وأبعادها والمجهود المبذول فيها، فطبقاً لفكر الأولتراس الذى نؤمن به إيماناً عميقاً، ينبغى على أفراد المجموعة أن ينفذوها بأيديهم من الألف إلى الياء فمثلاً نحن لا نستخدم فنون الجرافيك والطباعة فى الدخلات المرسومة على القماش والتي نطلق عليها الـ (تيفو)، بل نرسمها بأيدينا ونحدد أبعادها بأنفسنا ونلونها بأنفسنا.

كان بحق مجهوداً ضخماً للغاية ذلك الذى يُبذل فى تنفيذ الدخلات، حتى إنني فى بعض الأحيان كنت أظل ساهراً ليومين أو ثلاثة، مواصلاً العمل فى فودافون والعمل مع الأولتراس.. وكلا العاملين يحتاج منى الكثير من التركيز، أركز فى عملى الصباحى لأن عدم تركيزى قد يعنى خسارته، وأركز بالقطع مع الأولتراس كفكرة راسخة لأننى للأسف اقتربت من الكفر بغيرها من الأفكار وأصبحت لا أؤمن بسواها.

والأهم من كل ما سبق يجب علينا كمجموعة فاعلة ومؤثرة فى (الأولتراس) أن نبدع ونخلق العديد من الأفكار التي تحتاج قطعاً للخيال الذى يحتاج بدوره للإثراء وبالتالي قراءة المزيد والمزيد من الكتب والروايات والقصص ومشاهدة المزيد والمزيد من الأفلام فهي أشياء تشحذ الخيال حقاً وتزيد من حجم حقيقة خيال مخى بكل تأكيد.. أما عن التمويل، فدعنى أقل لك إن الاشتراكات الشهرية التي يدفعها كل فرد من أفراد المجموعة كافية بكل تأكيد لتمويل الدخلات المختلفة وأنشطة المجموعة المتعددة، كما أننا لا نأخذ مليمات من رجال الأعمال أو مجلس الإدارة أو اللاعبين، وهذا لكى يظل صوتنا من رؤوسنا ولنعبس عن رأينا بحرية.

نحن لا نبالي بأن يتهمنا أحد بالتفاهة، لا نبالي أن يكرهنا اللاعبون ومجلس الإدارة، فنحن نعمل من أجل الزمالك، ونؤمن كذلك بأن الجمهور أهم من اللاعب وعضو النادي وعضو مجلس الإدارة... فنحن نصنع اللافتات، ننشد الأغنيات، نصنع الأمجاد، ولا ننتظر مقابلاً لذلك، نحن لا نريد سوى شكل متماسك للفريق وبضع كؤوس ودروع لنضعها في دولاب البطولات وسجل الانجازات، نحن بوقوفنا في المدرجات كنا ومازلنا نبني تاريخاً جديداً للزمالك بدأ في مارس من عام 2007 عندما وُلدت مجموعة أولتراس (وايت نايتس).. أولتراس الفرسان البيضاء، وأتمنى أن يستمر للأبد.

ويستمر ترس حياتي في الدوران.. هدنة قصيرة في كل صيف أتابع فيها فقط حرب الصفقات التي تدور رحاها بين الزمالك والأندية الأخرى، خاصة الأهلي... ومع حلول شهر أغسطس يبدأ الدوري العام، تلك الاحتفالية الطويلة التي تلهب مشاعري أكثر فأكثر، لأسترد طاقتي مرة أخرى.. لأهاجم بضراوة كل الأهلاوية الذين يملكون إصراراً عجيباً على أن يظلوا مكروهين منا.. وهو أمر لا أفهمه إطلاقاً.. هم يروجون أنهم الأكثر عدداً، هم يزعمون أنهم الفريق الأقوى، أنهم نادي القرن، وهو لقب أخذوه بطريقة مشكوك فيها وعن طريق إحصائيات مغلوبة، هم يزعمون أنهم الأحسن، وأنا أرى هذه المزاعم جوفاء لا أصل لها، وحتى إن صحت، فلمَ وهم الأقوى والأكثر والأحسن-

يشغلون بالهم بنا نحن الأضعف والأقل والأسوأ؟ لماذا
يركضون خلف صفقاتنا لخطفها؟ لماذا يستفز جمهورهم
جمهورنا دوماً.. لماذا؟

دار ترس حياتي ليقلب أياما وشهورا جديدة أقضيها
بين فودافون ولقاءات عابرة بأبي وبـ"وليد" نهاراً، الكثير
من جسد "شيماء" الذى ملته حقاً مساءً.. والزمالك
ثم الزمالك ثم الزمالك ثم الزمالك.. حتى جاءت مباراة
الديربى الثانية فى موسم 2009 / 2010 التى غيرت مجرى
حياتي وكانت فيها كثنية قنا التى حولت مجرى النيل..
للأبد .

كوكب الأرض، وكتاب التاريخ.

منذ بدء الخليقة و العقل البشرى لم يكف لحظة عن
العمل والتفكير، البشر فى كل بقعة من بقاع الأرض يبتكرون
ويجددون فى كافة الأوجه العلمية والثقافية والاجتماعية
والحياتية، ملايين الابتكارات والاختراعات، بلايين الأفكار
المفيدة وغير المفيدة، آلاف الحروب دارت رحاها منذ فجر
التاريخ، ودوماً ما يتصارع البشر من أجل الأرض، من أجل
الهيبة، من أجل الشرف، من أجل الفكرة، وأحياناً من أجل
إخراج الطاقة أو الشعور بالملل لا أكثر، نعرف جميعاً أن
البشر قد ابتكروا الكثير والكثير من الأفكار، لكن القليل منها

فقط هو ما أثر فعليا فى كل أبناء الأرض، هو ما ترك بصمة واضحة، وأجزم أن ممارسة الرياضة كانت واحدة من أهم الابتكارات فى التاريخ البشرى، تعلم البشر أن الرياضة تقوى العضلات وتزيد من القوة، فاتجهوا لها بحماس بحثا عن تلك القوة الكامنة فى داخلهم، وسعيا وراء الشكل الخارجى المتماسك المتناسق، عرفوا أن الرياضة تخرج شحنة لا بأس بها من الطاقة الداخلية لهم فمارسوها بمختلف أنواعها كبديل صحي عن العراك والتناحر، ومع مرور الوقت اكتشف الجميع أن الحصول على بطولة فى رياضة ما، هو مدعاة فخر وفرحة، فالتهب الحماس واشتعل فى نفس كل رياضى، الكل يصنع مجده الخاص، الكل يسعى لملء سجله، وجاء أقارب الرياضى لتشجيعه وتحفيزه على الفوز لكى يستمدوا شرفا ومجدا عن طريق شرفه ومجده، ثم تكاتف معه أهل قبيلته وعشيرته، فزاد معجبوه ومريدوه، ويزيد معهم عدد ممارسى الرياضة وبالتالي عدد المشجعين والأنصار، ويصبح للرياضى كفرد أو كواحد من فريق مشجعون فى كافة أرجاء بلده، ويمر الوقت أكثر فتوضع القوانين والأعراف الرياضية فى كل لعبة، لتزيدها إثارة وتشويقا، لتنتزع الآهات مع كل فرصة تضيع، وتنتزع الصرخات التي تشق السماء مع كل فرصة تتحقق، وإذا كان لا رياضة بلا رياضى، فإن بكل تأكيد رياضة بلا أنصار هي شئ لا وزن ولا قيمة له.. الأنصار يزدون من الحماس ويشعلون الأرض حول البطل، الأنصار يعلنون من شأن الرياضة، الأنصار يزدون من قيمة الفعل.

تشترك الرياضة فى ذلك مع الفنون، وكما فى المسارح ودور العرض السينمائى يُمنى كل مشاهد نفسه بأن يكون فى مكان البطل، فى نفس شجاعته وإقدامه ووسامته وثرائه، يُمنى أنصار الرياضة أيضا أنفسهم ذات الأمانى، ويحلمون نفس الحلم، يتوحدون مع بطلهم، يحفزونه لأنهم يتمنون الفوز لأنفسهم، لقبيلتهم، لجلدتهم، لبلدهم... وعلى عكس الفنون لا تمتلك الرياضة دوماً نهايات سعيدة، فكم من الأنصار يخرجون مهزومين، محطمين، باكين، صارخين؟.. وهذا بالضبط ما يجعل للرياضة سحراً خاصاً ولا يماثلها فى هذا شئ، ففيها الكثير من المخاطرة والمقامرة، سواء مارستها أو شجعتها، وهو ما يرفع من أسهمها دوماً، هو ما يزيد من مساحات الجدل والنقاش حولها باستمرار، هو ما يجعلها الابتكار الأهم لبنى آدم مجتمعين.. وأجزم أن عالماً بلا رياضة سيكون بالتأكيد عالماً كئيباً، مريضاً، كما أن عالماً بلا أنصار ومشجعين هو عالم كئيب، صامت.

ولكرة القدم شأن خاص فى التاريخ البشرى، فهي رياضة ليست كأي رياضة، أراها (العقيدة) الأبرز في تاريخ البشرية، التي استطاعت جمع كل ذلك العدد من المريدين والأتباع، اترك الأوراق التي بين يديك الآن وانزل إلى الشارع، ستقابل حتما عددا من الشباب يرتدون قمصاناً رياضية ملونة بألوان الأعلام والفرق، يحمل ظهر

كل منها رقما واسما للاعب يفضلُه هذا الشاب، امش فى
أى شارع جانبى لتجد بعضا من الشباب هنا أو هناك
يمارسون كرة القدم بمنتهى الحماس، اتركهم فورا وانظر
بدقة للسيارات التي تقف أو تمشى بجوارك، ستجد شارات
البرازيل وإيطاليا ومانشستر يونايتد والزمالك والأهلي
وبرشلونة وغيرها مدلاة من المرايا، أو ملصقة على أبدان
تلك السيارات، ادخل أى مركز تجارى لتجد العديد من
الملصقات والأيقونات والأعلام المتعلقة بعالم كرة القدم،
لكن اترك هذا (المول) وانزل لتشرب مشروبك الطبيعى
على قهوة مصرية عادية، أو حتى إجلس فى (كافيه)
صاخب، وارم بأذنك على المناضد من حولك لتستمع
إلى المزيد والمزيد من الحوارات المرتبطة بكرة القدم
المصرية وغير المصرية.

وإذا لم تقتنع بما يدور حولك، فإننى أدعوك لترك كل
هذا، وقرر أن تخرج مع الأصدقاء لتجدهم سيجلسون فى
الـ (play station) التي لا تقدم سوى مباريات كرة القدم
رغم احتواء هذا الجهاز الصغير على غيرها من الألعاب،
ليتوحد الجميع مع أبطال كرة القدم فى العالم، ستصدقنى
لما تستمع إلى معاركهم وخلافاتهم المتكررة بسبب
تكرار الأخطاء فى اللعبة أو معاندة الحظ معهم، قرر
أن تزور صديقا لك فى منزله لتجده يدعوك إلى مباراة
(play station) جديدة (ع السريع)، أقنعه بأن يتناسى

اللعب وقم بدعوته أنت لمشاهدة فيلم سينمائي على قناة فضائية ما، لتجد الفواصل الإعلانية تمتلئ بلاعبى كرة القدم من الشرق والغرب.. فلا تنفعل وتترفع وتنظر حولك فى تأفف متسائلا عن السبب الذى يدفع الكوكب بأكمله لمثل هذا الجنون!

فقط، صدق ما تراه

حاول أن تتفهمه، فكرة القدم ياسيدى رغبة، هوس، شهوة، ولا يضاهاها فى ذلك شىء، وإذا كنت مصراً على الرفض والتكبر، فاترك كل هذا واذهب لتجالس جدك وأصدقاءه، لتجد منهم شخصا أو أكثر ينتمى لكرة القدم أكثر من انتمائه لأسرته، فلا تنفعل عليهم احتراما لسنهم المتقدمة، لكنني أدعوك أن تتركهم وشأنهم وتذهب إلى المطار فى وقت توديع منتخبنا للبلاد، ليذهب خارج الحدود لملاقاة أى فريق آخر، اكتشف بنفسك كم البشر المودعين والداعين لهم بالتوفيق، وإن تعجبت من تصرفات البشر هنا فأنني أدعوك لأن تكره بلدك وتتركها، اذهب لتريح نفسك من ضوضاء الكرة فى أى مكان آخر من العالم الرحب.. لكنني أقولها لك أسفا، لن تجد طلبك فى أى مكان، لن تجد غايتك فى كوكب الأرض، فهو كوكب يحيا لكرة القدم.. يحيا لهذا العشق.. لهذه الرغبة.

وإذا كانت كرة القدم بهذه الأهمية، فبكل تأكيد ستجد أن كل من يشجع كرة القدم يعلم أن المباريات المهمة لها طقوس خاصة، يتجمع في يومها الأصدقاء في مكان واحد، يتهرب الجميع من المواعيد واللقاءات والأعمال، يتحرر الجميع من المسؤوليات لمدة تسعين دقيقة أملين قضاءها في متابعة السحر الصادر من حركة الكرة، الجميع يضبط إشارات التلفاز على محطة بعينها في انتظار جودة أحسن للصورة، معلق بعينه يعشقونه، محطة تلفزيونية تحمل أقل عدد ممكن من الإعلانات.. المباريات المهمة بمثابة (عطلة رسمية)، ولم يخترع البشر بعد في كرة القدم ما هو أهم من مباريات كأس العالم ونهائي بطولة أوروبا على المستوى العالمى، فتلك مباريات يتابعها سكان كوكب الأرض بدرجات حماس شديدة متقاربة في الحدة، أما مباريات الديربي والكلاسيكو فلها شأن خاص جدا في كل بلد، الكل يستعد، الجميع يتحفز، الكل ينتظر، الجميع يتلهف، والكثير من البشر يتابعون، وأقل القليل منهم يركزون، وأنا أصرخ في المدرجات، أقف طوال تسعين دقيقة، ليس فقط لأنني أولتراس والأولتراس لا يجلس، إنما أقف لأن توترى سيتضاعف حتما لو جلست، تتابع عيناى حركة الكرة في أرضية الملعب كما تتابعها في أية مباراة أخرى، ولكن إحساسى بحركة كرة الديربي شىء مختلف. ففي أثناء تلكم التسعين دقيقة تنغمس أعصابي وحواسي فعليا في هوة عميقة من النيران.

للديربى والكلاسيكو، شأن خاص بحق، ليس فى مباريات كرة القدم فقط، بل فى جميع الألعاب الأخرى، دعنى فقط أذكرك بأن مجموعات الأولتراس التى تنتمى لأى ناد لا تُشجع كرة القدم فقط، مجموعة الأولتراس تشجع الرياضات المختلفة التى يشترك فيها النادي، ولهذا فنحن نتواجد بكثافة فى جميع الصالات والملاعب التى تستضيف كافة المباريات والمنافسات فى الألعاب المختلفة، وفى مواجهات الديربى والكلاسيكو يكون لنا شكل مختلف وشأن آخر.. تماما .

الديربى والكلاسيكو، لفظان يختلفان فى المعنى لكنهما يحملان ذات الأهمية، فالكلاسيكو هو لقاء قطبى الكرة فى أى بلد، وفى الكثير من الأحيان تأتي أقطاب الكرة من مقاطعات ومحافظة مختلفة من ذات البلد كما هو الحال فى إسبانيا مثلا فكل من برشلونة وريال مدريد ينتمى لمقاطعة مختلفة عن الآخر... أما الديربى فهو المباراة التى تجمع الفريقين الأهم والأقوى المنتمين لذات المقاطعة أو المحافظة.. هذا هو وجه الاختلاف.. أما وجه التشابه فيتمثل فى أن كلا اللفظين يطلقان على المباريات الأقوى على الإطلاق فى كل بلاد العالم.. ستجدهما الأقوى فى بلاد مثل إسبانيا وإنجلترا مثلا، ستجدهما الأكثر حماسا فى بلاد مثل إيطاليا والأرجنتين والبرازيل، وفى مصر يجتمع اللفظان.. ليتم إطلاقهما معا

على لقاء الزمالك والأهلي الذي يتكرر مرتين فقط في كل دورة من دورات الدوري العام، وصحيح أن مباريات الديربي في مصر تأتي باهتة في أغلب الأوقات إلا أن سخونة التنافس تجعل منها أعزاساً لا تتكرر كثيراً.. الديربي هو اليوم الذي تنتظره مصر وتتوقف فيه الحياة، تكف عقارب الساعة عن الدوران إلا في الاستاد، تتلاحق الأنفاس، ويستعد الجميع.. وبطبيعة الحال وبحكم الانتماء والحب والإيمان تستعد مجموعات الأولتراس لهذا اليوم استعداداً خاصاً ومميزاً، وأنا عاشق محب مؤمن، لذا فقد كنت أستعد لذلك اليوم دوماً بشكل خاص حتى قبل انضمامي رسمياً للأولتراس، أرتدى أكثر الأطقم التي تعبر عن انتمائي للزمالك أناقة ونظافة، أخرج من البيت منذ الصباح لأحجز مكاناً متميزاً ومضموناً في المدرجات.. ولطالما دعوت الله قبل الديريبات المختلفة التي عشتها أن ينصرنا، ويظل القلق ينهشني لساعات وساعات قبل المباراة بأيام، لأجدني مدفوعاً بلهفة كبيرة لمتابعة الأخبار والتطورات داخل الفريق محاولاً تخمين الحالة المعنوية والنفسية للاعبين، ذلك أنها الأهم في مثل هذه المواجهات، ودوماً ما تمتلئ رؤوسنا - على حق - بكلام كثير مفاده أنه لا حسابات للديربي وأنه لا علاقة لموقع الزمالك والأهلي في جدول مسابقة الدوري العام بما سيحدث في المباراة، وأن هذه المباراة تحديداً دوري من نوع خاص يسعى إلى كسبه كلا الفريقين رغبة منهما في تحقيق مجد خاص

وإضافة سطر جديد فى سباق الإحصاءات والأرقام الدائر
بينهما منذ عقود وأعتقد أنه سيستمر للأبد.
فى الديربى مربوط الفرس.
فى الديربى الحدث الأهم.
فى الديربى سقط القمر فى المحيط.
فى الديربى حجبت كل غربان الأرض ضوء الشمس.

استاد القاهرة الدولي- سور نادي الزهور وما حوله

لقد ملأت رأسك بكل ما سبق من معلومات
وحكايات عنى وعن حياتي وعن زملاؤيتي فقط لأصل بك
إلى هنا.. إلى الديربى الذى أقيم باستاد القاهرة الدولي
يوم الجمعة 16 إبريل 2010 تعادل الزمالك مع الأهلي
بنتيجة غريبة على مثل تلك المباريات الحماسية بنتيجة
3-3 ليكتمل بتلك النتيجة عقد الأفكار الذى يتنامي فى
ذهنى منذ طفولتى بأننا الزملاوية مضطهدون، عابسون،
قليلو الحظ، نفتقر للسلطة التي تسمح لنا بشراء التحكيم
 واتحاد الكرة ولجانة المختلفة وبالتالي نحن نخسر دوما.

هناك حقائق كونية مؤكدة فى مجال كرة القدم
المصرية هي أن الأهلي لا يستطيع الحصول على المركز
الثاني إلا نادراً، بينما الزمالك - وبكل أسف- يتسيد هذا
المركز فى الأعوام الأخيرة، بل إنه يحصل على مراكز أقل

فى بعض الأحيان، حقائق كونية مشابهة تقول إن الزمالك لا يكسب الأهلي أبداً فى وجود اللاعب الأحمر النشط (محمد بركات)، والذي مثل معظم (نجوم) الأحمر، أتى إليه عبر بوابة الإسماعيلي!!.

سنين عجاف هي حقاً التي لم نفز فيها على الأهلي، أذكر جيداً آخر فوز للمالك على الأهلي، كان هذا فى مباراة الدور الثاني من الدورى العام موسم 2006-2007 يومها كان الأهلي ضمن الفوز بدرع الدورى مهما كانت النتائج، لعبنا نحن بقوتنا الضاربة كاملة، ولعبوا هم بدكة الاحتياطى، حتى إن البرتغالى الداهية مانويل جوزيه- المدير الفنى للأهلى وقتها - سافر إلى بلاده ولم يحضر المباراة وترك إدارتها الفنية لحسام البدرى -المدرب العام وقتها- وهو فوز لم يرضنى شخصياً ولم أشعر بحلاوته تغمرنى.

ما يؤكد قولى هذا يا سيدى هو أن آخر فوز للمالك على الأهلي قبل مباراة 2006، كان فى مباراة الدور الأول عام 2001 عندما فزنا بنتيجة 3-1، وتلك كانت نهاية الأفراح، فمثلاً كانت مباراة الدور الثاني من نفس العام هي تلك المباراة الشهيرة التي هُزمنّا فيها بنتيجة كبيرة 6-1، المباراة التي تندر عليها المصريون لشهور وشهور، ومنذ تلك المباراة المفجعة بدأت أسهم الزمالك فى التراجع يوماً

بعد يوم.. وعادة ما أذهب للديريبات وكلى أمل وطموح،
أتذكر وقتها دورى كلاعب آخر فى الفريق ينحصر دوره فى
التحفيز والتشجيع، أجمع الجماهير حولى فى المدرجات
لننادي بأصواتنا التي لا نملك سواها، نشجع لاعبيننا بتدفق
طوال تسعين دقيقة لكى نبلغ الأمل... تملؤني تصريحات
اللاعبين والأجهزة الفنية المتعاقبة على الزمالك بالتفاؤل،
الذى يتحطم دوما، ويبدو أنني لن أعيش لحظة الفوز
على الأهلي أبداً.

الزمالك ناد له معجبون ومريدون بالملايين ليس فى
مصر فقط، مثله فى ذلك مثل الأهلي، لكليهما مجلس
إدارة، لكليهما أجهزة فنية عالية المستوى، يمتلك كلاهما
كتيبة من النجوم، يمتلك كلاهما رغبة الفوز، وأنا كمشجع
زملكاوي أقف على حافة اليأس، فعلت كل ما أستطيع تجاه
الكيان، لكن يبدو أن الكيان يأبى أن يريحني وينجذني مما
أنا فيه، تغيرت الأجهزة الفنية ومجالس الإدارة، واللاعبون،
ولم يتبق سوى الجمهور، والحال كما هو.. وصدق أو لا
تصدق يا سيدى، إنها مأساة.

لكن ديربى الدور الثاني لعام 2009-2010، كان
مختلفا بكل تأكيد، فهو ديربى "حسام حسن"، ديربى
إثبات القوة، ديربى الحياة أو الموت.. وكان الاستعداد لتلك
المباراة على أشده، فثقافة الأولتراس تؤكد أن الديربى يوم

عيد، وفرصة لإثبات جدارة المجموعة وقوتها، كان الزمالك يومها يحاول- كما ذكرت لك من قبل- اللحاق بغريمه ومصارعته على المركز الأول ودرع الدوري، كان يبدو كطالب مجتهد أصيب بمرض قاس فى نصف العام الأول فحاول أن يُلملم ما فاتته فى النصف الثانى فقط من العام.. ولأنه متفوق فلن يرضى أبداً بأقل من المركز الأول وظل يحاول ويحاول.. صارع كل ما ومن فى المدرسة.. زملاؤه الطلبة الذين لا حيلة لهم والذين لا يحلمون بالمركز الأول قط، لكنهم يحاربونه، يكبلونه، يقيدونه بجنازير صدئة كى لا يحقق أحلامه، لأن هناك ذلك الفتى الأحمر الوسيم الذى يجلس فى مكتب الناظر ينظر إلى الجميع بسخرية، لثقته فى دعم السلطات له وأنه الأول لامحالة.

يومها كنت متوجساً متفائلاً كالعادة، مستيقظاً فى الصباح الباكر، أخذاً إجازة مرضية- وهمية بالقطع- من العمل، الكثير من المكالمات الهاتفية مع الكثيرين منهم (كابو) المدرجات لأحفزه وأستحثه وأطلب منه أداء مباراة جيدة فى المدرجات، تلقيت مكالمة أمنية المصدر قبل المباراة بساعات تأمرني (كما تأمر غيرى من المجموعة وبعضاً من أفراد مجموعة أولتراس أهلاوى) بالثبات الانفعالى وعدم الانسياق وراء محاولات الشغب، وكالعادة مررت على "ناصر" فى ميدان العرب قبل المباراة بخمس ساعات كاملة، وتفاءلت لما رأيته بعباءته البيضاء إياها، تحدثنا كثيراً

عن المباراة وظروفها، لكنه لم يكن كأي حديث، فكلانا كان واثقاً من الفوز ثقتنا في أنفسنا... كلانا كنا نثق في العميد "حسام حسن".. كلانا كنا نؤمن بعودة الزمالك .

"هشام" لم يرافقنا يومها، فضلت أن أكون بمفردي مع "ناصر" وألا يلوث الأجواء أي أهلاوى حتى لو كان صديقى "هشام".. قطعنا الطريق بسلاسة غير معتادة، حتى وصلنا إلى منشية "ناصر" التي تزخر بالأهلوية، فما إن رأى مجموعة من الصبية علم الزمالك معلقا على زجاج سيارتي الخلفى، حتى بدأوا فى توجيه ألفاظ بذئية لنا ولرفيقنا، لكن هذا لم يضايق كلينا - أنا و"ناصر" - إطلاقا، فقد كنا نعتبره مرآة لما يشعر به جموع مشجعى الأهلي فى هذا اليوم، هم سيخسرون بكل تأكيد، هم "سيأكلون النجيلة" على حد التعبير الكروى، هم سيهانون كروياً على أرض الملعب، ونحن سنفوز.. سنطحن عظامهم، ونأخذ كعكة المباراة، وقد نال كعكة الدورى كذلك.

وكما ذكرت لك يا سيدى فإن نتائج المباراتين السابقتين للزمالك، (مباراتي حرس الحدود واتحاد الشرطة) أثرتا كثيراً فى اقترابنا من الدرع.. ولكنك تعلم أيضاً أن للدورى شأنًا خاصاً، يمكنك لو لم تكن تعلم عن سير ذلك الدورى تحديداً أن تسأل، فهو سيناريو غير متوقع حتى فى أحلامنا.

بطبيعة الحال كنت من أوائل المشجعين اللذين دخلوا إلى المدرجات، ورغم أن الأمن منع الدخلات في هذا اليوم- أي أنني لم أكن مضطراً للتواجد في المدرجات مبكراً - إلا أنني كنت أعلم يقيناً أن توترى الشديد سيمنعني من انتظار المباراة إلا على كرسي في (الكورفا سود)، التواجد في المدرج وحده يملؤني بمشاعر عديدة يختلط فيها الأمل بالسعادة والاعتزاز والحماس، أشعر في هذا المكان بأنني في بيتي.. هنا لن أجد نفسي وحيداً، غريباً، منعزلاً، هنا فقط سأتخلص من مسئوليات فودافون، وجدال أبي، إلحاح "شيماء"، سطوة "وليد".. هنا سأعيش كأولتراس حقيقي.. هنا لن أخجل من زملاؤي.. هنا سأكون حراً.

ولما أطلق الحكم صافرة بداية المباراة، كنت فخوراً بزملاؤي للغاية، كنت فخوراً بإخواني مشجعي الزمالك أيما فخر.. كنا يومها - على غير العادة - نملأ المدرجات عن آخرها.. كنا الأزهي.. الأعلى صوتاً.. الأكثر حماساً.. تملؤنا الثقة.

ثم جاء سيناريو المباراة ليغير كل تلك المشاعر.. نحرز هدفاً في الدقيقة الثانية فنفرح ونملأ المدرجات ضجيجاً.. يتعادلون.. نحرز الثاني.. فيتعادلون.. نحرز التقدم.. فيتعادلون قبل نهاية المباراة بثوانٍ.. لتخرج المباراة بيضاء

كجيوب الغلابة.. تعادل قاس كان هو النتيجة فى الملعب..
وكرب وهم شديدان كانا يمثلان النتيجة داخلى.. يخرج
اللاعبون من الملعب كأصدقاء وأخرج أنا من الملعب
أبكى دما.. كارها هذا اليوم الذى وجدت فيه نفسي
زملكاوياً محباً لهذه الدرجة التي قد تقتلني يوما ما.

كانت أعصابي بعد المباراة تستقر على بضعة
سكاكين حامية تمزقها إربا.. كنت أوقفت سيارتي بجوار
نادي الزهور القريب، كنت مضطراً للسير حوالى كيلومتراً
كاملاً أجتر فيه آلامي.. سار بجوارى "ناصر" وأحد زملائي
فى المجموعة يسكن هو الآخر بالقرب منى فى المعادي،
طلب أن يركب معنا.. فلم أرفض، وسرنا سوياً وسط
الحشود المتألّمة لتلك النتيجة غير العادلة والتي زاد من
وطأتها السباب الجماعي المنظم الذى قامت به الجماهير
الحمراء فى حق التوأم "حسام وإبراهيم حسن".. وصحيح
أن خلع "حسام حسن" لقميصه الأبيض وتقيله وطواف
الملعب به بعد المباراة أثلج صدورنا جميعاً.. ولكن ما
فائدة ذلك ونحن نخسر فى نفس اللحظات حلم المنافسة
على الدرع.. نخسر بطولة جديدة.. وتنطفئ شمعة جديدة
للأمل والحلم.

سرت هائماً مفكراً فيما حدث فى المباراة.. وتساءلت إلى أى مدى ستحتمل أعصابي تلك الصدمات المتتالية التي أتلقاها من الفريق الأول لكرة القدم بنادي الزمالك؟.. وإلى متى سيظل الأهلي محظوظاً لهذه الدرجة، كان ما يزيد من همومى هو أنني أعلم تمام العلم أنني سأواجه عاصفة متجددة من السخرية والاستهزاء بى وبفريقي من جيرانى فى المنطقة والذين سيسهرون بكل تأكيد فى انتظاري، وأنى سأواجه عاصفة مماثلة فى الصباح عندما أخطو أولى خطواتى داخل الشركة الحمراء التي أعمل بها.

كنت غارقاً فى هذه الأفكار، كنا نسير ونسير، الضجيج والصخب يملآن المكان، أبواق السيارات تصدر لنا احتفالاً نعرفه جميعاً، يخرج شاب أحمر من سيارته ليسبنا، شاب آخر يحيينا ويقول إن كلا الفريقين كانا ممتازين وأن التعادل نتيجة عادلة للغاية... ضجيج، ضجيج، ضجيج... كاد الضجيج يفقدنى صوابي، فاتجهت إلى حيلة نفسية أحترفها منذ سنوات، فأغرقت نفسي فى أفكار بعيدة عما أعيشه الآن، ورغم أنني حاولت، لكن تلك المحاولات باءت بالفشل واتجهت بأفكاري كلها تجاه الرمز، الأيقونة، "حسام حسن"، كان مشهد حسام حسن وهو يسجد على قميصه الأبيض مؤثراً للغاية، كنت على يقين بأن حسام قد تحول بفضل موافقته وترحيبه بتدريب الزمالك، إلى أيقونة كروية مصرية بكل تأكيد، حتى لو ترك الزمالك، حتى لو

رحل عنا بمشكلة أو خلاف حاد - لا قَدَّر الله - سيظل حسام هو ذلك البطل الذى انتشل جسد الفريق قبل السقوط فى القاع، سيظل هو كما أتخيله دوماً.. (محمد على) الزملىكاوي الذى كون لنا جيشاً وجعل منا قوة لا يستهان بها، وهو أيضاً (صلاح الدين) الزملىكاوي الذى دافع عن حدودنا ومنع الاقتراب منها، كان كذلك مثل (قطز) الزملىكاوي الذى استطاع أن يقف فى وجه التتار.

محمد على وصلاح الدين وقطرز لم يكونوا مصريين، لكنهم دافعوا عنها بشرف وبقوة، كذلك "حسام حسن"، قضى أكثر من نصف عمره بين جدران الأهلى، ثم وقف فى أول الصف الزملىكاوي ليدافع عنه بشرف وبقوة، "حسام" لم يتخل عن فريقه القديم، هم من تخلوا عنه، لم يتفهموا حبه وارتباطه بتوأمه إبراهيم وتخلوا عنهما معا بدون أى اعتبار لتاريخهما المشرف مع النادي الأحمر، زعم الأهلى أنه فوق الجميع، وداس على التوأم، زعم الأهلى أنه نادي القيم، ورغم ذلك دهس قيمة كبيرة من أبنائه، ولهذا كان طبيعياً أن يأتي الوقت الذى يسجد فيه حسام على قميص الزمالك.

وما إن اقتربنا من البوابة الرئيسية لنادي الزهور والتي كانت تبعد عنا بأمطار قليلة، حتى جذبني رفيقى بعنف شديد، فأنقذنى بهذه الجذبة من ارتطام (طوبة)

متوسطة الحجم كادت تشج رأسى.. والتفت إلى مصدر الطوبة فوجدت مجموعة من الشباب العابث.. معظمهم يصغرنى بأعوام يرتدون جميعاً قمصاناً حمراء تعبر عن انتمائهم للنادي الأهلي ويوجهون لنا عددا قليلا من الحجارة وسط وابل من أقذع الألفاظ.. كانوا على بعد ما يقرب من عشرين مترا.. نقف نحن بالقرب من رصيف نادي الزهور، ويقفون هم على الرصيف المقابل لنا والذي يتوسط نهر الطريق، ويستقر على عتبات شريط مترو عبد العزيز فهمى ومدينة نصر، كانوا حوالى عشرة من الصبية، يملأهم الحماس والفخر بعد أن قهروا زملاكاويتنا بالتعادل السخيف فى المباراة، مجموعة شباب لم ولن ينفذ منهم الطوب أبداً، فهم يقفون بجوار شريط المترو الذى يمتلئ كما تعلم بأطنان من هذه الأسلحة الفتاكة، ويحاولون أذيتنا بها، إضافة إلى استفزازنا بعشرات الألفاظ النابية التي يعاقب عليها القانون يقولونها فى حقنا كزملاكاوية وفى حق حسام وإبراهيم حسن، رددنا عليهم وبمنتهى العصبية بإشارات خارجة بأصابعنا، مصحوبة قطعاً بعدد لا بأس به من الشتائم، ويبدو أن هذا ما زاد من حماسهم فأنجنوا جميعاً على شريط المترو ينتقون منه عددا من الحجارة الفتاكة ليواصلوا قذفنا به.

عدد لا نهائي من السيارات تتحطم حولنا، الحجارة تنال من بعض المارة من مشجعي الزمالك، وفي ثوانٍ معدودة كثر عدد الزملاكاوية الخارجين من الاستاد لتوهم من حولنا، وتكاتفنا جميعا وعبرنا نهر الطريق باتجاههم، فى اللحظة التي زاد فيها عددهم أيضا نظرا لتجمع نفر من مشجعي الأهلي حولهم، كنت شخصا فى ذروة انفعالى بسبب سبهم لحسام وإبراهيم، تحديدا كنت منفعلا لسبهم حسام، ففكرة أن يتم سبى بسبب الزمالك هو أمر معتاد ومتكرر بسبب العصبية الكروية والتي أبادلها بعصبية مماثلة، أما حسام فلن أحتمل سبه أبداً خاصة بعدما حدث على أرضية الملعب، فحسام كان نموذجا حيا وشديد السطوع لرجل يحب ما يفعل، يصدق، ويؤمن بقدرته على الوصول للهدف الأسمى، وأعتقد أن جميع الزملاكاوية فى هذا الوقت قد آمنوا به وصدقوه لهذا السبب، فنحن جميعا هذا الرجل، كلنا يبتغى الفوز، كلنا يشتهي النصر، ولهذا توحدنا معه تماما وصدقناه ولا زلنا.

كنت أعبر الشارع حين تقافزت فى ذهنى صور للعديد من المعارك المماثلة، والتي كنت أفوز فيها أحيانا وأخسرها فى أحيان أخرى، لكنني كنت صادقا تماماً وعازماً أشد العزم على الفوز فى هذه المعركة بالذات، تمر بجوارى الحجارة لترتطم بسيارة أوقفها صاحبها البائس بالقرب من مكان المعركة، أو تصطدم بجسد أحد رفاقي،

وفى محاولة منى لحماية وجهي اصطدمت بساعدى إحدى هذه الحجارة لتزيد من انفعالى وتقوى من عزيمنى على الفوز أكثر وأكثر.. كنا نتفادى السيارات القليلة بنشاط ونحن نتوجه إليهم عدوًّا... حاولوا هم زيادة جرعة قذف الحجارة فى محاولة منهم لردعنا، فلم نزد نحن سوى إصرارا على إصرار... كان عددنا كبيرا وكانوا مثلنا...حتى التقى الجمعان.

كانت دراما دموية، قريبة مما نشاهده فى أفلام الأكشن، كان أول من قابلنى فى تلك المعركة شاب يقاربنى فى العمر والحجم عاجلته بقبضة يدي فى نظارته الطبية فتهدمت تماما مسببة لى جرحاً غائراً.. ضربنى فى ساقى بقدمه ضربة موجعة، فضربته بركبتى بمنتهى العنف بين فخذه، ليسقط أرضا وأذهب أنا لمساعدة رفيق لى، أمسكنى أحدهم بعنف وألقانى على شريط المترو فقامت ممسكا بحجر كبير وضربته به فى رأسه، ثم أمسكته وقذفته على لوحة من لوحات الإعلانات الموجودة على الرصيف، لتهدم تماما.. صراخ يملؤه الحماس يلف الأجواء، تجمع عشرات الناس على الأرصفة ليتابعوا مباراة جديدة بين الزمالك والأهلى.. أساعد صديقا، ألقى ضربات وضربات، وسط ضجيج لا يحتمل وصراخ لا ينتهى.

واستمر الحال على هذا النحو لدقائق.. كانت معركة عنيفة بحق، ندافع فيها عن شرف فريقنا ومدربه.. جرح فيها العديد من رفاقي وجرححت أنا فى ساعدى وقبضة يدي وقبضة ساقي وفى أعلى رأسي.. وبالمثل حدثت خسائر عديدة فى أجساد بعض الأهلية، وما هي إلا ثوان معدودة حتى جاءت قوة لا بأس بها من الشرطة لتكنسنا جميعاً، وجدت نفسي لحظتها أبحث عن "ناصر" بلهفة فقد كنت أعلم أن إقامته فى مصر بصورة غير شرعية قد تسبب له مشاكل عديدة لن تنتهي عند ترحيله من البلاد نهائياً، كنت أعلم أنه سينسى كل تفاصيل حياته السيئة، ويجبره حماسه أو ينسيه وضعه غير القانوني بمصر، ويدافع عن الزمالك وكرامته مهما كلفه الأمر حتى الرmq الأخير، كنت أعلم أنه سيتعامل مع النادي على أنه قبيلته ومع "حسام حسن" على أنه شيخ القبيلة.

اكتشفت لحظتها أن عدد المتعاركين قد وصل إلى ما يقرب مائة شخص من الجانبين، كان الجميع فى حالة فوضى بسبب قدوم الشرطة، كان الجميع يحاول الفكاك من أنيابهم التي لن ترحم أياً منا، وفى واقع الأمر فإن الهروب من الشرطة فى مثل ذلك الشارع كان يسيراً للغاية نظراً لرحابته واتساعه، لكنني لم أفكر فى الهرب فعلاً بقدر تفكيرى فى حماية "ناصر".

كان الوصول إليه سهلاً نظراً لطول قامته الملحوظ، بيد أن إقناعه بالهرب كان صعباً بالفعل.. زحزحته من فوق أحد الأهلية بصعوبة بعد أن هشم "ناصر" وجه الرجل تقريباً.. ودفعته دفعاً ليجري بعيداً عن ساحة المعركة.. كان تجمهر الناس- من غير المتعاريكين- حولنا يعطينا فرصة أكبر للهرب.. وعندما اقتنع "ناصر" ونظر حوله بسرعة ليجد الوضع متأزماً بالفعل، قرر أن يتركنا ويهرب مع الهاربين، كان الطبيعي أن نتفرق ثم نجتمع بعد نصف ساعة على الأكثر عند السيارة لما تهدأ الأمور.. لكن الحقيقة أن "ناصر" جرى في اتجاه (مساكن التوفيق) القريبة والتي تقع قبالة باب نادي الزهور، ليختفي بين شوارعها المظلمة، وجريت أنا في اتجاه بوابة النادي الرئيسية وهو ما كان تصرفاً غيباً بحق، فأتسع الشارع لن يعطيني فرصة للاختفاء، فكان لا بد أن أستخدم ما تبقى من طاقتي لأركض كالنمر وأستطيع الفكاك.

جريت وجريت، ركض خلفي فرد أمن نشيط، ومع كل خطوة أخطوها كانت طاقتي تنضب شيئاً فشيئاً.. يزيد الأمر سوءاً هو نزفي المستمر من ذراعي وساق، والأهم أنني لم أكن أعى أن قوة الشرطة أتت بالفعل من هذا الاتجاه، لهذا كنت أجري نحو باب النادي كمن رمى بنفسه بين أحضان جهنم... لاحقني الرجل النشيط بحماس، كان يصرخ ويأمرني بالتوقف، يسبني بلا انقطاع،

وأنا أجرى بلا هدف محدد، حتى لحق بى بعد انتهاء
سور النادي وأمسكنى بكل قوته... ضربنى وجرجرتنى كثيراً،
ورغم قوتي البدنية الظاهرة إلا أن قدرته وخبرته غلبتني،
بل سحقتنى.

- إيدك يا..، أنا أخويا ظابط يابن الـ..

- ... أمك على.. أم أخوك، هي كلها بقت ظباط واللا
إيه يا..

حتى ركبت البوكس كحلى اللون حديث الطراز
مع عدد آخر من الشباب من مشجعى الفريقين ممن
لم يستطيعوا الهرب.. حاولت أن أنظر فى اتجاه "ناصر"
لأؤكد من نجاح محاولته... وأراجع الوجوه حولى، فاطمأن
قلبي لعدم وجوده.. وتملك منى الهدوء تماماً رغم
الصخب الذى كان يملأ السيارة.. وظللنا وسط هذا الصخب
المصحوب باهتزاز شديد من جراء رعونة السائق، أنزف
الكثير لكنني متماسك، حتى وجدنا أنفسنا بعد دقائق
ندخل وسط استقبال حافل من بوابة قسم مدينة نصر
ثان.

ثانى رُبْع ساعة
« أنصر يا رب الأبطال »

قسم مدينة نصر ثان.

لن أبتعد كثيراً عن الحقيقة إذا قلت إن ثقافة الأولتراس، تُعدّ فكراً من نوع خاص ومتفرد بين الثقافات والأفكار الأخرى التي ولدها البشر وابتكروها، ليس لكونها ثقافة تعلّى من شأن الانتماء والولاء والاجتماع تحت راية واحدة فحسب، وإنما أيضاً لأنها تكسب العضو المنتمى إليها صفات شكلية واضحة، فهو مثلاً يمشى دوماً معتداً بنفسه رافعاً رأسه، ثابت الخطوات واثقها، وتكسبه أيضاً صفات داخلية عديدة لعل أهمها أنها ترفع من درجة وعيه بقضايا فريقه ومشاكله، وبالتالي فهي ترفع من درجة إيمانه بقضية ما، مهما كانت بساطتها.. مما يصبغ روحه بصبغة محببة، ناعمة، تطبع على وجهه ملامح صوفية واثقة، لاحظ أننا نتحدث عن فرد الأولترا الحقيقي، وليس مجرد تابع، وفي أحيان أخرى يساعد فكر الأولتراس معتنقيه على الاستمرار والبقاء في الحياة كأشخاص أسوياء، ففي حالتني مثلاً ساعدتني مجموعة (أولتراس وايت نايتس) كثيراً في أن أكون شخصاً جسوراً لا يهاب أحداً أو شيئاً، جعلت مني الأولتراس شخصاً دؤوباً، شديد التركيز في عمله وفيما يفعله للمجموعة، جعلت مني شخصاً لا يخشى الوحدة كما كنت من قبل، فلم أخافها وحولى ما يقرب من أربعة آلاف أخ هم العدد

التقريبى لأعضاء المجموعة هنا فى القاهرة؟.. لم أخاف
التجول بين المحافظات والسفر إليها بل والاشتراك فى
الكورتيجات على أرض الفرق المنافسة، وأنا أمتلك العديد
من الإخوة فى الدم من أعضاء المجموعة فى عدد لا بأس
به من محافظات مصر كالإسكندرية والدقهلية والمنوفية
وغيرها؟.. الخلاصة هي أنني وبعد انضمامي للأولتراس لم
أعد أخشى الناس.. لم أعد أخشى التعبير عن ذاتي، لم
أعد أهاب شيئاً.

لم أكن خائفاً بالفعل عندما كنت أخطو أولى
خطواتي داخل قسم الشرطة، فلم تكن المرة الأولى التي
أحيا فيها موقفاً مشابهاً، كنت فقط متوجساً، تدور فى
عقلي عشرات الأسئلة، لعل أهمها هل سأخرج من هنا
الليلة، أم سأبيت فى القسم؟.. وهو سؤال مهم للغاية،
حيث إنني لن أستطع تبرير غيابي عن العمل فى الصباح
وهو ما قد يسبب لى مشكلة كبيرة مع مديرتى، والحقيقة
أنني سألتمس لها العذر إذا قامت بأى إجراء إدارى عنيف
ضدى، فقد استنفذت رصيد إجازاتي كاملاً ونحن حتى
لم نقرب من منتصف العام بعد، والحقيقة أن تركيزي
مع الزمالك والأولتراس قد ألهانى كثيراً عن العمل، وهو
بكل تأكيد ما يؤثر على مسيرتي فيه، لكنني شرحت لك
مسبقاً أنني غير راضٍ أصلاً عن تواجدي فى العمل الذى لا
يلائم مؤهلي العلمي وانتمائي الكروي.. كنت أتساءل أيضاً

عن رد فعل والدى.. والذى أعلم أنه لن يكون هيناً على الإطلاق، إذا علم أنني تشاجرت مجدداً بسبب الزمالك..، غير أنني وبالتأكيد كنت أحتاج وقتها لشخص يخرجنى مما أنا فيه، شخص ينجدنى، ورغم أن ثقافة الأولتراس تقطع بأن مشجع كرة القدم أهم كثيراً بالنسبة للنادي من اللاعب والمدير الفنى وعضو الجهاز المعاون، بل عضو مجلس الإدارة، ذلك أنه يفنى حياته فى خدمة الكيان، على عكس الآخرين الذين يتكسب بعضهم ويُطعمون أبناءهم من خزينة النادي، إلا أنني سأكون كوميدياً بحق لو كنت أعتقد أن "حسام حسن" أو أحد لاعبي الفريق أو السيد "ممدوح عباس" رئيس مجلس إدارة نادي الزمالك فى ذلك الوقت.. أكون كوميدياً بحق لو ظننت أن أحدهم سيأتى لنجدتنا، حتى لو طلبنا مساعدة أحدهم!!

كانت تلك الأفكار تراودنى أثناء صعودي السلالم مع مجموعة المشجعين المقبوض عليهم، وسط استقبال حاد من مخبري وجنود القسم، استقبال ملئ بالركلات والصفعات، مغلف بالشتائم، كانوا يتعاملون معنا بكرهية حقيقية، فأنا أعلم يقيناً أننا بالنسبة إليهم مجموعة أخرى من (الصيّع)، وأنهم مشغولون بمن هم أعتى منا فى الإجرام ومسؤولياتهم الجسام، ورغم أن هذا الاستقبال الحافل كان يزعجنى بالفعل إلا أنني أثرت الصمت حتى يأتى الفرغ من عند الله.. وأفكر فى شخص قد ينجدنى من تلك المحنة.

بكل تأكيد سأجد "شيماء" ساهرة بجوار الراديو الآن
تستمع لهذا البرنامج الأيقوني الذى لم أفهمه إطلاقاً "أنا
والنجوم وهواك" تستمع هي الآن لصوت مذيعة الأبرز
"أسامة منير" الوقور الرخيم الذى يخبر بنات مصر
أجمعين أن الحب هو أهم مباراة فى حياة كل منهن،
ويدلهن عن طريق نصائحه الماسية على طرق اللعب فى
تلك المباراة.. ستنتهي "شيماء" من البرنامج ثم تتكى إلى
أريكة حمراء وثيرة بغرفتها، لتذاكر بجد وحماس حتى
تنجو من مقصلة الحصول على تقدير سيئ، فـ "شيماء"
تحلم فعليا بأن تكون من أساتذة قسم اللغة الإسبانية
بكليتها، وهو الحلم الذى يعطى احترامي لها مبرراً وحيداً،
فهو حلم مشروع أساعدها على تحقيقه بكل ما أستطيع
كتعويض مسبق منى على الصدمة الكارثية بكل تأكيد
التي ستشعر بها عندما أتركها وحيدة لتواجه هذا العالم
الرحب بدون "أبو نيرمين".

صحيح أنني لم أكن أول من لمس جسد "شيماء"،
لكنني أقر بأنني أول من ضاجعها، لم أكن أول من أحبته
لكنني كنت حبها الصادق وأكثر نضوجاً... "شيماء" شخص
لحوق بحق، ثقيلة على قلبي بحق، لكنني أعترف بأنها
طيبة القلب وتحبني بجنون.. أعرف أيضاً أنني قد أتغاضى
يوماً عن صفاتها السيئة، وأجلس بجوارها فى قاعة مكيفة
الهواء بأحد المساجد الكبرى لأعقد قرانى عليها وسط

فرحة الأهل والأصدقاء، فقط لأؤدب نفسي على ما فعلته ببراءة تلك الفتاة التي كان خطؤها الأكبر هو أنها أحببت شخصاً مثلي... أعيانى تفكيرى فى قضيتها معى كثيراً، لكننى فى موقف كهذا أقول لنفسي إنه ها قد أتت الفرصة الذهبية لكى تتركنى هي بكامل إرادتها ولا أتركها أنا بإرادتى.. أو أننى أريد أن يبدو الأمر على هذه الصورة.. وعموماً وبما أنها فى أول الأمر وآخره فتاة، فهي إذن لن تكون أبداً الشخص الذى أحججه هنا والآن.

أما أبى، هذا المهندس الوقور والذى يحفر الأرض لمدة تزيد عن العشرين يوماً فى كل شهر باحثاً عن الذهب الأسود والغاز الطبيعى فيبدو أنه لم يشف بعد من جرح وفاة أمى ولهذا قرر أن يقضى أطول مدة ممكنة وحيداً فى الصحراء، وبكل ثقة أستطيع القول إنه ساهر حتى الآن فى ركن قصى من الموقع متأملاً نجوم السماء، جالساً فى حضرة أغنية "لأم كلثوم" ويدندن معها حالماً بأمى، داعياً لها بالرحمة، دعاء أشاطره إياه بكل تأكيد، لكننى أدعوه أن يسامحنى هنا والآن، فرغم محاولات الرصف التى قام بها كل منا فى الدرب الموصول بيننا فى الفترة الأخيرة إلا أننى أعلم يقيناً أننى لم أفهم هذا الرجل قط، عاش محاولاً الحفاظ على هيبتى وهيبة "وليد" الاجتماعية، عانى كثيراً فى صحارى مصر والسعودية لكى يستطيع أن يؤمن لكلينا شقة فاخرة فى مكان فاخر، حاول أن يضمن

لى وظيفة محترمة وإطاراً اجتماعياً أنيقاً حين ظل يقنعنى بالحق بـ"وليد" وتقديماً أوراقى فى كلية الشرطة، أوجد لى أكثر من فرصة عمل مناسبة أثناء الدراسة، لم أعمل فى أى منها لأننى شاب أخرق، كسول، ميسور الحال، لا أريد تخشين يداي إلا بعد حصولى على الشهادة الجامعية.

حتى إنه لما حصل لى على وظيفة فودافون ترفعت عنها، إلى أن جاءت اللحظة التي جزم فيها- ولأول مرة فى تاريخنا معاً- بأنه سيطردنى من المنزل حتماً لو رفضتها.. أبى فصل وعرف فى حياتى المظلمة، أبداً لن ينتهى، ولن أطلب منه أى شىء فى هذه اللحظة سوى الدعاء لأمى بالرحمة والدعاء لى بالهداية.. ونظراً لبعد المسافة بيننا فلن يكون بالتأكيد الشخص الذى قد ينجدنى هنا والآن.

وبالنسبة لـ"هشام" فساھر بكل تأكيد ليذاكر بجدية متطلعاً للتخرج من مودرن أكاديمى بعد سبع سنوات عجاف قضاها بين جنبااتها ليحصل على بكالوريوس إدارة أعمال لا قيمة له مثله مثل أى بكالوريوس أو ليسانس آخر، لكنه فقط سيضمن له عروس متعلمة، ووظيفة مؤكدة فى مصنع العدادات الذى يملكه أبوه بالسادس من أكتوبر، والذى يستقبل فيه الوالد تلك العدادات آتية من الصين ليجمعها هنا فى بلدنا ويعطينا نحن الشعب عدادات صينية ثقيل مصري، و"هشام" هذا الشاب العابث يؤمن

فى قرارة نفسه أنه لا يوجد على سطح الأرض أى مكان يمكنه قبول غزارة معلوماته عن إدارة الأعمال سوى مصنع أبيه والذى يخطط للاستيلاء عليه بعد وفاة أبيه عن طريق الميراث ثم تحويل أرض المصنع وما عليها لمجمع كافيهاات يجنى من ورائه الكثير، اليوم فقط أكتشف أنني صديق لـ "هشام" ليس لأنني أحبه، لكننا فقط نشبه بعضنا بشدة، فهو أيضا يخشى التطور، يريد أن يصل إلى ملذاته، يحيا ليفعل ما تمليه عليه نزواته لا ما يمليه عليه ضميره، اكتشفت بعد تفكير سريع أنه بالفعل شخص بلا تأثير فى حياتي، فهو ليس ككوب الماء الضرورى الذى سأموت بدونيه إنما هو ككوب المياه الغازية الذى يمكن الاستغناء عنه أو استبداله بآخر فى أى وقت أريد.. ولهذا فإن "هشام" ليس الشخص الملائم لى هنا والآن إطلاقا .

والسيد "ناصر" لن يأتى قطعا، وبالقطع لن أطلبه، فشخص مثل "ناصر" وبعد أن خسر جميع رهاناته وُصِّدَ فى جميع اختياراته، لن يحتمل بكل تأكيد صدمة جديدة أو خسارة رهان جديد على تعاطف ضابط مباحث شاب، عليه يتفهم خوضنا لمعركة كروية من أجل الدفاع عن شرف الزمالك ومشجعيه، ولأنه يقيم فى بلد هذا الضابط بصورة غير شرعية، أصبحت العودة إلى السودان من جديد بمثابة الكابوس الذى يهرب منه "ناصر" دوما، فلم يعود؟.. لم يعود وهو ذلك الجمل الشائخ الذى يهيم فى

الدنيا بلا زوج أو أخ أو حتى رفيق في درب التيه؟.. لم يعود إلى وطن لا يوجد به مرآة حقيقية تعكس آدميته وتشعره بأنه يشغل حيزاً مادياً من الفراغ؟.. لم يعود إلى وطن لا يوجد به زمالك ؟!!!!.

”ناصر“ أيضاً غير موجود ولن يكون موجوداً.. فبعد أن ظل طوال حياته صفراً على اليسار، لن أطلب منه اليوم أن يكون صفراً على اليمين وآسفا أقولها، إن ”ناصر“ لن يكون الشخص الذي أحтаجه هنا والآن .

وأثناء انشغالي بالدم النازف من جروحي، كنت أقلب فى أوراق حياتي عن شخص قد يصلح لنجدتى مما أنا فيه، كنت أُمسك بهذا الألبوم قليل الصفحات، وأجرى بين صفحاته، فلم أجد شخصاً واحداً، لا أحد من الجيران، لا أحد من الأقارب، لا أحد من زملاء العمل، إذن لا مفر من مهاتفة ”وليد“.. لا مفر.

خمس سنوات فقط هي ما يفصل بينى وبين ”وليد“ فى العمر، لكنني أشعر أحياناً أنها خمسة عقود، كم من المرات منذ أن كنت طفلاً اختلف معى وتعارك وانفعل لأسباب واهية بالفعل، كم من المرات كرهته فيها، كم من المرات كرهت فرضه لنفسه على حياتي بدعوى (سُلطة الأخ الكبير)، ذكرت لك أن طبيعة عمله كضابط شرطة

أكسبته مزيداً من العنف والصلف، لكنني أحتاج فعلياً إلى طبيعة عمله تلك، أحتاج الآن إلى ضابط شرطة بجوارى، أحتاج إلى البدلة الميري التي ستتشلني بكل تأكيد مما أنا فيه، أحتاج إلى "وليد"، الذي لن يرد علىّ حتماً.. لأنه قرر مقاطعتي منذ شهر .

المعادي- البساتين - قسم مدينة نصر ثان

المعادي فى العموم حى راق، معظم سكانه من علية القوم، وتلك الشريحة من البشر تجدها فى الأغلب متأففة، مترفعة، متسقة مع ذاتها تماماً، وتعلم قدر نفسها تماماً، فاهمة لما يدور حولها، يولد كل منهم وفى يده خريطة صغيرة ترشده إلى الكتف ومن أين تؤكل، يعملون فى شركات ضخمة أو وظائف حكومية رفيعة، ينشئون العديد من المشاريع التي تنجح بكل تأكيد، لأن أصحابها من سكان المعادي، تقرر الحكومة أن تضمهم إلى محافظة حلوان الوليدة فيثورون ويختجون وينظمون الوقفات الصامتة لا لشيء غير (البرستيج) الذي يمنعهم من الاقتراب من الناس (البيثة)، يظهر عندهم شاب أخرق يستهدف البنات متحرشاً فيطلقون عليه لقب (السفاح) ويستحثون الحكومة لتقبض عليه سريعاً خوفاً على بنات الذوات من غدره، فيحدث لهم ما تمنوا وتجد الحكومة هذا السفاح سريعاً... ورغم التصاق المعادي بحى البساتين الشعبى،

ورغم احتواء المعادي على مناطق (العرب- شارع أحمد زكى- شارع حسنين دسوقي- شارع 77 - فايدة كامل)، إلا أن معظم أهل المعادي يتناسون ذلك تماماً ويقررون التركيز مع (دجلة- السرايات- شارع النصر- الثكنات- شارع 9) وغيرها من المناطق المتميزة.

ولأن طبيعة أهل المعادي لا تقبل الخسارة فقلما تجد بينهم زملكاوي، الكثير والكثير جداً من البشر رجالاً ونساء يملأون جنبات المعادي ليل نهار، ملايين الكلمات تخرج من أفواههم يومياً عن الكرة وسحرها، والقليل جداً من مشجعي الزمالك ومحبيه، هذا ما يخلق منى أقلية بائسة تعيش وسط غابة حمراء لا ترحم، لهذا أهرب إلى (ميت عقبة) يومياً، فهي المنطقة الأكثر بياضاً في مصر، أهرب لأجد فيها السلوى والرفقة، أهرب لأجد فيها أناساً يشبهونني، لكنني أعود مضطراً لبيت يملؤه الأهلوية، داخل عمارة لا يوجد بها زملكاوي غيري، في شارع يسكنه سبعة زملكاوية على الأكثر، في حي يرفرف في سمائه شيئاً واحداً، علم النادي الأهلي.

لكنني مع الوقت صرت أكثر شجاعة، واجهت قدرتي متسلحاً بزملكاويتي، كنت أنزل من بيتي أيام مباريات الزمالك وأعود إليه مرتدياً قميص الزمالك بكل إباء وفخر مهما كانت نتيجة المباراة، أجلس على كافيه في المعادي وحيداً مشجعاً

الزمالك متلقيا آلاف النظرات الساخرة والمتحسرة على شبابي الذي سيضيع- من وجهة نظرها- على فريق لن يكسب أبداً.. لكنني أبقى دوماً حريصاً على زملاكاويتي، محافظاً على عذريتها، مدافعاً عنها حتى الرmq الأخير.

أحب المعادي رغم أنها لم ترحمني أبداً
وكما ذكرت لك فقد خضت العديد والعديد من
المعارك الدامية بسبب السخرية من زملاكاويتي، وبطبيعة
الحال لم تكن معاركى تلك تلقى أى قبول أو استساغة من
أسرتي، وخاصة "وليد" الذي كان يعاملنى بقسوة وفجاجة
شديدة بعد كل معركة أخوضها، من باب أنني سأسبب له
يوماً حرجاً بالغاً وذلك قطعاً بسبب وضعه المهني المتأزم،
وصحيح أنني أتفهمه تماماً، لكنني كنت أتمنى أن يبادلنى
هو يوماً نفس التفهم وأن يقر ويعترف بأن إيمانى بالزمالك
أهم كثيراً من صف الدباير التي يحملها فوق كتفيه،
لكنه أبداً لم يفعل، وأنا لم أعد أقو على مجادلته، فبين
السياط المتتالية التي ألقاها من زملاكاويتي و"شيماء"
وضغط العمل على أعصابي، لم أكن لأتحمل أبداً سوطاً
جديداً يدعى "وليد"، أبداً.

فى أواخر عام 2009، وقت أن كنت أستمتع بجسد
"شيماء" فى منطقة منعزلة بالمعادي، عبر عدد لا بأس
به من القبلات واللمسات الحانية، كانت متألفة ومتجاوبة

للغاية يومها، وكنت أشعر برغبة قاتلة فى التهامها التهاماً، حدث أن ظهر فجأة شابان، قالا أنهما من رجال الأمن، حاولا التحرش بنا وسبّاها بألفاظ نابية مما أثار رجولتى، أمرتها بالابتعاد وتوجهت لهما بثبات، متحسسا الـ Electric chock التي أحملها أحياناً فى حزامي، وبعد معركة دامية بحق، خسرت فيها إحدى أسناني، وأصبت فيها بجرح غائر فى الكتف الأيمن، ونجحت فى إصابة كليهما إصابات بالغة، انتهت المعركة بعدد لا بأس به من المحاضر التي كنت فيها المتهم. التشاجر، فعل فاضح بالطريق العام، التعدي على موظفين عموميين أثناء تأديتهما لوظيفتهما، هتك عرض أنثى!!، الخ...

وكالعادة جاء "وليد" لينقذنى، لكنه جاء يومها وقد بلغ منه الغضب مبلغه، خصوصاً بعد معرفته بسبب المشاجرة، وتأكد من أنني كنت ألهو بجسد الفتاة، فهب الشابان لتربيّتى وتأديبى، رأيته يومها كما لم أراه من قبل.

دخل قسم البساتين بخطوات متعجلة، تحدث للحظات مع أمين الشرطة الذى كان يستعد لفتح المحضر، فتوقف القلم فى يده، توسم القوة والسطوة فى أحد الشابين فأخذه إلى الخارج، ليعود ويأخذ صديقه ويرحلا بعد إجراء الصلح، وينتهي كل شىء فى لحظات.. وبعينين حمراوين تماماً من أثر الإرهاق وربما الغضب نظر لي

”وليد“، ثم صفعنى على وجهي أمام الجميع بدون مراعاة لأى شىء، حاولت أن أرد كرامتى فلم يعطنى فرصة، حاولت أن أستردها عندما عدنا للبيت حتى إنني حاولت صفعه مثلما صفعنى - لأول مرة فى حياتي- فعاجلني أنا وأبي وأصدر بيانا أعلن فيه أنه لن يتدخل فى شؤونى مرة أخرى، وأنه مل، وأنه يلعننى فى كل يوم، وأنه، وأنه.. إلخ، وعبأ حقيبته بالملابس، وانسحب من المنزل فى خفة، عرفنا أنه لبث عند صديق له فى المعادي لأيام قليلة، ثم عاد للمنزل بعد أن هدأ، وانتهت علاقتنا على هذا النحو.

فرد الأولتراس الحقيقى يتحلى بسمات الرجولة ولا يهاجم أحدا إلا إذا هاجمه ولا يتعدى على أحد إلا إذا أهان رمزا أو شعارا أو فردا من أفراد المجموعة أو النادي، فنحن نحترم معتقداتنا ومقدساتنا التي تحتم علينا عدم إهانته الآخر أو السخرية من لونه أو عقيدته، لذلك نتسم دوماً بصفات الرجولة التي تحتم علينا عدم التكالب على فرد من مجموعات الخصم لمجرد أنه يمشى وحده.. فنحن نهاجم فقط من يتعدى علينا ونظهر أنيابنا الحقيقية فقط فى مواقف الرجال.

السطور السابقة يعرفها كل فرد أولترا زملكاوي، من خلال المقال الأشهر للمجموعة والذي يحمل عنوان (ثقافة وعقلية الوايت نايتس)، وهو المقال الذى أحفظه عن

ظهر قلب، فهو كالدستور الذى أسير مهتديا به مستندا عليه، ولهذا فقد كنت أثق حين أمسكت بطرف قميص الزمالك لأمسح به نقاط الدم الغزيرة التي تناثرت على ساعدى ورأسى بأنى وزملائى الزملاوية الذين شاركوني معركة الديربى لم نكن مخطئين فى تلك المعركة، وأن الأهلووية هم من بدأوا الاعتداء، لأننا لا نبدأ بالعراك أبداً، ولهذا كنت مطمئنا إلى حد بعيد إلى أن العواقب لن تزيد عن محضر تشاجر عادى وسنخرج بعده جميعا أهلووية وزملاوية إلى العالم الرحب، لنواجه مصائرنا فى أمور حياتية أخرى.

حاولت مراراً أثناء توجه البوكس بنا إلى القسم مهاتفة "وليد"، لكن هاتفه المحمول كان غير متاح لسبب مجهول، ولدى وصولنا إلى القسم كان الجميع يعلم أن الأمر لا يزيد عن احتكاك عادى بين مجموعة من الشباب وسينتهي سريعاً كما بدأ.

ومنعاً لأية احتكاكات جديدة فقد فصلوا الأهلاوية عن الزملاوية وجلست مع مجموعة من إخوانى الزملاوية فى غرفة منفصلة بالقسم، وهو ما خفف الوطأة قليلاً عنى حيث اعتبرت أننى فى بنسيون أو أننى سأقضى ليلتى عند صديق فقير الحال.. كما إنها كانت فرصة لإخوتي وزملاء الزنزانة ليساعدوني على تضييد جراحي

إيقافاً للنزيف، كان دخولنا هذا المكان أمراً طبيعياً للغاية إلى أن يستدعينا الضابط ليعرف منا ماذا حدث بالتفصيل.

كانت الغرفة رحبة (تسع لخمسين على الأقل من البشر)، يعيها ألا شبابيك لها فكانت خانقة قليلاً، بابها الخشبي الوحيد قد يغري أى شخص بالتفكير فى الهروب، لكننا لم نجسر على فعلها إطلاقاً.. تحدثت مع الرفاق عن بساطة الموقف، خاصة أن الموضوع يمكن إنهاؤه بمكالمة هاتفية، أو محضر صلح، وكلاهما أمر بسيط لا يستدعي أكثر من ضامن يأتي ليأخذك من هنا.. ولتخفيف حدة الموقف ذكرتهم بالمباراة وما حدث فيها، وكيف أن "أحمد غانم سلطان" لاعب فريقنا أضاع المباراة منا بسبب عدم تركيزه، وتحاورنا لدقائق، ثم غنينا بصوت خفيض بعضاً من أغاني الأولتراس فى المدرجات.. وقال أحد رفقاء الحجز إن أكثر الأغاني ملائمة لحالنا هي (انصر يا رب الأبطال) وهي أنشودة جميلة وشهيرة لنا.

حوارنا معاً كان يهدئ من روعى- وروعننا جميعاً- فعلاً، إلا أن المشكلة التي لا يمكننى نسيانها هي أنني لا أستطيع العثور على أى من معارفى وبالتالى قد لا أخرج من هنا الليلة، لكنني حمدت ربي أن بطاقتي الشخصية التي قمت بتحديث بياناتها بعد ترك "وليد" للمنزل، تحمل عدداً لا بأس به من المعلومات التي قد تساهم في خروجي من هنا، دجلة/ المعادي/ فودافون.

كان الوضع مستقراً للغاية، والأجواء هادئة، وكان الكل فى انتظار دوره، إلى أن دخل علينا مخبر حاد النظرات، تفحصنا جيداً، وبما أنني كنت الأقرب للباب فقد اقترب مني ثم أمسك بي من قفائي وسحبني كالبهائم إلى الخارج، عرفت من خلال حروفه التي تخرج من فمه أنني كنت أول زملاؤي على القائمة، حاولت التملص منه لكنه كان قويا بحق رغم نحافته الشديدة، حاولت أن أنفعل وأثور عليه لكنه كان يخرسنى بضربات الموجهة وصوته الجهورى، كان يسب كرة القدم والزمالك والأهلي و"حسام حسن" وكل شيء معلنا أن الوردية (مش ناقصة أرف)، تمزق قميصى تماماً، رماني كما ترمي أنت قمامتك بلا اهتمام لأستقر على حائط تعلوه لافتة تقول إن خلف هذا الحائط يجلس (رئيس مباحث القسم).. انتظرت أمام الغرفة قليلا لأجد شابا أهلاوياً يتم ركله إلى خارج الغرفة مشفوعاً بجملة رنانة من المخبر الذى ركله من الداخل إلى الخارج :

.. مشوفش سحتك هنا تانى يا روح أمك .

وهكذا، خرج الشاب الأحمر إلى الحرية، ثم جذبني المخبر الخاص بى مرة أخرى ليدخلنى إلى السيد رئيس المباحث، ويبدأ التحقيق .

ثالث رُبْع ساعة « كارت أحمر »

قسم مدينة نصر ثان

(شلت) عنيف من الخلف طال الخصيتين

كانت تلك هي الطريقة التي أدخلني بها المخبر إلى مكتب الباشا الضابط، وكان هذا مؤلماً بحق، مفاجئاً بحق، قوياً بحق، حتى إنني طرت للأمام ما يقرب من مترين لأرتمي أسفل المكتب الوحيد بالغرفة، وترتطم رأسي بحافته، ويتسبب ذلك في جرح جديد، قمت مسرعاً، ملماً شتات نفسي، واستدردت لأواجه المخبر الذي فعل بي ذلك مرتسمة على وجهي آيات شيطانية لعينة لو رآها أعتى العفاريت لفر هارباً.. لكن المخبر العتيد المتمرس المتمكن لم يطف له جفن، وقف ثابتاً في تحد واضح لشخصي، سببته بالأم، وضربته في صدره ضربة شرسة أعلم يقيناً أنها مؤلمة، لم يبدو أنه تأثر كثيراً واستمر في ضربتي وركلي.

كانت (الأنثى) في أوج توهجها لدي، لكن يبدو أنني لما سببته بأمه قد أثرت حفيظته بشدة، فهاجم على ضارباً إياي بعنف شديد.. بادلتة الضرب و السباب وسط تأوهي، وتدخل الضابط بعد ثوان بصيحة أعتقد أنها أوقفت المرور في الشارع أسفل القسم، متسائلاً :
- أنت بتمد إيدك عليه أدامي يا... أمك؟!.

كان السؤال والسباب موجهين لى بالطبع، فرددت عليه بكل حزم وثقة:
- لما يتعامل مع الناس كده.. يبقى أضربه بالجزمة.

العمرانية الغربية

سهر "محمود" ليلته مع ولديه "أحمد" و"خديجة" وزوجته "صفاء" وهم يتابعون فيلماً شديداً الدموية لستيفن سيجال على إم بي سي 2، وأثر الفيلم على معنوياته كثيراً، فأمر ابنه طالب المرحلة الإعدادية وابنته طالبة دبلوم التجارة، أن يكملا ما تبقى من طبق البيض الذي أمامهما، ثم يذهبا لغرفتهما، وأخذ زوجته من يدها، ودخلا إلى غرفتهما الضيقة، ضاجعها حتى ارتوى، ونام هو الآخر مستريحاً.

وفي الصباح تلت عليه "صفاء" مجموعة من الطلبات التي تحتاجها للمنزل، ثم دعت له بأن يبعد عن طريقه (ولاد الحرام).

- لو ولاد الحرام بعدوا عني، مش هناك عيش يا ولية قالها بصدق، فهو مخبر بقسم شرطة مدينة نصر ثان، راتبه في الداخلية أحقر من أن يتم ذكره، لذا فإن أكل عيشه يرتكز على (المصالح) التي يُجيد إخراجها

من جيوب المتعاملين مع القسم ليل نهار، شخص يُحرر محضراً، أم تزور ابنها المحبوس، ضابط يريد علبة سجائر وكارت شحن، مسجون يريد الفاكهة التي يرسلها له أهله في الزيارة.. وهكذا.

كان "محمود" شديد الحنكة في هذه الأمور، يُمكنه إخراج القرش (من الهوا) كما يقول دوماً، وهو يعرف جيداً أن الثلاجة والِدِش والتلفزيون الـ 40 بوصة في شقته، والتكييف الصغير في غرفة نومه، كلها أتت كمصالح في الأساس بسبب خبرته الواسعة وشبكة علاقاته المتشابكة في دهاليز وزارة الداخلية، وأن دعوة كالتى قالتها "صفاء" لتوها، تعني ببساطة أن يخلو جيبه تماماً وأن يعيش وأسرته كالمتسولين.

خرج من بيته مقبلاً زوجته، قائلاً لها (كلمتين حلوين)، محتضناً أطفاله ومداعباً إياهم، كان قد حرص على أداء صلاته قبل النزول مباشرة، لكى يبارك الله له فى طريقه، مشى جاداً فوق أكوام القمامة ولترات المياه الآسنة حتى وصل إلى شارع (الثلاثيني) المحوري بالعمرانية، سلّم على هذا وذاك، وسب أحدهم بأمه، كما لم ينس المرور على موقف التكاتك القريب ليسب الدين "للواد معتصم" الذي تأخر في سداد يومية التوك توك الذي يمتلكه "محمود" مطالباً إياه بالخمسين جنيه.

اتهم ”الواد شريف الملزأ“ بالشذوذ، عاكس فتاة ترتدى عباءة سوداء بعد أن ألهب خياله ما قد يكون تحتها من مفاتن.... وجدَّ في سيره متجهاً إلى موقف الميكروباصات المتراصة خلف بعضها البعض لتسد قدرا ليس باليسير من الشارع.. تلك العربات التي تحمل ماركة موحدة وهى إلترامكو والتي ينطقها الجميع (راما)، ركب بجوار السائق في هذا اليوم، ودفع الأجرة المقررة على غير عادته، فكل سائقو الموقف يعرفونه ولا يطلبون منه الأجرة على الإطلاق خشية كارنيه وزارة الداخلية وشرطة ”محمود“ وهيئته فى العمرانية كلها.

وكعادته أيضاً بدل صاحبنا ثلاث مواصلات حتى وصل مقر عمله فى قسم مدينة نصر ثان.. طلب من أحد المجندين أن يُحضر له بيضاً مسلوقاً ضمن إفطار اليوم، فقد كان يشتهيهِ بلا سبب معلوم... ثم دخل الحجز، وأيقظ ”هاني سافوريا“ ضيف الحجز شبه الدائم، وأخذ منه علبة مارلبورو أحمر وعشرين جنيهاً كانت بحوزته، كما أخذ (سنة أفيون) كان قد أحضرها لسجين آخر مساء أمس بعد أن (هفه كيفه) على الأفيون.

كان يعلم أن اليوم ستقام مباراة الأهلي والزمالك، مما يعني أن المنطقة ستكون مشدودة بسبب زيارة السيد اللواء مدير الأمن للمنطقة، والتي يبدأها قطعاً من قسم

مدينة نصر ثان، لذا فقد حرص على أن ينتهي من إفطاره سريعاً قبل أن يتجه برفقة (البلوكامين) إلى مكتب السيد رئيس المباحث ليعلم كلاً منهما طبيعة المهمة المكلف بها في مثل هذا اليوم الحافل.

كان يعلم أن (عمرو بيه) رئيس المباحث، سيذهب للاستاد بلا شك برفقة مدير الأمن، لكن "محمود" كان يتمنى ألا يرافقه في هذه الرحلة، فهو لا يُفضل الخروج من القسم، كان يود لو أن يبقى هنا ليشاهد المباراة في التلفزيون استغلالاً للهدوء الأمني الذي ستحدثه المباراة في دائرة القسم بكل تأكيد.

كان "محمود" يريد الاسترخاء وتجميع طاقته استعداداً لتبعات المباراة، هو ليس بالكسول، يحب عمله فعلاً، ولأنه رجل مؤمن يؤدي فرائض الله بانتظام، فهو يؤدي عمله الذي يتطلب منه إيذاء خلق الله في كرامتهم وإهانتهم باستمرار على أكمل وجه.

• أي عمل هذا الذي يسمح لإنسان أيا من يكون بإهانة أخيه الإنسان على هذا النحو؟
• أي عمل هذا الذي يترك شخص ما بيته وأسرته ليسحل ويسب ويضرب خلق الله فيه؟ أي وظيفة تلك؟؟!!

• أي لعنة قد تحل علينا لو كثر أمثال هذا الشيء بيننا؟؟

قسم ثان مدينة نصر.. من جديد

كور المخبر يده فى لحظة وضربنى بها أسفل ذقني..
ضربة قوية تحمل الكثير من الغل، ليرتطم فكي السفلي
بالعلوي، عاصرين بينهما لساني الذى بدأ ينزف بعد هذه
الضربة، ضربة موجعة للغاية أسالت دموعى رغماً عنى،
مشفوعة بألفاظ أكثر إيلاًماً فى حق أهلي قالها كلاهما،
لكنني لم أقو على الرد فقد وقفت مكانى من الألم..
بادرني الضابط بأنه سيُضيع مستقبلي وسيحرر لي محضراً
رسمياً بالاعتداء على موظف أثناء تأدية وظيفته.

تركت الضابط الشاب يتحدث ويتحدث، وسرحت
بخيالى عن هذا الموظف الذى يعمل فى قسم مدينة
نصر، هذا المخبر القاسى، تبدو على ملامح وجهه أنه من
مثل تلك المناطق الشعبية التي تحتم ظروفها المادية
على أهلها أن يحيوا بطريقة صعبة.. كان هذا الجلاد رفيعاً
كعود القصب، له شارب رفيع يعلو شفتين تقفزان خارج
حدود وجهه لتعطيانك إحساساً أنك تواجه شخصاً شرهًا،
يرتدى قميصاً واسعاً مفتوح الصدر كحلى اللون، وبنطلوناً
قماشياً بنى اللون، وينتعل حذاءً جلدياً أسود شديداً
النحافة من الأمام.. له دبلة فى خنصر يده اليمنى، ودبلة
شبيهة غارقة فى دمي تلتف حول بنصر يده اليسرى...

يقف لاهثا واضعا يديه حول خاصرته، يغرق العرق بشرته
الخمرية التي لفحتها الشمس، ينتظر مثلى تماما انتهاء
الضابط من حديثه، ليشعر بلذة الانتصار على أمثالي من
المتعلمين المتعاليين.

كان الضابط ثثارا بحق.. وقف على مكتبه الذي
تصدره لافتة أشارت إلى اسمه...وضع كفيه على حافته
مستنداً عليهما، ليعطيني درسا في معاملة رجال الشرطة
وفي أن شكلي ابن ناس و"مش حمل بهدلة".. وهو كلام لا
أعاب به مطلقا في الحقيقة.

رأسى تنزف من أعلى من جراء المعركة، وجبهتي
تنزف من جراء الارتطام بالمكتب، وأكاد أقطع ساعدي
بسبب الألم الذي يسببه لي، بعد الحجر الذي تلقيته
في المعركة، وأشعر أن لساني قد قطع فعلا بعد اعتصاره
بين فكّي.. وعقلي يفكر ويفكر في سبب وجودي في
هذا المكان.. مستمعا لهذا الشخص الذي يقاربني عمريا
ويتعامل معي على أنني سفاح النساء.. ويؤكد لي مع كل
حرف يخرج من فمه وكل إشارة من جسمه أنني سأرى
الويل.. سأتمنى لو لم أولد!!.

طلب مني إفراغ جيوبى وإخراج بطاقتي.. ففعلت..
لم يكن معي شيء باستثناء علبة سجائر مهشمة، وبضع

عشرات من الجنيهات أحملها في جيبى الخلفى، ومحفظتى التي كانت جديدة من أيام لا تحوي سوى البطاقة وإثبات الشخصية فى العمل وكارت ائتمان أتلقي مرتبى من خلاله كل شهر، أخذ الضابط بطاقتى، قرأ محتوياتها بلا عناية.

- انت بتشتغل في أنهي داهية تاخذك في فودافون؟

- فرع كورنيش المعادي... أجبت

- بقالك أد إيه؟

- ست سنين تقريباً

بدا شارداً للحظات، ثم بدأ فى ترديد كلمات سخيفة لا معنى لها عن أنني أبدو ابن ناس، فلماذا أهين نفسي مثل هذه الإهانات.. حقيقة الأمر أنني كنت أرد عليه الكلمة بالكلمة، عرف أن أبى مهندس بترول بشركة محترمة، والأهم أنه عرف أن أخى الأكبر يعمل ضابط شرطة... سأل عن "وليد"، وأين يعمل، ووضح على قسماته أنه بدأ فى الهدوء لما عرف أن أخى ضابط مثله، صحيح أنهما لايعرفان بعضهما البعض، وصحيح أنني قد أكون كاذباً بهذا الشأن، لكنني أعتقد أن الثقة البادية فى حروفى جعلته يصدقنى. رن هاتفه، فأخذه خارجاً من الغرفة، ورد عليه بصوت خفيض:

- أيوة يا حبيبي..

عاد إلينا بعد برهة، جلس إلى مكتبه وكنت أتوقع أن يبدأ فى ممارسة عمله بصورة طبيعية، لحظات وسمعت نغمة هاتفى المحببة، النغمة التى أخصصها لـ "وليد"، فأعطيت الهاتف للنقيب "عمرو".. شاعراً أخيراً بأن الأمر انتهى.

علمت أنه فى قسم الوايلي، وأن المسافة بين القسمين لن تأخذ منه أكثر من رُبع ساعة فى مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل، ويبدو أن نبرة صوتي لم تعطه الفرصة لأي محاولات لوم وتقريع، فبدأت فى الاسترخاء، مطمئناً لمجئى "وليد".

وبدأ النقيب "عمرو" فى معاودة عمله الروتيني بصورة طبيعية وكأن شيئاً لم يكن، فسألنى عن المعركة وما دار فيها، فشرحت له ما حدث تفصيلاً... بداية من خروجى من الاستاد مهموماً فى طريقى إلى السيارة وانتهاءً بركوبى البوكس الأزرق اللامع.. مرورا بالسباب الجماعى الذى استقبلناه كزملكاوية وشرح وافٍ للمعركة بتفاصيلها، فاجأنى عمرو بحق حين قال إن الأهلووية ذكروا ذات الرواية لكن مع عكس الأدوار.. أى أنهم قالوا أن الزملكاوية هم من بدأوا بالتشاجر.. فرددت عليه بعصبية من جراء الألم والانفعال :

- كدايين وولاد... زى الطور اللى ورايا ده.

هاج الضابط.. إتهمنى بالغباء والإصرار على اختلاق المشاكل، ثم أمر "محمود" بإشارة من يده، أن يصفعني مرة أخرى على قفائي... فعلها هذا المحمود.. ضربته بالقلم... فهاج وانفعل بشكل هستيري.

اضرب في أمه بقى لغاية ما أخوه ييجي يستلمه
هكذا أمر "عمرو".. فسحبني إلى خارج الغرفة بعد أن استأذن الباشا بصوت عال لأنه يرغب في تربيتي، كان آخر ما رأيته في الغرفة هو الضابط الشاب وهو يضع بطاقتي في جيبه ويغلق الباب في وجوهنا، خرجت مدفوعاً، مهاناً إلى طريقة ضيقة، وتكاتف معه اثنان من زملائه أمناء الشرطة، كل منهما كان يضرب بعنف، بقسوة، بحماس شديد، صرخت صرخات متتالية مدوية بسبب الألم والشعور بالإهانة، كنا في الدور الثاني من القسم، لكن هذا لم يمنع خروج بعض الضباط والمواطنين من أماكنهم وصعود بعضهم من أسفل لاستكشاف ما يجري.

كانوا يحاولون سحبني إلى الغرفة التي كنت فيها منذ دقائق بين زملائي، لكنني ولسبب مجهول كنت أقاوم بشدة، كنت أحاول البقاء بجوار مكتب الضابط، كانوا يضربونني بقسوة، زادت لما علموا بسببي وضربي لزميلهم، حاولت التماسك والقيام من جديد، لكنهم لم يسمحوا لي بذلك، كنت أتألم، أصرخ، أركلهم جميعاً، ولكن بلا جدوى..

ولمحت فى نظرة خاطفة قميص الزمالك الذى أرتديه وقد تحولت مساحة كبيرة منه إلى اللون الأحمر، وأثناء ضربى وسحلى سرحت بخيالى وقد شارفت على فقدان وعيى، محدثاً نفسى !

- حتى التيشرت بقى أحمر.. كده حرام والله .

ارتطمت بالحائط مرات ومرات، نذفت من مواقع عديدة من جسدي... تمنيت لو أن لساني فقد النطق فى تلك اللحظة التي سببت فيها "محمود" أمام الضابط... لكن (الأننا) ذكّرتنى بمن أكون من جديد.. لعنتها وأخرستها.. زحفت على الأرض محاولا الهرب.. ليلحقوا بى ويمسك ثلاثهم بى من أقدامى ويسحلوننى مرة أخرى، نجوت من السحل بأعجوبة ما، وقمت جرياً لأفتح مكتب الضابط مرة أخرى مستنجداً به:

- هيموتونى.. الحقنى يا باشا أبوس إيدك

رمى بنفسي على مكتبه وأنا أنزف من وجهي بغزارة سائلاً عجيباً يختلط فيه الدم والدمع واللعاب، فامتعض الضابط بشدة ونهرنى، خلفي جاء "محمود" ورفاقه، محاولين سحبى مرة أخرى، أمسكت بطرف المكتب وأوقعت بعض الأوراق وريموت التلفزيون الذى كان يعرض وقتها فيلماً قديماً يدعى (المدبح).. وأثناء جرهم لى، جريت بعينى بسرعة على المكتب، فوجدت شيئاً ما قد

ينقذنى من بين أنيابهم، شيئاً كان بمثابة الشمعة التي
قد تفتح لى طريقاً للخروج من هذا النفق المظلم... لقد
رأيت على المكتب منفضة سجائر الباشا الملقاة على
مكتبه، كانت على شكل قوقعة البحر، أمسكت بها بقوة
فأسقطت على جروحي وما تبقى من ملابسى بعضاً من
محتوياتها القذرة، كنت متشبثاً بها كمن يتشبث بولده
قبل أن يدهسه قطار، هددتهم بها، فلم يرتدعوا.
وحدث كل شيء فى ثوان معدودة

لم أشعر بنفسي إطلاقاً وأنا أدور نصف دورة بجسدى
وضربت بها أحد الأمناء فى فكه ليتهشم، ثم ضربت بها
وجه "محمود" مرات متتالية بكل ما تبقى لى من قوة،
كانت المنفضة متوسطة الحجم، مدببة الأطراف، طالت
أجزاء منها عين "محمود" اليسرى ففقدتها، ليفقد البصر
بعد أن فقد البصيرة.. لن أنسى صرخاته النابعة من ألمه
قط، أرى وجهه ينزف.. رأيت ما تبقى من عينه فكدت
أفقد الوعي، كدت أنهار بسبب ما حدث له، فأنا ورغم
خوضى عشرات المعارك إلا أن (العاهات المستديمة) لم
تكن ضمن قائمة الإيذاء الذى أسببه لمن يتعارك معى،
ويبدو أن انفلات أعصابى كان أكثر من اللازم، أكثر من
المطلوب، فحدث ما حدث، ومع ذلك لم تمنعنى تصفية
عينه اليسرى، لم توقف التدفق، فتابعته ضربه بعنف،
كنت غائبا عن الوعي تقريباً، أحاول بضربه أن أسترده

كرامتي التي مزقتها هذا الغبي، أحسست بجمجمته تتهشم
تحت وطأة ضرباتي المتتالية... وتختلط كل التفاصيل.

سقوطه على الأرض، صراخه ورجفة جسمه القوية،
صراخي، دماء كلينا، أفقد الوعي تدريجياً، ضربات تأتيني
من كل مكان، دوران "محمود" على الأرض كالثور المذبوح،
شتائم تأتي من كل مكان، جمهور غفير من البشر يتابعون،
طلقات رصاص هنا وهناك، أمني تحتضنني أمام بيت الفيل،
وتقرأ على أجزاء من منهج فلسفة الجمال، وجه "ناصر"
في المدرجات وعباءته البيضاء الناصعة، تشجيعه موجه
لي هذه المرة، خيالات مهزوزة عن أخته التي اختطفها
الجنجاويد، "شيماء" عارية تحتل لأمتعها وأستمتع، "حازم
إمام" يدخل بوابة النادي ويهرول نحوي ليوقع على
قميصي ويشجعني ويشد من أزري، "مهدي" يقف أمامي
منحنياً كعادته يرص حجر معسل، ويضع البيبسي على
رأسي ليردها ويوقف سيل الدم، "حنين" تدفن رأسي
بين فخذيها من جديد وهي تداعب شعري، الكابو يقف
في الكورفا سود كعادته محرضاً جماهير الزمالك العظيمة
على الهتاف باسمي، ويأمرني ألا أستسلم لهم، و"محمود"
يتلوى ألما، دارت رأسي، ودار المكان من حولي، أرى عدداً
جديداً من مجلة الزمالك كنت أنا على غلافه، شقة نيركو
التي أريد في مدخلها سجادة على شكل كرة قدم، مكتبي
في فودافون، أغاني المدرجات تتردد في رأسي، "حسام

حسن" يشير إلى علامة النصر، الأولتراس يقفون صفاً واحداً أمامي لتحفيزي، كارت أحمر يشهره حكم في وجهي ليطردني، فتصفعه أُمي على خده، ويشهر "وليد" سلاحه في وجهه، صفعة جديدة ألقاها، عشرات الأيدي تحمل "محمود" خارج الغرفة، ومثيلتها تضربني، أجلس وحيداً في مدرجات ملعب حلمي زامورا، أنزف المزيد والمزيد من الدماء، ويغرق قميص الزمالك الممزق في اللون الأحمر القاني.. لون الدم، كانت تلك هي اللقطة الأخيرة، وأفيق بعدها لأجد كل شيء قد انتهى.

المستشفى- السجن

بعد وقت يصعب تحديده وجدت نفسي بعدها مقيداً بكلابشات حديدية، راقداً على سرير صدئ، داخل مستشفى حكومي عفن، استغرقت الكثير من الوقت لأستوعب هذا الموقف في البداية، ثم استوعبته جيداً عندما تم التحقيق معي لما يقرب من الساعتين، كان وكيل النيابة شاباً واعياً ومتفهماً، لكنه كان يؤدي عمله، كان متفهماً لموقفي، لكنه وكالعادة لم يستطع أن يعطيني مبرراً لارتكاب الجريمة، والحقيقة أن هناك لائحة طويلة من التهم كانت بانتظاري، وهو ما زاد من حيرتي وتوترى أثناء التحقيق، لكنني كنت حريصاً أشد الحرص على قول الحقيقة كاملة، بلا رتوش، بلا زيادة أو نقصان.

عرفت من وكيل النيابة أنني أُصبت بارتجاج فى المخ وكسور وشروخ متفرقة فى أنحاء جسدي، الحقيقة أنني كنت خائفاً للغاية فى أول الأمر، فماذا سيحدث لي فى العمل؟، كيف سيكون شكل مستقبلي؟ ماهو موقف أسرتي من ذلك؟ كيف سيكون مستقبل "وليد" تحديداً؟ لكنني قررت بعد ساعات أن أسلم أمري لله، فقد قدر الله وما شاء فعل.

بعد انتهاء التحقيق بدقائق رأيت أبي يلهث وهو يسير بين جنبات العنبر الذى أرقد به بلا حراك، كان يستند على "وليد" الذى كان ينظر إلى لأول مرة بشفقة لم أعدها تكسو ملامح وجهه من قبل، لم أقو على مناداتهما، لكنهما وجدانى بسهولة بين زحام المرضى.. رأيت أبي يجلس على ركبتيه ذات الجلسة التي جلسها لما أحرز (مجدي عبد الغني) هدف مصر فى كأس العالم 1990، لكنه يجلسها الآن بعد عشرين عاماً بداع من الحسرة والألم، لا من الفرحة والفخر، احتضننى كلاهما.. وبكيت فى أحضانهما من المرارة والخوف... ارتعشت لما لمست خدى تلك النجوم الذهبية على كتف "وليد"، وخفت على مستقبله المهني الذى قد يضيع بسبب رعونتي.. لكنني نسيت ذلك بعد نظرات الطمأننة التي نظرها لى "وليد".

التفت إلى أبي لأجد عينيه غارقتين فى الدموع،
تساءل أبي كثيراً عن الأسباب التي دفعتنى إلى ذلك،
واحترت بـم أجيبه!! هل أقول له أنني تعرضت لإهانة
واستفزاز فوق طاقتى بين طرقات القسم؟ هل أحكي لهما
عن حنين وحكايتي المخجلة معها؟ هل أقول له أنني لن
أقبل إهانتى، لن أقبل إهانتة، لن أقبل إهانة أمي؟ وماذا لو
سألنى عن سبب دخولي المعركة؟ هل أقول له إن إيمانى
بأمي- رحمها الله- يمنعنى من سماع أى لفظ خارج فى
حقها وأنتى بالفعل لم أحتمل كل هذا السباب؟ هل أخبره
أن سب حسام حسن يعنى لى أن هؤلاء الرعاع قد سبوك
يا أبي؟ هل أقول له أنني حاولت بما حدث أن أدافع عن
كرامة الزمالك؟ هل أقول له أنني شعرت أنني أحبه للغاية؟
وأنتى- ولأول مرة- أثناء ضربى فى القسم شعرت بأننى
أذوب فى "شيماء" عشقا؟ هل أقول له أنني لم أفعل شيئاً؟.

سألانى عشرات الأسئلة، كان جسدي يئن، وعقلي
واهن، فلم أستطع إجابة معظمها، اقترب منى "وليد"
بهدهوء وطمأننى بأنه عيّن لى محامياً محترفاً من أصدقائه
وأن القضية لها مخارج قانونية بإذن الله، وأنتى سأخرج
من هذا المستشفى قريباً، فلم أعرف بـم أجيبه... قلت له
إن الكلابشات تعذبنى، فقال إنه سيحاول أن يتوسط لدى
جندي الحراسة ليخلعها من يدي... بكى أبي وقت أن كان
لسانه يلهج بسؤال وحيد :

ليه كده يا "مصطفى"؟.. ليه كده يابني؟
وارتمى أبى فى أحضانى وهو يبكى، كان على حافة
الانهيار وهو يقبلني، وأفقد أنا قدرتي على التماسك رويداً
رويداً... كان صعباً على بحق أن يفقد أبى أعصابه بتلك
الطريقة فى هذا المستشفى القذر، والأدهى أنه بسببى...
انهمرت الدموع من عيني لما رأيتهما يخرجان من العنبر،
رأيت أبى يستند إلى الحائط، و"وليد" يتحدث مع الجندي
الواقف على الباب... كانا يزورانى يومياً، يسألاني عما
أريد، وأنا لم أكن فى حاجة لأي شيء سوى حزن أمي،
وسريري.. كنت أريد حياتي .

* التعدي على عدد من الموظفين العموميين أثناء
تأديتهم لعملهم
* مقاومة السلطات
* القتل العمد

كانت تلك هي قائمة التهم الموجهة إليّ والتي
استوجبت مبدئياً حبسي أربعة أيام على ذمة التحقيق،
ثم زيادتهم إلى خمسة عشر يوماً، قضيتهم جميعاً فى
المستشفى، ولما تحسنت صحتي تقرر نقلني محبوساً إلى
سجن الاستئناف بعد تجديد الحبس مرة ثانية، تم نقلني
هذا داخل سيارة ترحيلات كبيرة، وكان التجربة الأصعب في
حياتي على الإطلاق.

ارتديت البدلة البيضاء إياها ليوم واحد حتى جاءنى
”وليد“ فى اليوم التالى بنظلون وتيشرت أبيضان كي لا
أرتدى ملابس السجن الخشنة القذرة، (الأنا) كانت تتعذب
من جديد، ها هو ابن المعادي يرقد كصندوق قمامة بلا
قيمة على تلك الأرضية العفنة، هاهو الموظف المتمرس
فى فودافون على شفا خسارة تلك الوظيفة بسبب مشاجرة
جديدة تضاف إلى سجل مشاجراته، ها هي كل الأحلام
والطموحات التي كنت أعيشها قبل أيام قد تمزقت تماما..
ها هي آلامي تزيد من جديد، فأفقد نفسي مرة أخرى
بعد أن وجدتتها مع الأولتراس، كنت أفتقد (الكورفا سود)
كثيراً، كنت أفتقد أبي، ”شيماء“، و”هشام“.. كنت أفتقد
”ناصر“ بشدة، كنت أفتقد ”وليد“.

كان موقفا صعبا للغاية لا يمكننى وصفه، لكن وإحقاَقاً
للحق كان جميع من فى السجن من أمناء وضباط وحراس
يعاملوننى بشكل جيد، فقد كانوا متفهمين للموقف بشدة،
فالتوصيف القانوني للواقعة قد يتحول ببعض المجهود إلى
ضرب أفضى إلى موت على أسوأ تقدير.. وكان الكل يعلم
جيداً ماذا يمكن أن يفعله أمين شرطة بأى شخص أمامه.

لم استوعب الأمر حتى تم نقلي محبوساً إلى سجن
طرة، ويبدو أيضاً أن ”وليد“ قام بالتوصية علىّ مجدداً،
حتى أن هناك ضابطاً برتبة كبيرة جلس ليستمع إلىّ

بحماس... قال لى إنه بمثابة والدى فقد خدم معه "وليد" في (سوهاج) فور تخرجه، كان يتحدث عن "وليد" بحب حقيقى، وقال إنه واثق بأننى تعرضت لضغط عصبى غير طبيعى أوصلنى لتلك الحالة وتلك النتيجة... طلب أن أحكى له الواقعة، فحكيتها بصدق كما حكيتها لك الآن، فحاول الرجل مشكوراً أن يطمئننى ويقلل من هول المأساة.. حتى إنه اعترف لى بزملاكويته وسأل عن ماهية الأولتراس، وطبيعة فكرهم.

حاولت التماسك فيما تلا ذلك من أيام، وكان يوم زيارتى الأولى هو أصعب الأيام، زارنى أبى يومها، كنت أراه لأول مرة فى تلك الصورة، ملابسه غير متناسقة، ذقنه غير حليقة، زائغ النظرات، اطمأن على ودعا لى كثيراً جداً.. ثم زارنى "هشام"، حاملاً لى تحيات ودعوات "شيماء" و "ناصر" وعدد لا بأس به من الجيران ومن مجموعة الـ (وايت نايتس)، وشرح لى صعوبة موقفهم جميعاً وأن لكل منهم سبباً قهرياً يمنعهم من الزيارة، كنت متفهماً، لكننى متألماً.. شكرت "هشام" للغاية، حملته الكثير من التحيات لكل من سأل على.

وفى موعد زيارتى التالية لم يأتني أحد، وفى مساء هذا اليوم جاءنى الضابط ذو الرتبة الكبيرة ليقول لى: (البقاء لله). فهمت أن لى حالة وفاة لكننى لم أعرف

من، وللحظات، صمت الضابط، وسرحت أنا بأفكاري فيمن قد أكون فقدت؟.. عرفت أن الخبر جاءه من زملاء "وليد" بالأمس، عرفت أن أبانا توفي بعد أن ارتفع ضغطه فجأة وهو جالس في المنزل مع "وليد" ليصاب بنزيف في المخ.. ليلحق بأمي وينتهي كل شيء، عرفت أن "وليد" يقف الآن ليستقبل العزاء في أبننا، سألت الضابط عن ملابس إرتفاع الضغط للدرجة التي قتلته؟، وعرفت منه أن المحامي قد ذكر لأبي أن العقوبة قد تصل إلى 10 سنوات أو يزيد، حاول أن يناقشه في كافة التفاصيل القانونية، فلم يجد حلاً... ذهب بنفسه مع "وليد" إلى أهل محمود، المخبر القتل، في محاولة لإجراء الصلح مقابل دية مالية، فلم يجد هذا معهم نفعاً.

كنت أنا محبوساً، وهو يترك شؤونها كلها ليحاول إخراجي من محبسى وإنقاذ ما تبقى لي من مستقبل.. عرفت أن أبي يحبني بجنون، عرفت من الضابط أن معه رسالة شفوية من "وليد" يخبرني فيها أنه لا يلومني على أي شيء وأنه استسلم لقضاء الله.... جاءني "وليد" في اليوم التالي.. ارتميت في أحضانه باكياً معتذراً.. لكنه كان صامتاً تماماً... ليت هاج.. ليته انفعل.. ليته ثار.. فقط احتضنني بقوة وطلب مني التماسك وقال لي إنه سيستمر في محاولات إجراء الصلح مع أسرة محمود.. أوصى على في السجن مرة أخرى.. وتركني لنفسي لتذكرني بما فعلته بأبي وأخي وبها، لتعنفني وتقطعني إرباً.

أجلس أنا الآن.. داخل سجن المزرعة بطرة فى انتظار
جلسة جديدة من المحاكمة، وفى انتظار يوم الزيارة
التالى، اليوم الذى سيأتينى فيه "وليد"، ليؤنس وحدتى،
ليعاملنى كما كنت أود أن يعاملنى يوما ما كأخي الأكبر..
كرفيق الدرب، كناصح، كمحتضن، أصبحت زيارته هي
الشىء الوحيد الذى يشعرنى بالأمل حالياً، أثق تماما في
قدرة "وليد" على إنهاء الخصومة بينى وبين أهل محمود،
لكنه قال إن مثل تلك الأمور تأخذ وقتا، حتى يستطيع
أهله نسيان الجرح الذى سببته لهم... وفوق كل هذا أثق
فى ربي، وأعلم أن عقابه يكون دوماً على قدر الفعل...
أوقن أن ربي يعلم أنني لست بقاتل، أنني فقط كنت
أدافع عن نفسي.

كنت أنتظر الزيارة التي سيحمل لى فيها "وليد" عددا
من الجرائد أقتل بها وقتى، ومنذ ما يقرب من أسبوعين
قابلت الضابط صديقي إياه فى السجن بالصدفة أثناء
وقت الفسحة، وطلبت منه مجموعة من الأوراق وقلمما
لأكتب بهم شيئا أقتل به وقتى.. وافق الرجل وبترحاب
شديد، قال إنها طريقة ممتازة لقضاء الوقت حتى أخرج
للحرية مرة أخرى، وقال لى إن الأمر لن يطول - بإذن
الله - عن أسابيع قليلة.

وهكذا، أكتب الآن أوراقى تلك، لأعلمك يا سيدى
أننى "مصطفى أحمد سعد الدين".. شاب مصري...
زملكاوى.. أحب أمى... وأنفذ وصيتها بحب العالم وإفناء
نفسى مع كل من وما أحب.. فأحب أبى رحمه الله
وأقدره أيما تقدير وأدعو له بالرحمة والمغفرة وأطلب
منه أن يسامحنى مع كل صلاة.. وأحب أخى، وأطلب منه
أن يتفهمنى ويظل محتويا إياى مهما طال الزمن.. وأعشق
صديقتى التى ظلمتها كثيراً بغرورى وعليائى.. وأعلمك
أننى ما زلت أذوب حبا فى الزمالك ككيان بكل رموزه
ونجومه.. فأنا شاب أعشق تلك الموجات الكهرومغناطيسية
التي تتولد من حركة الكرة.. أؤمن بفريقى، وأدافع عنه
فى أى مكان وزمان.. أتلقى ألما حال الخسارة، ويخلق لى
جناحان أطيّر بهما سعيداً حال الفوز.. وأقبع الآن فى هذا
المكان المنعزل الكثيب غير نادم على شىء.. قد أكون
مصدوماً.. قد أكون مذهولاً.. لكننى دافعت عن الجميع
فلن أندم أبداً.. ولن أراجع.. أكتب لك الآن لأعلمك بأننى
فخور للغاية بكونى واحداً من القوام الفعلى لمجموعة
(أولتراس وايت نايتس) والتي استطاعت فى سنوات
أن تجعل لجماهير الزمالك طعاماً ولوناً فى المدرجات،
ساهمت بجهودها فى نقل الزمالك ومشجعيه من خانة
الأقليات المقهورة إلى خانة العظماء... كنا قبل الأولتراس
أقل عدداً.. أقل تأثيراً.. نقّات على الفتات الإعلامى ولا
يلتفت لنا السادة الحمر، رغم انزعاجهم وخشيتهم الكبيرة

منا.. كانوا يحاولون تناسينا بفرض أننا سنأكل أنفسنا، كانوا يعاملوننا نحن الزملاوية على أننا لسنا هنا...لسنا على الساحة.. غير مطروحين للنقاش.. نحن الزملاوية عبء ثقيل تحمله الملاعب والاستادات، لكننا كأولتراس آمنا بأنه لن يقدر على حملنا سوى إيماننا بما نصدق ونقول... فرد الأولتراس الآن يملك أن يقول لا بكل الحزم، كنا في السابق لا نملك سوى الصمت، وبعد ثلاث سنوات فقط أصبح لنا ألف صوت .

جاءت مجموعة (وايت نايتس) لتفعلها.. تتكاتف.. تتفاعل.. تنفعل.. تجيش الجيوش للدفاع عما تبقى من الكرامة المهددة، كما تحاول أي مجموعة وطنية فاعلة أن تعيد كرامة هذا الوطن الواهن أو الذي أصبح واهناً، وتحاول ببطء وثبات صناعة مجد جديد لهذا الكيان العريق وكتابة السطور الأولى في كتاب زملاوي جديد يأتي بعد مائة عام من تأسيسه.. فطوبى لهم جميعاً.

نعم، لقد قتلت "محمود منصور محمود"، لكنه كان دفاعاً عن النفس، صدقني، وصدقني أيضاً في أنه كان يستحق القتل لعجرفته وتعاليه على إخوانه من البشر، نعم ضربت مجموعة من الأهلية، لكنهم يستحقون، لأنهم من بدأ بالشجار، وأنا لا أخرج أنيابي إلا لمن يستفز رجولتي، إلا لمن يستفز زملاويتى.. نعم ارتكبت الكثير

والكثير من الأخطاء فى حياتي، لكنني أعاقب عليها الآن..
وفى النهاية أود أن أقول إنني سأظل فى أعماقي فرد
أولتراس وفي، مخلص للمجموعة وأفكارها وقوانينها، طوال
فترة وجودي خلف القضبان، طالت تلك الفترة أو قصرت،
سأمارس كل الطقوس قبل وأثناء وبعد كل مباراة وكأنني
أملك فى (الكورفا سود)، وسأقاتل من أجل أن أرى كل
مباريات الزمالك طيلة فترة سجنى.. أود أن أعلمك أنني
سأظل مؤمناً بزملاؤيتى طيلة حياتي.. لكى أؤكد للجميع
ولكل رفقاء سجنى أنني لست مجرمًا، وأننى.. أولتراس.

مصطفى أحمد سعد الدين

يونيو 2010

صافرة النهاية

بعد مرور ثلاثة أشهر على سجن أخي "مصطفى أحمد سعد الدين"، استطعت أن أجمع العديد من الخيوط في قضيته، كنت أعلم أن قضيته بتوصيفها القانوني الحالي لن تقل عقوبتها عن السنوات الثلاثة على أقل تقدير، لهذا كنت أحاول جاهداً أن أستغل شبكة علاقاتي وأن أضع كل خبرتي القانونية لأخلصه من مأزقه.

ولهذا جمعتني جلسات طويلة مع معارفه وأصدقائه وزملائه، وفهمت وتأكدت بعد جهد ليس باليسير أن "مصطفى" مجرد عضو من آلاف الأعضاء في مجموعة أولتراس، لكنه ليس بمجرم، وأن تعديده على مجموعة من أمناء الشرطة والمخبرين داخل قسم مدينة نصر ثان في هذا اليوم المشؤوم لم يكن أبداً لأي غرض سوى الدفاع عن النفس، حتى وإن أدى ذلك إلى مقتل المخبر الراحل "محمود منصور محمود".

مع بداية الشهور الثلاثة التي تلت حبس "مصطفى" بسجن الاستئناف، قمت أول ما قمت بزيارة إدارة شؤون العاملين بشركة فودافون التي يعمل بها، محاولاً تبرير غيابه، والضغط عليهم لكي يوافقوا على إعطائه إجازة بدون راتب إلى حين الإفراج عنه بإذن الله... قابلت مديرته المباشرة التي حولتني إلى إدارة شؤون العاملين.

وهناك قابلت "حنين"، والتي ارتبكت كثيراً لما سمعت مني اسم أخي، وبحس ضابط المباحث، شعرت أن هناك ما تخفيه عني، لذا ورغبة مني في فهم الصورة الكاملة، جمعتني بها أكثر من جلسة، فهمت فيها طبيعة علاقة "مصطفى" بها، وحكيت لي كافة التفاصيل التي قرأتها أنت هنا.

كان طبيعياً أن أعود إلى النقيب "عمرو" الذي كان منوطاً به التحقيق مع أخي وقت الحادث، ولقد لعبت على وتر وحيد لا يمكنني اللعب على غيره، هو وتر الزمالة.

"عمرو" كان شاهداً على لحظات قتل "مصطفى" معنوياً التي دفعته إلى قتل "محمود" مادياً، فرجوته بأن يكون رحيماً بأخي ومستقبله، خاصة بعد وفاة أبي المباغته، ويكفي "مصطفى" ما رآه منهم بالقسم، وما يراه حالياً في السجن.. وقد وعدني "عمرو" بشهامة متوقعة بمحاولة التدخل لدى أهل القتل فتنازلهم عن القضية قد يحدث بعض الفرق، كما وعدني بصياغة كلماته مرة أخرى بتحقيقات النيابة لكي يتم إعادة إرسال ملف القضية إلى المحكمة بعد إعادة صياغة التوصيف القانوني للجريمة لتصبح قتل ضرب أفضى إلى موت بدلاً من قتل عمد.

ثم ذهبت إلى قسم مدينة نصر ثان، محاولاً جمع بعض المعلومات عما حدث في هذا اليوم، من خلال لقائي بالمأمور، وبعض زملاء القتل ممن حضروا الواقعة، كما أنني وبمساعدة المأمور التقيت بعض المساجين الذين ساعدوني في تكوين صورة ولو بسيطة عن القتل وشخصيته، والتي قد تعضد من موقف "مصطفى" بالقضية.

وبعد أيام، حَمَلَنِي مصطفى أمانة الاعتذار إلى صديقه "شيماء" فكان أن التقينا بالمعادي، وبطبيعة الحال كانت علاقتها بـ "مصطفى" هي محور الجلسة، حكيت لها عن حالته بالسجن، فبكت كثيراً، وسردت الكثير من التفاصيل التي جعلتني أحترمها وأحترم حبها له رغم كل شيء.

بعد لقائي بـ "شيماء"، كان معدل دهشتي المتعلق بـ "مصطفى" وحياته قد تضاعف، فكل ما كنت أراه من تصرفات أضعها أنا تحت مظلة الرعونة والخرق، كان لها مبررها دوماً، مبررها الذي لم أفهمه أنا رغم قربي - نظرياً - منه كأخيه الأكبر، لذا فقد شعرت بوطأة مسؤولية الاعتذار له عن طريق جمعي لحكايته وعرضها للعلن بتلك الطريقة، وقررت أن أبدأ مشوار الاعتذار هذا من أقرب الأماكن إليه (ميت عقبة).

فجمعتني جلسة سريعة بـ"مهدي" القهوجي، رسمت لي صورة كانت غائبة عني تماماً عن شهامة أخي، ثم جلست مع (الكابؤ) لساعات طويلة عرفت فيها الكثير من الأسرار حول الحياة الموازية لأخي.. حياة (الأولتراس)، ولماذا كان يتصرف بهذا الشكل الحاد أحياناً.. الأرعن أحياناً، فسنة الصغيرة، وخبرته المحدودة نوعاً ما جعلت منه أكثر حساسية، وأكثر قابلية للإيمان بمثل تلك الأفكار التي أراها متطرفة نوعاً.

ولقد سعدت للغاية، بالفرصة التي حصل عليها "مصطفى" لكتابة تلك الأوراق، والتي زادت من قدرتي على فهمه وتفهمه، وبعد قراءتي لها أكثر من مرة، قررت أن أعيد كتابتها وتنسيقها على جهاز كمبيوتر بلا زيادة أو نقصان، وأضفت عليها كافة المعلومات والتفاصيل والحكايات التي سمعتها من "حنين" و"شيماء" و"مهدي" وأهل "محمود" ورفاقه، لكي أقدم لمن يهمه الأمر صورة شبه متكاملة لطبيعة الحياة التي عاشها أخي، علّها تكون سبباً في رحمة الناس به وبكل رفاقه من مشجعين الأولتراس، عندما يخرج من سجنه بسلامة الله.

النقيب/ وليد أحمد سعد الدين

المعادي- القاهرة

أغسطس 2010

شكر وتقدير

أود أن أستاذن قارئ الرواية العزيز في أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير والموودة لعدد من رفاق رحلة كتابتها التي بدأت عام 2010 وانتهت في يونيو 2015 .

على رأسهم الصديق العزيز /مهند حسن الذي أسعفتني ذاكرته الكروية كثيراً كثيراً.

والصديق الأقرب د./ وليد فوزي القارئ الأول لتلك الصفحات.

والصديق الكاتب الصحفي (أحمد الدريني) الذي عرفني بالأعزاء في دار (كتابي) للنشر الذين أشكرهم بدورهم على مجازفتهم بنشر مثل تلك الرواية في مثل ذلك التوقيت الحرج، بعد أن اعتذرت قبلهم أكثر من دار نشر عن نشرها.

وكل الزملاء والأصدقاء اللذين دفعوني دفعاً بتشجيعهم المبالغ فيه لناديي الزمالك والأهلي، لكتابة تلك الرواية. ولن يفوتني بالقطع أن أتوجه بالشكر وعميق المحبة لزوجتي ورفيقة دربي (صبا ياسين) على دعمها المستمر والمتواصل وقت إعادة كتابة الرواية من جديد، ولكل ما فعلته وما تفعله لأجل ثلاثتنا هي وأنا وابننا "شام".

أشرف أبو الخير

فى العقل الباطن هناك قائمة تضم أموراً شتى قيد الإنتظار، ليس للواحد سلطة عليها، لا يقدر أن يحركها أو يقرب بعيداً. صدفة تلقى فى طريقك صديق قديم. نسمة هواء باردة نقية تساعدك فى الحصول على نفس عميق يخرج زفيره بالأتربة الرطبة القابعة فى صدرك. نكتة جديدة لم تسمع ما يشبهها من قبل تجعلك تضحك حتى تتصلب فقرات رقبتك. فنجان قهوة بتلقيمته لا يغلب فيها البن المر على التحويجة ولا تضع التحويجة فيه مرارة البن. حقيبة بها مليون جنيه يتركها أحدهم على باب شقتك، رحلة عمل ترغمك على قضاء ٤٥ يوماً تتجول بين عدة دول لم تحلم يوماً بزيارتها. أو أن يفوز فريقك المفضل ببطولة كبيرة، وأعنى بفريقك المفضل الزمالك طبعاً، وأن يكتب أحدهم رواية عن دراما تشجيع الزمالك، أن يكتبها أشرف أبو الخير مثلاً.

حسناً.. تحقق السطر الأخير و صار ضروريا أن يشطب عليه الواحد ليخفف حمل قائمة الإنتظار، أمnitان فى ضربة واحدة، شخص تحبه و تؤمن بطريقة تفكيره و دأبه واجتهاده، يضع يده على مادة ثرية للكتابة، فتشجيع الزمالك أكبر من كرة القدم والصفقات واستوديوهات التحليل، تشجيع الزمالك هو طريقة حياة، (الزملكة) فلسفة ما يعرفها جيداً من اختاروا تشجيع هذا الفريق، هو موقف من الحياة بتناقضاتها، بقوانينها المختلفة، هو نظرة جريئة تعترض على تعريف القوة والشكل الكلاسيكى للبطل، الزمالكواى شخص يصلح لأن يكون بطلا لرواية، هو الذى تنطبق عليه مقولة الخواجة لوريانو(كل القصص العظيمة فى التاريخ تقوم على تفصيلىة درامية واحدة فقط وهى أن البطل لم يستسلم أبداً... هذه رواية بطلها زملاوى كتبها أشرف أبو الخير، على الأقل لدى الآن سببان للبدء فى قرائتها.



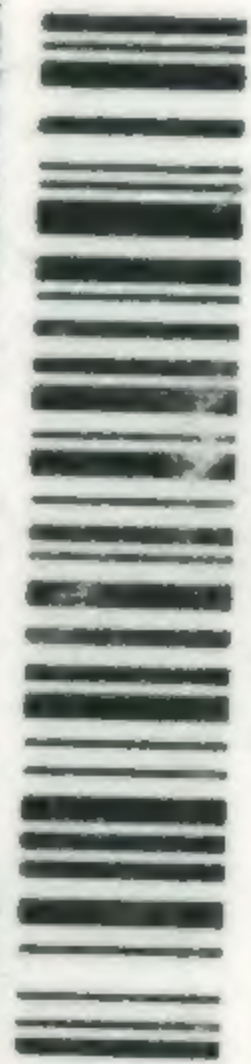
عمر طاهر

ISBN 978-977503865-4



9 789775 038654

Bibliotheca Alexandrina



1502403

